السيرة النبوية

لابن هشام

أبى محمد عبد الملك بن هشام المعافرى

المتوفى بمصر سنة ٢١٣ هجرية

تحقيق

محمد بيومى

الجزء الأول

مكتبة الإيمان

المنصورة أمام جامعة الأزهر

ت : ٢٢٥٧٨٨٢

الطبعة الأولى

١٤١٦هـ ــ ١٩٩٥م

مكتبة الإيمان بالمنصورة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىَ المبعوث رحمة للعالمين.

وبعد:

إن سيرة الرسول ﷺ يراد بها: التعرف على حياته الأوْلى من ولادته إلى مبعثه، ثم حياته بعد ذلك حين بعث للناس بالدين الحق، وأُمر أن يدعو الناس إليه، وما لقى فى سبيل الدعوة من معارضة، وما جرى بينه وبين المعارضين من مقاولات وحروب ومن استجاب له حتى ظهر الإسلام وكمل الدين.

والحروب التى جرت بينه وبين مخالفيه وهى المعروفة بالغزوات والسرايا. وقد يغلب اسم المغازى على ذلك كله.

وقد كانت المغازى والسير من العلوم الجليلة، فيها يعرف تواريخ أحداث المسلمين فى عهدهم الأول ويوقف على أحوالهم، وفيها جلاء البيئة التى نشأ فيها الإسلام وترعرع حتى استوى، وبيان لأسباب نزول كثير من آيات القرآن.

ولم يعن أحد من الصحابة بجمع أخبار السيرة؛ إذ كانوا مشغولين بالجهاد والفتوح، وإنما التفت إلى هذا فريق من التابعين، فكانوا يسألون من شاهد الغزوات من الصحابة ومن صاحب الأحداث التى وقعت للمسلمين فى عهد صاحب الرسالة ﷺ ويجمعون ما استفاض واشتهر من الأخبار.

ومن هؤلاء الذين جمعوا أخبار السيرة محمد بن شهاب الزهرى الذى كانت وفاته سنة ١٢٤ هـ فقد دون سيرة تروى عنه، وينقل عنها السهيلى فى «الروض الأنف» وجاء محمد بن إسحاق بن يسار، فاهتم بجمع المغازى والسير أيما اهتمام وساعده قوة حفظه وتفرغه لهذا الشأن ورغبته فى فن الأخبار والتاريخ حتى اشتهر بالإمامة فى هذا الفن.

وجاء ابن هشام فهذب سيرة ابن إسحاق فعرفت به «سيرة ابن هشام» وهذه السيرة فيها طائفة من أخبار العرب قبل الإسلام، وبسط للحالة بعد الإسلام فى حياة الرسول عليه الصلاة والسلام. وهى سجل لما جرى فى هذا العهد من المعاهدات ولما

جرى فى المغازى، فيذكر فى الغزوة من شهدها من الجانبين وما حدث لهم من تفاصيل دقيقة، وكأنما كان هناك كتاب حربيون يدونون كل شىء، وفيها ثروة أدبية مما يورد من الأشعار فى الغزوات وغيرها. وابن إسحاق يكثر من رواية الأشعار فى كل موطن، حتى أورد فيها كثيراً من الشعر المنحول والمصنوع، وحتى قال فيه ابن سلام فى «طبقات الشعراء» (ص ٩): «وكان ممن أفسد الشعر وهجنه، وحمل كل غثاء منه محمد بن إسحاق بن يسار. . . .» فقبل الناس عنه الأشعار، وكان يعتذر منها ويقول: لا علم لى بالشعر، وأوتى به فأحمله، ولم يكن ذلك له عذراً، وقد نبه ابن هشام على ما ينكر من الشعر الوارد فى سيرة ابن إسحاق وعلى الخلط فيه.

وقد عرف من رواة سيرة ابن إسحاق راويان ثقتان: الأول يونس بن بكير(١٩٩هـ) والآخر: زياد بن عبد الله البكائى، وقد وصف بأنه أثبت الناس فى سيرة ابن إسحاق ويقال فى ذلك ـ كما فى تهذيب التهذيب ـ أنه باع داره وخرج يدور مع ابن إسحاق حتى سمع منه الكتاب وكانت وفاته سنة ١٨٣ هـ.

وزياد هذا هو الذى أخذ عنه ابن هشام سيرة ابن إسحاق، فإن ابن هشام لم يدرك ابن إسحاق.

روى ابن هشام سيرة ابن إسحاق فأعجبته ولكنه رأى فيها أشياء أنكرها فأرفع تهذيبها ونشرها على الناس فى صورة جديدة. وقد وضّح منهج عمله فى قوله: «وأنا ـ إن شاء الله ـ مبتدىء هذا الكتاب بذكر إسماعيل بن إبراهيم ومن ولدَ رسول الله ﷺ من ولده، وأولادهم لأصلابهم، الأول فالأول من إسماعيل إلى رسول الله ﷺ، وما يعرض من حديثهم وتارك ذكر غيرهم من ولد إسماعيل على هذه الجهة للاختصار إلى حديث سيرة رسول الله ﷺ وتارك بعض ما ذكره ابن إسحاق فى هذا الكتاب مما ليس لرسول الله ﷺ فيه ذكر، ولا نزل فيه من القرآن شىء، وليس سبباً لشىء من هذا الكتاب ولا تفسيراً له ولا شاهدًا عليه، لما ذكرت من الاختصار، وأشعاراً ذكرها لم أر أحداً من أهل العلم بالشعر يعرفها، وأشياء بعضها يشنع الحديث به وبعض يسوء بعض الناس ذكره. وبعض لم يقر لنا البكائى بروايته، ومستقصٍ ـ إن شاء الله ـ ما سوى ذلك منه بمبلغ الرواية له والعلم به».

*** منهج سيرة ابن هشام ومباحثها:**

يبتدىء ابن هشام بذكر شىء من كلام ابن إسحاق ويصدره بعبارة «قال ابن

إسحاق» ويعقب عليه بما يراه من زيادة أو نقد بقوله: «قال ابن هشام» ويسير هكذا فى الكتاب، حتى ليمكن الباحث أن ينتزع من سيرته سيرة ابن إسحاق لولا ما حذف منها وأسقط.

وقد ابتدأت السيرة بسرد نسب الرسول عليه الصلاة والسلام، واستتبع ذلك ذكر جملة صالحة من أنساب العرب وأخبارهم فى الجاهلية، وعاداتهم وأصنامهم، وذكر تجديد حفر زمزم على يد عبد المطلب، وولادة الرسول عليه الصلاة والسلام ونشأته، ومبعثه ومن إستجاب لدعوته، وما لقيه فى سبيلها من عنت وإرهاق، وما لاقى المؤمنون من أذى، وهجرة بعضهم إلى الحبشة فراراً بدينهم وعرض الرسول عليه الصلاة والسلام نفسه على القبائل يدعوهم إلى الإسلام، حتى استجاب له فريق من الأوس والخزرج فى يثرب (المدينة) فهاجر إليها ﷺ مع المؤمنين من أهل مكة، وصارت المدينة دار عز ومتبوأ قرار للمسلمين.

وفى المدينة كانت بين الرسول عليه الصلاة والسلام وبين اليهود الذين كانوا فيها مفاوضات ومقاولات ومعاهدات نقضوها ولم يتموا عليها، فكانت دائرة الغدر عليهم، وانتهى الأمر بها بإجلائهم عن المدينة، والانتصار عليهم فى خيبر، وإذلالهم.

وفى المدينة تبتدىء الغزوات والسرايا التى عز بها المسلمون، وذل الشرك بفتح مكة فى السنة الثامنة للهجرة. وبهذا الفتح المبين يدخل العرب فى دين الله أفواجًا، ويوفدون الوفود إلى المدينة معلنين إسلامهم وطالبين من يفقههم فى دينهم، وذلك فى السنة التاسعة، وتسمى لهذا سنة الوفود. ويرسل الرسول عليه الصلاة والسلام رسله إلى الملوك والأمراء يدعوهم إلى الإسلام.

وينتهى الكتاب بذكر أزواجه عليه الصلاة والسلام وتمريضه وانتقاله إلى الرفيق الأعلى، وذكر ما جرى فى سقيفة بنى ساعدة من الخلاف الذى انتهى بخلافة أبى بكر رضى الله عنه. وهذا إجمال شديد لما فى السيرة من مباحث.

*** ما كتب على السيرة واتصل تأليفه بسببها:**

شرح السيرة أبو القاسم عبد الرحمن السهيلى الأندلسى، المتوفى سنة ٥٨١ هـ. ويسمى هذا الشرح «الروض الأنف» وقد طبع فى مطبعة الجمالية بمصر فى سنة ١٣٣٢هـ (١٩١٤م) فى جزأين. وشرح غريبها وتكلم على بعض المشكل منها أندلسى آخر، هو أبو ذر الخشنى مصعب بن محمد، وكانت وفاته سنة٦٠٤ هـ وطبع

هذا الكتاب فى مصر فى مطبعة هندية سنة١٣٢٩هـ. ونظم السيرة ـ كما فى كشف الظنون ـ أبو نصر الخضراوى المتوفى سنة٦٦٣هـ وكذا عبد العزيز بن أحمد المعروف بسعد الدين الديرينى المتوفى فى حدود سنة٦٩٧هـ، وأبوإسحاق الأنصارى التلمسانى، على قافية اللام. وفتح الدين محمد بن إبراهيم المعروف بابن الشهيد المتوفى سنة ٧٩٣ هـ فى بضعة عشر ألف بيت وسماه «فتح القريب فى سيرة الحبيب».

واختصر السيرة البرهان إبراهيم بن محمد بن المرحل. وزاد عليها أموراً، ورتبه على ثمانية عشر مجلسًا وسماه «الذخيرة فى مختصر السيرة» فرغ منه سنة ٦١١ هـ. وذكر هذا كله فى «كشف الظنون». وهو يدل على جلالة السيرة وخطرها واشتغال الناس به، وهى أهل لذلك. غير أن هذه المنظومات والمختصر لم نقف عليها. والظاهر أنها ذهبت مع ما ذهب من نفائس الكتب العربية.

ترجمة ابن هشام

هو عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميرى المعافرى.

والمعافر: قبيل من اليمن كبير. فهو قحطانى. ويقول بعضهم فيه الذهلى. وذهل: قبيلة من ربيعة ترجع إلى ذهل بن شيبان. فهو على هذا عدنانى وبعضهم[١] يجعله سدوسياً. وسدوس هو ابن شيبان. فهو أيضاً عدنانى. وشهرته بالحميرية تنفى أنه ذهلى أو سدوسى والظاهر أنه حميرى من أنفسهم لا مولى لهم.

ونشأ فى البصرة وتلقى العلم فيها. والظاهر أنه ولد بالبصرة. ولم يذكر تاريخ ولادته، ولا ما يعين على تعرفه. وبرع فى الأدب والعربية، حتى وصف بالنحوى. وقد رحل إلى مصر بعد أن اكتمل علمه فى البصرة، واستقر بها ونشر فيها علمه، حتى صار عالم مصر فى الغريب والشعر. وكان ميله إلى الأخبار شديداً ومن هذا كان اشتغاله بالمغازى والسير.

ومن آثاره: كتاب «التينجان فى ملوك حمير» وهو يرويه بسنده عن وهب بن منبه. وفيه رواية عن محمد بن السائب الكلبى كما فى ص ١٣٢. وقد طبع فى الهند فى بلدة حيدر آباد الدكن فى سنة ١٣٤٧ هـ.

وكانت وفاته فى مصر سنة ٢١٣ هـ فيما ذكر[٢] السهيلى. وفى البداية والنهاية لابن كثير (١٠ / ٢٦٧) قال السهيلى: وفيها (أى فى سنة ٢١٣ هـ) توفى عبد الملك بن هشام راوى السيرة عن ابن إسحاق، حكاه ابن خلكان عنه، والصحيح أنه توفى سنة ثمان عشرة ومائتين، كما نص عليه أبو سعيد بن يونس فى تاريخ مصر[٣].

---

(١) انظر «تهذيب التهذيب» فى ترجمة زياد بن عبد الله البكائى.

(٣) «الروض» (١ / ٥).

(٣) نقلاً من «التعريف بسيرة ابن هشام» محمد على النجار، باختصار.

ترجمة محمد بن إسحاق[1]

هو أبو عبد الله (وقيل: أبو بكر) محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار - ويقال: ابن يسار بن كوثان المدينى.

كان يسار بن خيار جدُّ محمد بن إسحاق مَوْلى لقيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف، وقد أُسر يسار فى عام اثنى عشر من الهجرة، فى عين التمر - وهى بلدة قريبة من الأنبار غربىّ الكوفة، وكان خالد بن الوليد رضى الله عنه قد غزاها فى هذا العام فافتتحها عنوة وكان ممن سبى فى هذه الموقعة يسار جدُّ محمد بن إسحاق، فلما قدم خالد المدينة بأسراه. وكان أول سبى دخل المدينة من العراق صار ولاء يسار إلى قيس ابن مخرمة وعاش فى المدينة.

وفى المدينة ولد محمد بن إسحاق عام خمس وثمانين وفيها نشأ حتى أدرك سن الشباب، وفيها لقى كثيراً من العلماء الذين أخذ عنهم كالقاسم بن محمد بن أبى بكر، ونافع مولى ابن عمر، وابن شهاب الزهرى ومحمد بن على بن الحسين بن على ابن أبى طالب وأبان بن عثمان بن عفان وعبد الله بن هرمز.

وفى عام (١١٥) من الهجرة رحل إلى الإسكندرية فلقى فيها كثيراً من أساطين علمائها، ثم رحل بعد ذلك إلى نواحٍ كثيرة، فرحل إلى الرى والكوفة والجزيرة والحيرة. ثم رحل إلى العراق، وطابت له فيها الحياة، فاطمأن إلى البقاء بها، وفيها اتصل بأمير المؤمنين أبى جعفر المنصور، وصنف كتاب السيرة بأمره لابنه.

وفاته: اختلف الرواة في تحديد الزمن الذى توفى فيه ابن إسحاق، وقد ساق الخطيب البغدادى روايات عدة على أن وفاته كانت فى سنةخمسين ومائة كما ساق روايات أخرى تدل على أن وفاته كانت فى سنة احدى وخمسين أو اثنين وخمسين أو أربعة وخمسين. ورجح ابن تغرى بردى أن وفاته فى سنة احدى وخمسين ومائة. ودفن - رحمه الله - فى مقبرة باب الخيزران عند قبر أبى حنيفة بالجانب الشرقى، وهى منسوبة إلى الخيزران أم هارون الرشيد لأنها مدفونة بها.

---

(١) من أهم مصادر حياته: «طبقات فحول الشعراء» لابن سلام(٨ / ١١، ٢٥٦) و«طبقات ابن سعد»(٦/ ٣٩٦) و«المعارف» لابن قتيبة. ص٤٩١ و«الفهرس» للنديم٩٢. و«تاريخ بغداد» للخطيب البغدادى(١/ ٢١٤) و«معجم الأدباء» لياقوت(١٨/ ٥) و«وفيات الأعيان»لابن خلكان(٤/ ٢٧٦ـ٢٧٧) و«تاريخ الإسلام» للذهبى(٦/ ٣٧٥ - ٣٧٨)و«ميزان الاعتدال» للذهبى(٣/ ٤٦٨) و«تذكرة الحفاظ» للذهبى(٢/ ١٧٢) و«تهذيب التهذيب» لابن حجر (٩ / ٣٨) و«عيون الأثر» لابن سيد الناس(١/ ١٠ـ١٧) و«النجوم الزاهرة» لابن تغزى بردى(٢/ ١٦)..

بسم الله الرحمن الرحيم

(وبه نستعين)

الحمد لله رب العالمين، وصلواته على سيدنا محمد وعلى آله أجمعين

ذكر سرد النسب الزكى

من محمد صلى الله عليه وآله وسلم، إلى آدم عليه السلام

قال أبو محمد عبد الملك بن هشام: هذا كتاب سيرة رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - محمد بن عبد الله بن عبد المطلب. واسم عبدالمطلب: شَيْبة[1] بن هاشم. واسم هاشم: عمرو بن عبد مناف، واسم عبد مناف: المغيرة بن قصى، بن كلاب. بن مرة، بن كعب بن لؤى. بن غالب، بن فهر، بن مالك، بن النضر، بن كنانة، بن خزيمة، بن مدركة، واسم مدركة: عامر بن إلياس، بن مضر بن نزار، بن معد بن عدنان، بن أُد.

ويقول أدَد، بن مُقَوِّم، بن ناحور، بن تيرح، بن يعرب، بن يشجب، ابن نابت، بن إسماعيل، بن إبراهيم - خليل الرحمن - ابن تارح - وهو آزر - بن ناحور، بن ساروغ، بن راعو، بن فالخ، بن عيبر، بن شالخ، بن إرْفَخشد، بن سام، بن نوح، بن لمك، بن مَتُّوشَلَخ، بن أخنوخ وهو إدريس النبى - فيما يزعمون - والله أعلم. وكان أول بنى آدم أعطى النبوة، وخط بالقلم - ابن يرد، بن مهليل، بن قينن، بن يانش، بن شيث، بن آدم، ﷺ.

قال أبو محمد عبد الملك بن هشام: حدثنا زياد بن عبد الله البكائى[2]، عن محمد بن إسحاق المطلبى، بهذا الذى ذكرت من نسب محمد رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - إلى آدم عليه السلام، وما فيه من حديث إدريس وغيره. قال ابن

---

(١) وذكر ابن قتيبة فى كتاب «المعارف» أن اسمه عامر، والأصح ماذكره المصنف وسبب تسميته بعبد المطلب أنه كان عند أخواله بالمدينة فقدم به عمه المطلب بن عبد مناف فدخل مكة وهو خلفه فقالوا هذا عبد المطلب فلزمه الاسم وغلب عليه.

(٢) قال الحافظ فى «التقريب» (١/ ٢٦٨) صدوق ثبت فى المغازى وفى حديثه عن غير ابن إسحاق لين.

هشام: وحدثني خلاد بن قرّة بن خالد السَّدوسي، عن شيبان بن زهير بن شقيق بن ثور، عن قتادة بن دعامة، أنه قال:

إسماعيل بن إبراهيم - خليل الرحمن - ابن تارح - وهو آزر - بن ناحور ابن أسرِغ بن أرغو بن فالخ بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح ابن لمك بن متّوشلخ بن أخنوخ بن يرد بن مهلائيل بن قاين بن أنوش بن شيث بن آدم ﷺ.

منهج ابن هشام في عرضه للسيرة: قال ابن هشام: وأنا - إن شاء الله - مبتدئ هذا الكتاب بذكر إسماعيل بن إبراهيم ومن ولد رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - من ولده، وأولادهم لأصلابهم، الأول فالأول، من إسماعيل إلى رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - وما يعرض من حديثهم، وتارك ذكر غيرهم من ولد إسماعيل على هذه الجهة؛ للاختصار، إلى حديث سيرة رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - وتارك بعض ما ذكره ابن إسحاق في هذا الكتاب، مما ليس لرسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فيه ذكر، ولا نزل فيه من القرآن شيء، وليس سببا لشيء من هذا الكتاب، ولا تفسيرا له، ولا شاهدا عليه، لما ذكرت من الاختصار، وأشعارا ذكرها لم أر أحدًا من أهل العلم بالشعر يعرفها، وأشياء بعضها يشنع الحديث به، وبعض يسوء بعض الناس ذكره، وبعض لم يقر لنا البكائي بروايته، ومستقص - إن شاء الله تعالى - ما سوى ذلك منه بمبلغ الرواية له، والعلم به.

****

سياقة النسب من ولد إسماعيل عليه السلام

أولاد إسماعيل عليه السلام

قال ابن هشام: حدثنا زياد بن عبد الله البكائي، عن محمد بن إسحاق المُطَّلِبي قال:

ولد إسماعيل بن إبراهيم - عليهما السلام - اثنى عشر رجلا: نابتا - وكان أكبرهم - وقيدر، وأذبل، ومنشا، ومِسْمَعا، وماشي، ودمًّا، وأذر، وطيما، ويطورا، ونبش، وقيذُما، وأمهم: بنت مضاض بن عمر الجرهمي. قال ابن هشام: ويقال: مِضاض، وجرهم بن قحطان - وقحطان أبو اليمن كلها، وإليه يجتمع نسبها - ابن عامر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح.

قال ابن إسحاق: جرهم بن يقطن بن عيْبر بن شالخ، ويقطن هو: قحطان بن

عيبر بن شالخ.

عمر إسماعيل وموطن أمه ووفاته: قال ابن إسحاق: وكان عمر إسماعيل - فيما يذكرون - مائة سنة وثلاثين سنة، ثم مات - رحمه الله وبركاته عليه - ودفن فى الحجر مع أمه هاجر - رحمهم الله تعالى.

قال ابن هشام: تقول العرب: هاجر وآجر، فيبدلون الألف من الهاء، كما قالوا: هراق الماء، وأراق الماء، وغيره. وهاجر من أهل مصر.

حديث الوصاة بأهل مصر وسببها: قال ابن هشام: حدثنا عبد الله بن وهب، عن عبد الله بن لهيعة، عن عمر مولى غفرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - قال: «**الله الله فى أهل الذمة. أهل المدرة السوداء، السُّحْم الجِعاد، فإن لهم نسبا وصهرا**»[1].

قال عمر مولى غفرة: نسبهم: أن أم إسماعيل النبى ﷺ منهم. وصهرهم، أن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - تسرر فيهم.

قال ابن لهيعة: أم إسماعيل: هاجر، من«أم العرب»قرية كانت أمام الفَرَما من مصر.

وأم إبراهيم: مارية سرية النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - التى أهداها له المقوقس من حفن[2]، من كورة أنْصِنا[3].

قال ابن إسحاق: حدثنى محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهرى: أن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك الأنصارى، ثم السلمى، حدثه: أن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - قال: «**إذا فتحتم مصر؛ فاستوصوا بأهلها خيرا؛ فإن لهم ذمة ورحما**»[4]. فقلت لمحمد بن مسلم الزهرى: ما الرحم التى ذكر

---

(١) إسناده «مرسل - فإن عمر مولى غفره مع ضعفه لم يسمع من النبى ﷺ ولا من أحد من الصحابة كما قال ابن معين وقد أورد الطبرانى نحوه فى (الكبير) (٢٣/ ٢٦٥) من حديث أم سلمة أن رسول الله ﷺ أوصى عند وفاته فقال: الله الله فى قبط مصر فإنكم ستظهرون عليهم ويكونون لكم عدة وأعواناً فى سبيل الله.
وقال الهيثمى فى «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٣) رواه الطبرانى ورجاله الصحيح.

(٢) قريه بصعيد مصر.

(٣) قرية بصعيد مصر، يقال إنها كانت مدينة السحرة.

(٤) هذه الرواية مرسلة، ولكنها وردت متصلة عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه كعب بن مالك، رواه الطبرانى، وقال الهيثمى فى المجمع (١٠/ ٦٣) (رواه الطبرانى بإسنادين ورجال أحدهما رجال الصحيح. والحديث رواه مسلم (٦٣٧٦) وأحمد (٥/ ١٧٤) عن أبى ذر بلفظ «إنكم ستفتحون مصر وهى أرض يسمى فيها الغيراط، فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها، فإن لهم ذمة ورحماً، أو قال ذمة وحهراً، فإذا رأيت رجلين يختصمان فيها فى موضع لبنة فاخرج منها.

رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ لهم؟ فقال: كانت هاجر أم إسماعيل منهم.

أصل العرب: قال ابن هشام: فالعرب كلها من ولد إسماعيل وقحطان، وبعض أهل اليمن يقول: قحطان من ولد إسماعيل، ويقول: إسماعيل أبو العرب كلها.

قال ابن إسحاق: عاد بن عوص بن إرَم بن سام بن نوح، وثمود وجديس ابنا عابر بن إرم بن سام بن نوح، وطَسْم وعملاق وأمَيم بنو لاوَذ ابن سام بن نوح، عرب كلهم، فولد نابتُ بن إسماعيل: يشجب بن نابت، فولد يشجبُ: يعربَ بن يشجب: فولد يعرب: تيرح بن يعرب، فولد تيرح: ناحور بن تيرح، فولد ناحور: مقوم بن ناحور، فولد مقوم أدد بن مقوم، فولد أدد: عدنان بن أدد. قال ابن هشام: ويقال: عدنان بن أُد.

قال ابن إسحاق: فمن عدنان تفرقت القبائل من ولد إسماعيل بن إبراهيم ـ عليهما السلام ـ فولد عدنان رجلين: معد بن عدنان، وعك بن عدنان.

قال ابن هشام: فصارت عك فى دار اليمن، وذلك أن عكًا تزوج فى الأشعريين، فأقام فيهم؛ فصارت الدار واللغة واحدة. والأشعريون: بنو أشعر بن نبت بن أدد بن زيد بن هَمَيسَع بن عمرو بن عريب بن يشجب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. ويقال: أشعر: نَبْت ابن أدد. ويقال: أشعر: بن مالك، ومالك: مَذحج بن أدد بن زيد بن هميسع. ويقال: أشعر: بن سبأ بن يشجب..

وأنشدنى أبو مُحرز خلف الأحمر، وأبو عبيدة، لعباس بن مرداس، أحد بنى سُليم بن منصور بن عكرمة بن خَصَفَة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، يفخر بعك:

وعك بن عدنان الذين تلقبوا بغسان حتى طُردوا كل مطرد

وهذا البيت فى قصيدة له. وغسان: ماء بسد مأرب باليمن، كان شرْباً لولد مازن ابن الأسد بن الغوث، فسموا به. ويقال: غسان: ماء بالمُشلل قريبَ من الجُحفة، والذين شربوا منه تحزبوا فسموا به قبائل من ولد مازن بن الأسد، بن الغوث، بن نبت، ابن مالك، بن زيد، ابن كهلان، بن سبأ، بن يشجب، بن يعرب، بن قحطان.

******

ذكر نسب الأنصار

قال حسان بن ثابت الأنصارى، والأنصار بنو الأوس والخزرج، ابنى حارثة، بن ثعلبة بن عمرو بن عامر، بن حارثة، بن امرئ القيس، بن ثعلبة، بن مازن، بن الأسد، بن الغوث:

إما سـألت فإنا معـشر نجـب   الأسـد نسبتنا والمـاء غسان

وهذا البيت فى أبيات له.

فقالت اليمن: وبعض عك، وهم الذين بخراسان منهم: عك بن عدنان ابن عبد الله بن الأسد بن الغوث. ويقال: عُدثان بن الديث بن عبد الله بن الأسد بن الغوث.

قال ابن إسحاق: فولد معد بن عدنان أربعة نفر: نزار بن معد، وقضاعة بن معد، وكان قضاعة: بِكْر معد الذى به يكنى ـ فيما يزعمون ـ وقنص بن معد، وإياد بن معد.

فأما قضاعة فتيامنت إلى حمير بن سبأ ـ وكان اسم سبأ: عبد شمس ـ وإنما سمى سبأ؛ لأنه أول من سَبَى فى العرب ـ ابن يشجب بن يعرب بن قحطان.

قال ابن هشام: فقالت اليمن وقضاعة: قضاعة بن مالك بن حمير. وقال عمرو بن مرة الجهنى، وجهينة بن زيد، بن ليث، بن سود، بن أسلم، ابن إلحاف، بن قضاعة:

نحن بنو الشيخ الهِجان الأزهر   قضاعة بن مالك بن حمـير

النسب المعـروف غـير المنكـر   فى الحجر المنقوش تحت المنبر

قنص بن معد ونسب النعمان بن المنذر: قال ابن إسحاق: وأما قُنُص بن معد فهلكت بقيتهم ـ فيما يزعم نساب معد ـ وكان منهم النعمان بن المنذر ملك الحيرة.

قال ابن إسحاق: حدثنى محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهرى: أى النعمان بن المنذر كان من ولد قُنُص بن معد، قال ابن هشام: ويقال: قَنَص.

قال ابن إسحاق: وحدثنى يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس، عنْ شيخ من الأنصار من بنى زُرَيق أنه حدثه: أن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ حين أتى بسيف النعمان بن المنذر، دعا جبير بن مطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف بن قصى ـ وكان جبير من أنسب قريش لقريش، وللعرب قاطبة، وكان يقول: إنما أخذت

النسب من أبى بكر الصديق رضى الله عنه، وكان أبو بكر الصديق أنسب العرب - فسلحه إياه، ثم قال: ممن كان يا جبير: النعمان بن المنذر؟ فقال: كان من أشلاء قنص بن معد.

قال ابن إسحاق: فأما سائر العرب فيزعمون أنه كان رجلا من لخم، من ولد ربيعة بن نصر، فالله أعلم أى ذلك كان.

لخم بن عدى: قال ابن هشام: لخم بن عدى بن الحارث بن مرة بن أدد ابن زيد بن هميسع بن عمرو بن عريب بن يشجب بن زيد بن كهلان بن سبأ. ويقال: لخم بن عدى بن عمرو بن سبأ. ويقال: ربيعة بن نصر بن أبى حارثة بن عمرو بن عامر، وكان تخلف باليمن بعد خروج عمرو بن عامر من اليمن.

****

أمر عمرو بن عامر فى خروجه من اليمن وقصة سد مأرب

وكان سبب خروج عمرو بن عامر من اليمن، فيما حدثنى أبو زيد الأنصارى، أنه رأى جرذًا يحفر فى سد مأرب الذى كان يحبس عليهم الماء فيَصرِّفونه حيث شاءوا من أرضهم، فعلم أنه لا بقاء للسد على ذلك، فاعتزم على النُّقلة من اليمن، فكاد قومه، فأمر أصغر ولده إذا أغلظ له ولطمه، أن يقوم إليه فيلطمه، ففعل ابنه ما أمره به، فقال عمرو: لا أقيم ببلد لطم وجهى فيه أصغر ولدى، وعرض أمواله، فقال أشراف من أشراف اليمن: اغتنموا غضبة عمرو؛ فاشتروا منه أمواله، وانتقل فى ولده وولد ولده. وقالت الأزد: لا نتخلف عن عمرو بن عامر، فباعوا أموالهم، وخرجوا معه، فساروا حتى نزلوا بلاد عك مجتازين يرتادون البلدان.

فحاربتهم عك، فكانت حربهم سجالا، ففى ذلك قال عباس بن مرداس البيت الذى كتبنا، ثم ارتحلوا عنهم، فتفرقوا فى البلدان، فنزل آل جفنة بن عمرو بن عامر: الشام، ونزلت الأوس والخزرج: يثرب، ونزلت خزاعة: مرا، ونزلت أزد: السراة السراة، ونزلت أزد: عمان عمان، ثم أرسل الله تعالى على السد السيل فهدمه، ففيه أنزل الله - تبارك وتعالى - على رسوله محمد - ﷺ -: ﴿**لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور.**

فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم﴾[1].

والعرم: السد، واحدته: عرمة، فيما حدثنى أبو عبيدة.

قال الأعشى: أعشى بنى قيس بن ثعلبة، بن عُكابة، بن صعب، بن على، بن بكر، بن وائل، بن هِنب، بن أفصى، بن جديلة، بن أسد، بن ربيعة، بن نزار، بن معد.

قال ابن هشام: ويقال: أفصى بن دُعمِىٍّ بن جديلة، واسم الأعشى: ميمون بن قيس، بن جندل، بن شراحيل، بن عوف، بن سعد، بن ضُبَيعة، بن قيس، بن ثعلبة:

وفـــى ذاك للمؤتســـى أســـوة ومـــأرب عَفّى عليهـــا العـــرم
رخـــام بنته لهـــم حـــمير إذا جـــاء مَوّاره لـــم يـــرم
فـــأروى الـــزروع وأعنـــابهـــا علـــى ســـعة ماؤهـــم إذ قسـم
فـصاروا أيـــادى مـــا يقدرو ن منه علـى شـرب طـفل فُطم

وهذه الأبيات فى قصيدة له.

وقال أمية بن أبى الصلت الثقفى - واسم ثقيف: قَسِى بن منبِّه، بن بكر، ابن هوازن، بن منصور، بن عكرمة، بن خصَفَة، بن قيس، بن عيلان، بن مضر، بن نزار، بن معد، بن عدنان:

من سبأ الحـــاضرين مـــأرب إذ يبنون مـــن دون ســـيله العرمـــا

وهذا البيت فى قصيدة له. وتروى للنابغة الجعدى، واسمه: قيس بن عبد الله، أحد بنى جعدة، بن كعب، بن ربيعة، بن عامر، بن صعصعة، بن معاوية، بن بكر، بن هوازن. وهو حديث طويل، منعنى من استقصائه ما ذكرت من الاختصار

*****

حديث ربيعة بن نصر ورؤياه

رؤيا ربيعة: قال ابن إسحاق: وكان ربيعة بن نصر ملك اليمن بين أضعاف ملوك التبابعة، فرأى رؤيا هالته، وفظع بها، فلم يدع كاهناً، ولا ساحرًا، ولا عائفاً[2]، ولا منجمًا من أهل مملكته إلا جمعه إليه، فقال لهم: إنى قد رأيت رؤيا هالتنى، وفظعت بها؛ فأخبرونى بها وبتأويلها، قالوا له: اقصصها علينا نخبرك بتأويلها، قال:

---

(١) سبأ: ١٥و ١٦. (٢) العائف: هو من يزجر الطير.

إنى إن أخبرتكم بها لم أطمئن إلى خبركم عن تأويلها، فإنه لا يعرف تأويلها إلا من عرفها قبل أن أخبره بها، فقال له رجل منهم: فإن كان الملك يريد هذا فليبعث إلى سطيح[1] وشق[2]، فإنه ليس أحد أعلم منهما، فهما يخبرانه بما سأل عنه.

واسم سطيح: ربيع بن ربيعة، بن مسعود، بن مازن، بن ذئب، بن عدى، بن مازن غسان.

وشق بن صعب، بن يشكر، بن رهم، بن أفرك، بن قسر، بن عبقر، ابن أنمار، بن نزار، وأنمار أبو بجيلة وخثعم.

نسب بجيلة: قال ابن هشام: وقالت اليمن: وبجيلة بنو أنمار، بن إراش، بن لحيان، بن عمرو، بن الغوث، بن نبت، بن مالك، بن زيد، بن كهلان، بن سبأ، ويقال: إراش بن عمرو، بن لحيان، بن الغوث. ودار بجيلة وخثعم يمانية.

قال ابن إسحاق: فبعث إليهما، فقدم عليه سطيح قبل شق، فقال له: إنى رأيت رؤيا هالتنى، وفظعت بها، فأخبرنى بها، فإنك إن أصبتها أصبت تأويلها.

قال: أفعل. «رأيت حُممة[3]، خرجت من ظُلمة، فوقعت بأرض تَهمة[4]، فأكلت منها كل ذات جمجمة[5]».

فقال له الملك: ما أخطأت منها شيئا يا سطيح؛ فما عندك فى تأويلها؟ فقال: أحلف بما بين الحرتين من حنش، لتهبطن أرضكم الحبش، فليملكن ما بين أبين إلى جُرَش[6]، فقال له الملك: وأبيك ياسطيح، إن هذا لنا لغائظ موجع، فمتى هو كائن، أفى زمانى هذا، أم بعده؟ قال لا، بل بعده بحين، أكثر من ستين أو سبعين، يمضين من السنين. قال: أفيدوم ذلك من ملكهم أم ينقطع؟ قال: لا، بل ينقطع لبضع وسبعين من السنين، ثم يقتلون ويخرجون منها هاربين. قال: ومن يلى ذلك من قتلهم وإخراجهم؟ قال: يليه إرم ذى يزن، يخرج عليهم من عدن، فلا يترك أحدا منهم باليمن.

(١، ٢) وقال السهيلى: وكان سطيح جسماً ملقى لا جوارح له ظ فيما يذكرون ظ ولا يقدر على الجلوس إلا إذا غضب انتفخ فجلس، وكان شعه شعَّه إنسان ـ فيما يذكرون ـ إنما له يد واحد ورجل واحد وعين واحدة، ويذكر عن وهب ابن منبه أنه قالَ: قَيل لسطيح: أنّى لك هذا العلم؟ فقال لى صاحب من الجن أستمع أخبار السماء من طور سيناء حين كلم الله تعالى موسى عليه السلام، فهو يؤدى إلىّ من ذلك مايؤديه «الروض الأنف» (١/ ٢٧).

(٣) الحممة: قطعة من نار.

(٤) أرض تهمة: أى منخفضه ومنه سميت تهامة.

(٥) أى جميع ذوات الأرواح.

(٦) أبين وجرش، أسمان لبلدتان.

قال: أفيدوم ذلك من سلطانه، أم ينقطع؟

قال: لا، بل ينقطع.

قال: ومن يقطعه؟ قال: نبى زكى، يأتيه الوحى من قبل العلى، قال: وممن هذا النبى؟

قال: رجل من ولد غالب بن فهر بن مالك بن النضر، يكون الملك فى قومه إلى آخر الدهر.

قال: وهل للدهر من آخر؟ قال: نعم، يوم يجمع فيه الأولون والآخرون، يسعد فيه المحسنون، ويشقى فيه المسيئون. قال: أحق ما تخبرنى؟ قال: نعم، والشفق والغسق، والفلق إذا اتسق، إن ما أنبأتك به لحق

ثم قدم عليه شق، فقال له كقوله لسطيح، وكتمه ما قال سطيح، لينظر أيتفقان أم يختلفان. فقال: نعم، رأيت حُممة، خرجت من ظُلمة، فوقعت بين روضة وأكمة، فأكلت منها كل ذات نسمة.

قال: فلما قال له ذلك، عرف أنهما قد اتفقا، وأن قولهما واحد. إلا أن سطيحا قال: «وقعت بأرض تهمة، فأكلت منها كل ذات جمجمة».

وقال شق: «وقعت بين روضة وأكمة، فأكلت منها كل ذات نسمة».

فقال له الملك: ما أخطأت يا شق منها شيئا، فما عندك فى تأويلها؟

قال: أحلف بما بين الحرتين من إنسان، لينزلن أرضكم السودان، فليغلبن على كل طَفَلَة البنان، وليملكن ما بين أبين إلى نجران.

فقال له الملك: وأبيك يا شق، إن هذا لنا لغائظ موجع، فمتى هو كائن؟ أفى زمانى، أم بعده؟

قال: لا، بل بعده بزمان، ثم يستنقذكم منهم عظيم ذو شان، ويذيقهم أشد الهوان.

قال: ومن هذا العظيم الشأن؟ قال: غلام، ليس بِدَنِىّ، ولا مدَنّ، يخرج عليهم من بيت ذى يزن، فلا يترك أحدا منهم باليمن.

قال: أفيدوم سلطانه أم ينقطع؟ قال: بل ينقطع برسول مرسل يأتى بالحق والعدل، بين أهل الدين والفضل، يكون الملك فى قومه إلى يوم الفصل. قال: وما يوم الفصل؟ قال: يوم تجزى فيه الولاة ويدعى فيه من السماء بدعوات، يسمع منها الأحياء والأموات، ويجمع فيه بين الناس للميقات، يكون فيه لمن اتقى الفوز والخيرات.

قال: أحق ما تقول؟ قال: إى ورب السماء والأرض، وما بينهما من رفع وخفض، إن ما أنبأتك به لحق، ما فيه أمْض.

قال ابن هشام: أمض. يعنى شكاً: هذا بلغة حمير. وقال أبو عمرو. أمض أى: باطل.

فوقع فى نفس ربيعة بن نصر ما قالا، فجهز بنيه، وأهل بيته إلى العراق بما يصلحهم، وكتب لهم إلى ملك من ملوك فارس يقال له: سابور بن خُرَّزاذ فأسكنهم الحيرة.

رأى آخر فى نسب النعمان بن المنذر: فمن بقية ولد ربيعة بن نصر: النعمان بن المنذر، فهو فى نسب اليمن وعلمهم: النعمان بن المنذر بن عمرو ابن عدى بن ربيعة ابن نصر، ذلك الملك.

قال ابن هشام: النعمان بن المنذر، بن المنذر، فيما أخبرنى خلف الأحمر.

******

استيلاء أبى كرب تُبَّان أسعد على ملك اليمن وغزوه إلى يثرب

قال ابن إسحاق: فلما هلك ربيعة بن نصر، رجع مُلك اليمن كله إلى حسان بن تبان أسعد أبى كرب - وتبان أسعد هو: تبع الآخر، ابن كَلْكِي كَرِبَ بن زيد، وزيد هو تبع الأول بن عمرو ذى الأذعار ابن أبرهة ذى المنار ابن الرَّيِّش - قال ابن هشام: ويقال: الرائش. قال ابن إسحاق: ابن عدى بن صيفى بن سبأ الأصغر، بن كعب، كهف الظلم، بن زيد بن سهل، بن عمرو، ابن قيس، بن معاوية، بن جشم، بن عبد شمس، بن وائل، بن الغوث، بن قطن، بن عريب، بن زهير، بن أيمن، بن الهميسع، ابن العرنجج. والعَرَنَجَج: حميْر بن سبأ الأكبر، بن يعرب، بن يشجب، ابن قحطان.

قال ابن إسحاق: وتبان أسعد أبو كرب الذى قدم المدينة، وساق الحبرين من يهود المدينة إلى اليمن وعمَّر البيت الحرام وكساه، وكان ملكه قبل ملك ربيعة بن نصر.

قال ابن هشام: وهو الذى يقال له:

ليت حظى من أبى كرب ... أن يسد خيرُهُ خبله

تبان يغضب على أهل المدينة: قال ابن إسحاق: وكان قد جعل طريقه - حين

أقبل من المشرق ـ على المدينة، وكان قد مر بها فى بدأته، فلم يهج أهلها، وخلف بين أظهرهم ابنا له، فقتل غيلة؛ فقدمها، وهو مجمع لإخرابها، واستئصال أهلها، وقطع نخلها، فجمع له هذا الحى من الأنصار، ورئيسهم عمرو بن طلَّة أخو بنى النجار، ثم أحد بنى عمرو بن مبذول، واسم مبذول: عامر، بن مالك، بن النجار. واسم النجار: تيم الله بن ثعلبة، بن عمرو، بن الخزرج، بن حارثة، بن ثعلبة، بن عمرو، بن عامر.

عمرو بن طلة ونسبه: قال ابن هشام: عمرو بن طَلَّة: عمرو بن معاوية، ابن عمرو، بن عامر، بن مالك، بن النجار، وطلة: أمه: وهى بنت عامر بن زريق، بن عامر بن زريق، بن عبد حارثة، بن مالك، بن غضب، بن جشم، بن الخزرج.

قصة مقاتلة تبان لأهل المدينة: قال ابن إسحاق: وقد كان رجل من بنى عدى بن النجار يقال له: أحمر، عدا على رجل من أصحاب تبع حين نزل بهم فقتله، وذلك أنه وجده فى عَذْق له يَجُده[1]، فضربه بمنجله فقتله[2]، وقال: إنما التمر لمن أبره[3]، فزاد ذلك تبعًا حنقًا عليهم قال: فاقتتلوا، فتزعم الأنصار أنهم كانوا يقاتلونه بالنهار، ويَقْرُونه بالليل[4]، فيعجبه ذلك منهم، ويقول: والله إن قومنا لكرام!!

فبينا تبع على ذلك من قتالهم، إذ جاءه حبران من أحبار اليهود، من بنى قريظة ـ وقريظة والنضير والنَّجَّام وعمرو ـ وهو هدل ـ بنو الخزرج بن الصريح بن التومان، ابن السِّبطين اليسع، بن سعد، بن لاوىّ، بن خير، بن النجَّام، بن تنحوم، بن عازر، بن عِزْرَى، بن هارون، بن عمران، بن يصهر، بن قاهث، بن لاوى، بن يعقوب ـ وهو إسرائيل ـ بن إسحاق، بن إبراهيم خليل الرحمن ـ صلى الله عليهم ـ عالمان راسخان فى العلم، حين سمعا بما يريد من إهلاك المدينة وأهلها، فقالا له: أيها الملك، لا تفعل، فإنك إن أبيت إلا ما تريد حيل بينك وبينها، ولم نأمن عليك عاجل العقوبة، فقال لهما: ولم ذلك؟ فقالا: هى مُهاجر نبى يخرج من هذا الحرم من قريش فى آخر الزمان، تكون داره وقراره، فتناهى عن ذلك، ورأى أن لهما علما، وأعجبه ما سمع منهما، فانصرف عن المدينة، وأتبعهما على دينهما، فقال خالد بن عبد العزى بن غزية بن عمرو بن عبد بن عوف بن غنم بن مالك بن النجار يفخر بعمرو بن طلة:

أصحا أم قد نهى ذُكَرَه ... أم قضى من لذة وطره[5]

(١) العذق: النخلة. ويجده: يقطعه. (٢) المنجل: حديدة يقطع بها الزرع. (٣) أبر النخل: أصلحه.
(٤) يقرونه: يضيفونه ويكرمونه. (٥) الوطر: الحاجة.

أم تـــذكرتَ الشـباب، ومـا	ذكـــرك الشـباب أو عُصْره[١]
إنهـا خـــرب رَبـاعيَةٌ	مثلها آتـــى الفتـــى عِبَره[٢]
فاســألا عـمران، أو أسـدا	إذ أتت عـــدوا مـــع الزَهَـرة
فيلـــق فيهـا أبـو كُـرِب	سُـبَّغ أبدانهـــا ذَفِـرَه[٣]
ثم قـالوا: مـن نـؤم بها	أبنى عـوف، أم النَّجـرَة؟[٤]
بـل بنى النجـار إن لنـا	فيهـم قتلـى، وإنَّ تِـرَه
فتلقـتهـم مُسـايفـة	مُدَّهـا كـالغيبة النَّثِرة
فيهم عمـرو بـن طلـة ملى	الإلـه قومـه عُمَـره
سـيد سـام الملـوك ومن	رام عمـرا لا يكـن قَدَرَه

وهذا الحى من الأنصار يزعمون أنه إنما كان حنق تبع على هذا الحى من يهود الذين كانوا بين أظهرهم، وإنما أراد هلاكهم، فمنعوهم منه، حتى انصرف عنهم، ولذلك قال فى شعره:

حنـقا علـى سبطين حـلاً يثربا	أولـى لهـم بعقاب يـوم مفسد

قال ابن هشام: الشعر الذى فيه هذا البيت مصنوع، فذلك الذى منعنا من إثباته.

تبع يذهب إلى مكة ويطوف بالكعبة: قال ابن إسحاق: وكان تبع وقومه أصحاب أوثان يعبدونها، فتوجه إلى مكة، وهى طريقه إلى اليمن، حتى إذا كان بين عُسفان، وأمَج أتاه نفر من هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد؛ فقالوا له: أيها الملك ألا ندلك على بيت مال داثر، أغفلته الملوك قبلك، فيه اللؤلؤ والزبرجد والياقوت والذهب والفضة؟ قال: بلى، قالوا: بيت بمكة يعبده أهله، ويصلون عنده. وإنما أراد الهذليون هلاكه بذلك؛ لما عرفوا من هلاك من أراده من الملوك وبغَى عنده. فلما أجمع لما قالوا، أرسل إلى الحبرين، فسألهما عن ذلك، فقالا له: ما أراد القوم إلا هلاكك وهلاك جندك. ما نعلم بيتا لله اتخذه فى الأرض لنفسه غيره، ولئن فعلت ما دعوك إليه، لتهلكن، وليهلكن من معك جميعا، قال: فماذا تأمرانني أن أصنع إذا أنا قدمت عليه؟ قالا: تصنع عنده ما يصنع أهله: تطوف به وتعظمه وتكرمه، وتحلق رأسك عنده وتذل له، حتى تخرج من عنده، قال: فما يمنعكما أنتما من ذلك؟ قالا: أما والله إنه لبيت أبينا إبراهيم، وإنه لكما أخبرناك، ولكن أهله حالوا بيننا

---

(١) عصر الشىء: وقته. (٢) رباعية: أى شديدة، وأراد بها ليست صغيرة، بل هى كبيرة.

(٣) الفيلق: الجيش. وسبغ: جمع سابغ وهو الوافى. والأبدان: أراد بها هنا الدروع، يريد أن دروع هذا الجيش سابغات. وذفرة: فائحة الريح، يريد أن لهم ريحًا ظاهرة.

(٤) أراد بالنجرة بنى النجار.

وبينه بالأوثان التى نصبوها حوله، وبالدماء التى يهرقون عنده، وهم نجس أهل شرك ـ أو كما قالا له ـ فعرف نصحهما وصدق حديثهما فقرب النفر من هذيل، فقطع أيديهم وأرجلهم، ثم مضى حتى قدم مكَة، فطاف بالبيت، ونحر عنده، وحلق رأسه وأقام بمكة ستة أيام ـ فيما يذكرون ـ ينحر بها للناس ويطعم أهلها، ويسقيهم العسل، وأرى فى المنام أن يكسوَ البيت، فكساه الخصف ثم أُرِىَ أن يكسوه أحسن من ذلك، فكساه المعافر، ثم أُرِىَ أن يكسوه أحسن من ذلك، فكَساه الملاء والوصائل، فكان تبع ـ فيما يزعمون ـ أولَ من كسا البيت، وأوصى به ولاته من جرهم، وأمرهم بتطهيره وألا يقربوه دما، ولا ميتة، ولا مثلاة[1] ـ وهى المحايض ـ وجعل له بابا ومفتاحا، وقالت سبيعة بنت الأحب، بن زبينة، بن جذيمة، بن عوف، بن معاوية، بن بكر بن هوازن، بن منصور، بن عكرمة، بن خصفة، بن قيس، بن عيلان، وكانت عند عبد مناف بن كعب، بن سعد، بن تيم، بن مرة، بن كعب، بن لؤى، ابن غالب، بن فهر، بن مالك، بن النضر، بن كنانة، لابن لها منه يقال له: خالد: تعظم عليه حرمة مكة، وتنهاه عن البغى فيها، وتذكر تبعا وتذلله لها، وما صنع بها:

أبُنــىَ: لا تظلــم بمكة	لا الصغير ولا الكــبير
واحفظ محــارمها بنى	ولا يغرنــك الغَــرور
أبُنــىَ: مـن يظلم بمكة	يلق أطــراف الشرور
أبُنــىَ: يضــرب وجـهه	ويَلُحْ بخــديه السعير
أبُنــىَ: قــد جــربتها	فوجـدت ظالمهــا يبـور
الله أمنهــا، ومـــا	بنيت بعَــرْصَتَها قصور[2]
والله آمـــن طيــرها	والعُصـم تأمن فى ثبير[3]
ولقــد غزاهــا تبــع	فكســا بنيتهــا الحبير
وأذل ربــى ملكــه	فيهــا فأوفــى بالنذور
يمشــى إليهــا حافيا	بفنائها ألفــا بعــير
ويظـل يطعــم أهلها	لحم المهارى والجزور[4]
يسقيهم العســل المصفى	والرحيض من الشعير[5]
والفيل أهُلــك جــيشه	يرمــون فيهــا بالصخور
والملْك فــى أقصى البلا	د وفى الأعاجم والخزير
فاسمع إذا حُدثت، وافـ	ـهم كيف عــاقبة الأمور

(١) المثلاة: هى خرقة الحائض وهى أيضا خرقة النائحة.
(٢) العرصة: كل بقعة واسعة ليس فيها بناء.
(٣) العصم: جمع أعصم، وهو الوعل، قيل له ذلك لأنه يعتصم بالجبال. وثبير: جبل بمكة.
(٤) المهارى: هى الإبل العراب النجيبة.
(٥) الرخيص: المغسول.

قال ابن هشام: يوقف على قوافيها لا تعرب

أصل اليهودية باليمن: ثم خرج منها متوجها إلى اليمن بمن معه من جنوده وبالحبرين حتى إذا دخل اليمن دعا قومه إلى الدخول فيما دخل فيه، فأبَوْا عليه، حتى يحاكموه إلى النار التى كانت باليمن.

قال ابن إسحاق: حدثنى أبو مالك بن ثعلبة بن أبى مالك القرظى، قال: سمعت إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله يحدث: أن تبعا لما دنا من اليمن ليدخلها حالت حمير بينه وبين ذلك، وقالوا: لا تدخلها علينا، وقد فارقت ديننا، فدعاهم إلى دينه وقال: إنه خير من دينكم، فقالوا: فحاكمنا إلى النار قال: نعم. قال: وكانت باليمن - فيما يزعم أهل اليمن - نار تحكم بينهم فيما يختلفون فيه، تأكل الظالم ولا تضر المظلوم، فخرج قومه بأوثانهم وما يتقربون به فى دينهم، وخرج الحبران بمصاحفهما فى أعناقهما متقلديها، حتى قعدوا للنار عند مخرجها الذى تخرج منه، فخرجت النار إليهم، فلما أقبلت نحوهم حادوا عنها وهابوها، فَذَمَرَهم من حضرهم من الناس، وأمروهم بالصبر لها، فصبروا حتى غشيتهم، فأكلت الأوثان وما قرّبوا معها، ومن حمل ذلك من رجال حمير، وخرج الحبران بمصاحفهما فى أعناقهما تعرق جباههما لم تضرهما، فأصفقت عند ذلك حمير على دينه، فمن هنالك، وعن ذلك، كان أصل اليهودية باليمن.

قال ابن إسحاق: وقد حدثنى محدث أن الحبرين، ومن خرج من حمير، إنما اتبعوا النار ليردوها، وقالوا: من ردها فهو أولى بالحق، فدنا منها رجال من حمير بأوثانهم ليردوها، فدنت منهم لتأكلهم، فحادوا عنها ولم يستطيعوا ردها، ودنا منها الحبران بعد ذلك، وجعلا يتلوان التوراة، وتنكص عنهما، حتى رداها إلى مخرجها الذى خرجت منه، فأصفقت عند ذلك حمير على دينهما. والله أعلم أى ذلك كان.

هدم البيت المسمى رئام[1]: قال ابن إسحاق: وكان رئام بيتا لهم يعظمونه، وينحرون عنده، ويُكلَّمون منه، إذ كانوا على شركهم، فقال الحبران لتبع: إنما هو شيطان يفتنهم بذلك فخل بيننا وبينه، قال: فشأنكما به، فاستخرجا منه - فيما يزعم أهل اليمن - كلبا أسود فذبحاه، ثم هدما ذلك البيت، فبقاياه اليوم - كما ذكر لى - بها آثار الدماء التى كانت تهراق عليه.

---

(١) رئام: فعال من رئمت الأنثى ولدها ترأمه رئما ورئاما: إذا عطفت عليه ورحمته. فاشتقوا لهذا البيت اسما لموضع الرحمة التى كانوا يلتمسون فى عبادته والله أعلم. قاله السهيلى فى «الروض» (١/ ٤٢).

ملك حسان بن تبان وقتله على يد أخيه عمرو

فلما ملك ابنه حسان بن تبان أسعد أبى كرب، سار بأهل اليمن، يريد أن يطأ بهم أرض العرب، وأرض الأعاجم، حتى إذا كانوا ببعض أرض العراق - قال ابن هشام: بالبحرين، فيما ذكر لى بعض أهل العلم - كرهت حمير وقبائل اليمن المسير معه، وأرادوا الرجعة إلى بلادهم وأهلهم، فكلموا أخا له يقال له عمرو، وكان معه فى جيشه، فقالوا له: اقتل أخاك حسان، ونملكك علينا، وترجع بنا إلى بلادنا، فأجابهم، فاجتمعوا على ذلك إلا ذا رعين الحميرى فإنه نهاه عن ذلك فلم يقبل منه، فقال ذو رعين:

ألا مـــن يشــترى ســهرا بنــوم	ســعيد مـــن يبيت قـــرير عـــين
فإما حـــمير غـدرت، وخـــانت	فـمعذرة الإلـــه لـــذى رعـــين

ثم كتبهما فى رقعة، وختم عليها، ثم أتى بها عمرا، فقال له: ضع لى هذا الكتاب عندك ففعل، ثم قتل عمرو أخاه حسان، ورجع بمن معه إلى اليمن، فقال رجل من حمير:

لاه عينا الذى رأى مثلى حسان قتيلا فى سالف الأحقاب[1]
قتلته مقـــاول خشية الحـــبس غداة قالوا: لبـــاب لبـــاب[2]
ميتكـــم خـــيرنا وحـــــيكم رب علينـا، وكـلكم أربابى

قال ابن إسحاق: وقوله: لباب لباب: لا بأس لا بأس بلغة حمير، قال ابن هشام: ويروى لباب لباب

هلاك عمرو وتفرق حمير: قال ابن إسحاق: فلما نزل عمرو بن تبان اليمن منع منه النوم، وسلط عليه السهر، فلما جهده ذلك سأل الأطباء والحزاة من الكهان والعرافين عما به فقال له قائل منهم: إنه ما قتل رجل قط أخاه، أو ذا رحمه بغيا على مثل ما قتلت أخاك عليه، إلا ذهب نومه، وسلط عليه السهر، فلما قيل له ذلك جعل يقتل كل من أمره بقتل أخيه حسان من أشراف اليمن، حتى خلص إلى ذى رعين، فقال له ذو رعين: إن لى عندك براءة، فقال وما هى؟ قال: الكتاب الذى دفعت إليك، فأخرجه فإذا البيتان، فتركه، ورأى أنه قد نصحه. وهلك عمرو، فمرج أمر حمير عند ذلك وتفرقوا.

(١) لاه: أراد«الله» فحذف لامين، أولاهما لام الجر، والثانية أولى اللامين من لفظ الجلالة«الله»وهى لام التعريف.
(٢) المقاول: المقاول: الذين يخلفون الملوك إذا غابوا.

خبر لخنيعة وذى نواس:

فوثب عليهم رجل من حمير لم يكن من بيوت المملكة، يقال له: لخنيعة ينوف ذوشناتر، فقتل خيارهم، وعبث ببيوت أهل المملكة منهم، فقال قائل من حمير لخنيعة:

تقتل أبناهــا وتنفــى ســـراتها ... وتبنـى بأيـديها لهـا الـذل حمير
تدمــر دنياهـــا بطيش حـــلومها ... وما ضيعت مــن دينهـا فهـو أكثر
كذاك الـقرون قـبل ذاك بظـلمها ... وإسرافها تأتــى الشـرور فتخسر

فسوق لخنيعة: وكان لخنيعة امرءا فاسقا يعمل عمل قوم لوط، فكان يرسل إلى الغلام من أبناء الملوك، فيقع عليه فى مشربة[1] له قد صنعها لذلك، لئلا يملك بعد ذلك، ثم يطلع من مشربته تلك إلى حرسه ومن حضر من جنده، قد أخذ مسواكا فجعله فى فيه، أى: فيعلمهم أنه قد فرغ منه، حتى بعث إلى زرعة ذى نواس بن تبان أسعد أخى حسان، وكان صبيا صغيرا حين قتل حسان، ثم شب غلاما جميلا وسيما ذا هيئة وعقل، فلما أتاه رسوله، عرف ما يريد منه، فأخذ سكينا حديدا لطيفا، فخبأه بين قدمه ونعله، ثم أتاه، فلما خلا معه وثب إليه فواثبه ذو نواس، فوجأه حتى قتله، ثم حز رأسه، فوضعه فى الكوة التى كان يشرف منها، ووضع مسواكه فى فيه، ثم خرج على الناس، فقالوا له: ذا نواس أرطب أم يباس فقال: «سل تحماس استرطبان ذو نواس استرطبان لا باس» قال ابن هشام: هذا كلام حمير. وتحماس: الرأس. فنظروا إلى الكوة فإذا رأس لخنيعة مقطوع، فخرجوا فى إثر ذى نواس حتى أدركوه؛ فقالوا: ما ينبغى أن يملكنا غيرك، إذ أرحتنا من هذا الخبيث.

ملك ذى نواس: فملكوه، واجتمعت عليه حمير وقبائل اليمن، فكان آخر ملوك حمير وهو صاحب الأخدود، وتسمى: يوسف فأقام فى ملكه زمانا.

سبب وجود النصرانية بنجران: وبنجران بقايا من أهل دين عيسى ابن مريم عليه السلام على الإنجيل. أهل فضل واستقامة من أهل دينهم، لهم رأس يقال له: عبد الله بن الثامر.

وكان موقع أصل ذلك الدين بنجران، وهى بأوسط أرضْ العرب فى ذلك الزمان، وأهلها وسائر العرب كلها أهل أوثان يعبدونها، وذلك أن رجلا من بقايا أهل ذلك الدين يقال له: فيميون، وقع بين أظهرهم، فحملهم عليه، فدانوا به.

(١) المشربة: الغرفة المرتفعة.

حديث فيميون: قال ابن إسحاق: حدثنى المغيرة بن أبى لبيد مولى الأخنس، عن وهب بن منبه اليمانى أنه حدثهم: أن موقع ذلك الدين بنجران كان أن رجلا من بقايا أهل دين عيسى ابن مريم يقال له فيميون، وكان رجلا صالحا مجتهدا زاهدا فى الدنيا، مجاب الدعوة، وكان سائحا ينزل بين القرى، لا يعرف بقرية إلا خرج منها إلى قرية لا يعرف بها، وكان لا يأكل إلا من كسب يديه، وكان بنّاء يعمل الطين، وكان يعظم الأحد فإذا كان يوم الأحد لم يعمل فيه شيئا. وخرج إلى فلاة من الأرض يصلى بها حتى يمسى. قال: وكان فى قرية من قرى الشام يعمل عمله ذلك مستخفيا، ففطن لشأنه رجل من أهلها يقال له: صالح، فأحبه صالح حبا لم يحبه شيئا كان قبله. فكان يتبعه حيث ذهب، ولا يفطن له فيميون، حتى خرج مرة فى يوم الأحد إلى فلاة من الأرض ـ كما كان يصنع ـ وقد اتبعه صالح، وفيميون لا يدرى؛ فجلس صالح منه منظر العين مستخفيا منه، لا يحب أن يعلم بمكانه، وقام فيميون يصلى، فبينما هو يصلى إذ أقبل نحوه التنين ـ الحية ذات الرءوس السبعة ـ فلما رآها فيميون دعا عليها فماتت، ورآها صالح ولم يدر ما أصابها، فخافها عليه، فعيل عوله؛ فصرخ: يا فيميون! التنيين قد أقبل نحوك، فلم يلتفت إليه، وأقبل على صلاته حتى فرغ منها، وأمسى، فانصرف، وعرف أنه قد عرف، وعرف صالح أنه قد رأى مكانه. فقال له: يا فيميون! تعلم والله أنى ما أحببت شيئا قط حبك وقد أردت صحبتك، والكينونة معك حيث كنت، فقال: ما شئت أمرى كما ترى، فإن علمت أنك تقوى عليه فنعم، فلزمه صالح، وقد كاد أهل القرية يفطنون لشأنه، وكان إذا فاجأه العبد به الضر دعا له فشفى، وإذا دعى إلى أحد به ضر لم يأته، وكان لرجل من أهل القرية ابن ضرير، فسأل عن شأن فيميون، فقيل له: إنه لا يأتى أحدا دعاه، ولكنه رجل يعمل للناس البنيان بالأجر، فعمد الرجل إلى ابنه ذلك، فوضعه فى حجرته، وألقى عليه ثوبا ثم جاءه فقال له: يا فيميون، إنى قد أردت أن أعمل فى بيتى عملا، فانطلق معى إليه حتى تنظر إليه فأشارطك عليه، فانطلق معه حتى دخل حجرته، ثم قال له: ما تريد أن تعمل فى بيتك هذا؟ قال: كذا وكذا، ثم انتشط الرجل الثوب عن الصبى، ثم قال له: يا فيميون، عبد من عباد الله أصابه ما ترى، فادع الله له؛ فدعا له فيميون ؛ فقام الصبى ليس به بأس.

وعرف فيميون أنه عرف، فخرج من القرية، واتبعه صالح، فبينما هو يمشى فى بعض الشام إذ مر بشجرة عظيمة، فناداه منها رجل، فقال: يا فيميون! قال: نعم.

قال: ما زلت أنظرك[1]، وأقول: متى هو جاء؟ حتى سمعت صوتك، فعرفت أنك هو، لا تبرح حتى تقوم عليَّ فإني ميت الآن. قال: فمات، وقام عليه حتى واراه، ثم انصرف، وتبعه صالح، حتى وطئا بعض أرض العرب، فعدوا عليهما، فاختطفتهما سيارة[2] من بعض العرب، فخرجوا بهما، حتى باعوهما بنجران، وأهل نجران يومئذ على دين العرب، يعبدون نخلة طويلة بين أظهرهم، لها عيد فى كل سنة، إذا كان ذلك العيد علقوا عليها كل ثوب حسن وجدوه، وحلى النساء، ثم خرجوا إليها، فعكفوا عليها يوما.

فابتاع فيميون رجل من أشرافهم، وابتاع صالحا آخر، فكان فيميون إذا قام من الليل - يتهجد فى بيت له أسكنه إياه سيده - يصلى، استسرج[3] له البيت نورا حتى يصبح من غير مصباح، فرأى ذلك سيده، فأعجبه ما يرى منه، فسأله عن دينه، فأخبره به، وقال له فيميون: إنما أنتم فى باطل، إن هذه النخلة لا تضر ولا تنفع، ولو دعوت عليها إلهى الذى أعبده، لأهلكها وهو الله وحده لاشريك له، قال: فقال له سيده: فافعل، فإنك إن فعلت دخلنا فى دينك، وتركنا ما نحن عليه. قال: فقام فيميون، فتطهر وصلى ركعتين، ثم دعا الله عليها، فأرسل الله عليها ريحا فجعفتها من أصلها فألقتها؛ فاتبعه عند ذلك أهل نجران على دينه، فحملهم على الشريعة من دين عيسى ابن مريم عليه السلام، ثم دخلت عليهم الأحداث التى دخلت على أهل دينهم بكل أرض، فمن هنالك كانت النصرانية بنجران فى أرض العرب.

قال ابن إسحاق: فهذا حديث وهب بن منبه عن أهل نجران

*****

خبر عبد الله بن الثامر

عبد الله بن الثامر والاسم الأعظم: قال ابن إسحاق: وحدثنى يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظى، وحدثنى أيضا بعض أهل نجران عن أهلها: أن أهل نجران كانوا أهل شرك يعبدون الأوثان، وكان فى قرية من قراها قريبا من نجران، ونجران: القرية العظمى التى إليها جماع أهل تلك البلاد - ساحر يعلم غلمان أهل نجران السحر، فلما نزلها فيميون - ولم يسموه لى باسمه الذى سماه به وهب بن منبه، قالوا: رجل نزلها - ابتنى خيمة بين نجران، وبين تلك القرية التى بها الساحر، فجعل

(١) أنظرك: أى أنتظرك.
(٢) السيارة: هم جماعة من الناس يسيرون بالتجارة.
(٣) استسرج: أى أضاء البيت.

أهل نجران يرسلون غلمانهم إلى ذلك الساحر، يعلمهم السحر، فبعث إليه الثامر ابنه عبد الله بن الثامر مع غلمان أهل نجران، فكان إذا مر بصاحب الخيمة أعجبه ما يرى منه من صلاته وعبادته، فجعل يجلس إليه، ويسمع منه حتى أسلم، فوحد الله وعبده، وجعل يسأله عن شرائع الإسلام حتى إذا فقه فيه، جعل يسأله عن الاسم الأعظم - وكان يعلمه - فكتمه إياه وقال له: يابن أخى! إنك لن تحمله، أخشى عليك ضعفك عنه.

والثامر أبو عبد الله لا يظن إلا أن ابنه يختلف إلى الساحر كما يختلف الغلمان، فلما رأى عبد الله أن صاحبه قد ضن به عنه، وتخوف ضعفه فيه، عمد إلى قداح فجمعها، ثم لم يبق لله اسما يعلمه إلا كتبه فى قدح، لكل اسم قدح، حتى إذا أحصاها أوقد لها نارا، ثم جعل يقذفها فيها قدحا قدحا، حتى إذا مر بالاسم الأعظم قذف فيها بقدحه، فوثب القدح حتى خرج منها لم تضره شيئا، فأخذه ثم أتى صاحبه، فأخبره بأنه قد علم الاسم الذى كتمه، فقال: وما هو؟ قال: هو كذا وكذا، قال: وكيف علمته؟ فأخبره بما صنع، قال: أى ابن أخى! قد أصبته فأمسك على نفسك، وما أظن أن تفعل.

عبد الله بن الثامر يدعو إلى التوحيد: فجعل عبد الله بن الثامر إذا دخل نجران لم يلق أحدا به ضر إلا قال: يا عبد الله، أتوحد الله، وتدخل فى دينى، وأدعو الله، فيعافيك مما أنت فيه من البلاء؟ فيقول: نعم، فيوحد الله ويسلم، ويدعو له فيشفى، حتى لم يبق بنجران أحد به ضر إلا أتاه فاتبعه على أمره، ودعا له فعوفى، حتى رفع شأنه إلى مَلك نجران، فدعاه فقال له: أفسدت علىّ أهل قريتى، وخالفت دينى ودين آبائى، لأمثلن بك. قال: لا تقدر على ذلك. قال: فجعل يرسل به إلى الجبل الطويل، فيطرح على رأسه، فيقع إلى الأرض ليس به بأس، وجعل يبعث به إلى مياه بنجران، بحور لا يقع فيها شىء إلا هلك، فيلقى فيها، فيخرج ليس به بأس، فلما غلبه؛ قال له عبد الله بن الثامر: إنك والله لن تقدر على قتلى حتى توحد الله فتؤمن بما آمنت به، فإنك إن فعلت ذلك، سلطت على فقتلتنى، قال: فوحد الله تعالى ذلك الملك، وشهد شهادة عبد الله بن الثامر، ثم ضربه بعصا فى يده، فشجه شجة غير كبيرة، فقتله ثم هلك الملك مكانه، واستجمع أهل نجران على دين عبد الله بن الثامر، وكان على ما جاء به عيسى ابن مريم من الإنجيل وحكمه، ثم أصابهم مثل ما أصاب أهل دينهم من الأحداث، فمن هنالِك كان أصل النصرانية بنجران، والله أعلم بذلك.

قال ابن إسحاق: فهذا حديث محمد بن كعب القرظى، وبعض أهل نجران عن

عبد الله بن الثامر، والله أعلم أى ذلك كان.[1]

ذو نواس يدعو أهل نجران إلى اليهودية: فسار إليهم ذو نواس بجنوده، فدعاهم إلى اليهودية، وخيرهم بين ذلك والقتل؛ فاختاروا القتل، فخد لهم الأخدود، فحرق من حرق بالنار وقتل منّ قتل بالسيف، ومثل بهم، حتى قتل منهم قريبا من عشرين ألفا، ففى ذى نواس وجنده تلك أنزل الله تعالى على رسوله سيدنا محمد ﷺ: **﴿قتل أصحاب الأخدود. النار ذات الوقود إذ هم عليها قعود. وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود. وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد﴾**[2].

تفسير الأخدود: قال ابن هشام: الأخدود: الحفر المستطيل فى الأرض، كالخندق والجدول ونحوه، وجمعه: أخاديد، قال ذو الرمة - واسمه: غيلان ابن عقبة، أحد بنى عدى بن عبد مناف بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر:

مـــن العراقية اللاتـــى يحـيل لها ... بين الفـــلاة وبـــين النخـــل أخـــدود

يعنى: جدولا. وهذا البيت فى قصيدة له، قال: ويقال لأثر السيف والسكين فى الجلد، وأثر السوط ونحوه: أخدود، وجمعه أخاديد.

نهاية عبد الله بن الثامر: قال ابن إسحاق: ويقال: كان فيمن قتل ذو نواس، عبد الله بن الثامر رأسهم وإمامهم.

قال ابن إسحاق: حدثنى عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أنه حدث: رجلا من أهل نجران كان فى زمان عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - حفر خربة من خرب نجران لبعض حاجته، فوجدوا عبد الله بن الثامر تحت دفن منها قاعدا، واضعا يده على ضربة فى رأسه، ممسكا عليها بيده، فإن أخرت يده عنها تنبعث دما، وإذا أرسلت يده ردها عليها، فأمسكت دمها، وفى يده خاتم مكتوب فيه: «ربى الله» فكتب فيه إلى عمر ابن الخطاب يخبر بأمره، فكتب إليهم عمر رضى الله عنه: أن أقروه على حاله وردوا عليه الدفن الذى كان عليه ففعلوا.

فرار دوس ذى ثعلبان من ذى نواس واستنجاده بقيصر

قال ابن إسحاق: وأفلت منهم رجل من سبأ، يقال له دوس ذو ثعلبان على

---

(1) وردت قصة أهل نجران ودخولهم النصرانيه فى «صحيح مسلم» (٧٣٦٧) كتاب الزهد، باب: قصة أصحاب الاخدود والسامر والراهب والغلام والاعتماد عليه أولى مما ذكره ابن إسحاق للقطع بصحته وضبط الفاظه.

(2) البروج: ٤ ـ ٨.

فرس له، فسلك الرمل فأعجزهم، فمضى على وجهه ذلك، حتى أتى قيصر ملك الروم، فاستنصره على ذى نواس وجنوده، وأخبره بما بلغ منهم، فقال له: بعدت بلادك منا، ولكن سأكتب لك إلى ملك الحبشة فإنه على هذا الدين، وهو أقرب إلى بلادك، وكتب إليه يأمره بنصره والطلب بثأره.

النجاشى ينصر دوساً: فقدم دوس على النجاشى بكتاب قيصر، فبعث معه سبعين ألفا من الحبشة، وأمَّر عليهم رجلا منهم يقال له: أرياط - ومعه فى جنده أبرهة الأشرم - فركب أرياط البحر حتى نزل بساحل اليمن، ومعه دوس ذو ثعلبان.

نهاية ذى نواس: وسار إليه ذو نواس فى حمير، ومن أطاعه من قبائل اليمن، فلما التقوا انهزم ذو نواس وأصحابه، فلما رأى ذو نواس ما نزل به وبقومه، وجه فرسه فى البحر، ثم ضربه، فدخل به فخاض به ضحضاح البحر، حتى أفضى به إلى غمره[١] ، فأدخله فيه، وكان آخر العهد به، ودخل أرياط اليمن، فملكها.

فقال رجل من أهل اليمن - وهو يذكر ما ساق إليهم دوس من أمر الحبشة: «لا كدوس ولا كأعلاق رحله».

فهى مَثل باليمن إلى هذا اليوم.

قول ذى جدن الحميرى فى هذه القصة: وقال ذو جدن الحميرى:

هونك ليس يرد الدمع ما فاتا ... لا تهلكى أسفا فى إثر من ماتا
أبعد بينون لا عين ولا أثر ... وبعد سلحين يبنى الناس أبياتا[٢]

بينون وسلحين وغمدان: من حصون اليمن التى هدمها أرياط، ولم يكن فى الناس مثلها. وقال ذو جدن أيضا:

دعينى - لا أبالك - لن تطيقى ... لحاك الله! قد أنزفت ريقى[٣]
لدى عزف القيان إذ انتشينا ... وإذا نسقى من الخمر الرحيق
وشرب الخمر ليس علىّ عارا ... إذا لم يكن يشكنى فيها رفيقى
فإن الموت لا ينهاه ناه ... ولو شرب الشفاء مع النشوق[٤]

---

(١) الضحضاح من الماء: الذى يظهر منه القعر، وهو الماء القليل الذى يبلغ الكعبين. والغمر: هو الماء الكثير.
(٢) بينون وسلحين: مدينتان من مدن اليمن.
(٣) أى لن تطيقى صرفى بالعذل عن شأنى لأنك أكثرت علىّ من العذل حتى أيبست ريقى فى فمى.
(٤) المراد أنه لو شرب كل دواء يستشفى به لما دفع ذلك عنه الموت، وكذا لو استنشق كل نشوق ما أبعد ذلك الموت عنه.

ولا مترهـــب فـــى أسـطوان | يناطـــح جـدره بـيض الأنوق[1]
وغمدان الـــذى حـــدثت عنـه | بنـــوه مسمَّكا فـــى رأس نيق[2]
بمنهمـــة، وأسفلــه جُــرون | وحر الموْحــل اللثق الـزليق[3]
مصابيـــح السليـط تلـوح فيه | إذا يمسى كتومـاض البـروق[4]
ونخــلته التــى غرسـت إليــه | يكاد البـسر يهصـر بالعذوق[5]
فأصبـــح بعـــد جـدته رمـاد | وغير حـــسنه لهـــب الحــريق
وأســلم ذو نـــواس مستكينا | وحــذر قـومـه ضنق المضيق[6]

قول ربيعة بن الذئبة الثقفى فى هذه القصة: وقال عبد الله بن الذئبة الثقفى فى ذلك - قال ابن هشام: الذئبة أمه واسمه: ربيعة بن عبد ياليل بن سالم بن مالك بن حطيط بن جشم بن قسى.

لعمـــرك ما للفتى من مقـــر | مع المـوت يلحـــقه والكبر
لعمرك ما للفـتى من صُحْــــرة | لعمـرك ما إن له من وَزَرْ[7]
أبعد قبـــائل من حميـــــــر | أبيدوا صبـــاحا بذات العبر[8]
بألف ألـــــوف وحُـــــرَّابة | كمثل الســماء قبيل المطر[9]
يصم صيـــــاحهم المقْرَبات | وينفون من قاتلـــوا بالذفر[10]
سَـــعاليَ مثل عـــديد الترا | ب تيبس منهم رطاب الشجر[11]

قول عمرو بن معدى كرب الزبيدى فى هذه القصة: وقال عمرو بن معدى كرب الزبيدى فى شىء كان بينه وبين قيس بن مكشوح المرادى، فبلغه أنه يتوعده، فقال

---

(١) أى: ولا دعاء مترهب يدعو لك. وجدر: جمع جدار. والأنوق: الأنثى من الرخم، يقال فى المثل: «أعز من بيض الأنوق» لأنها تبيض حيث لا يدرك بيضها من شواهق الجبال.
(٢) مسمكًا: أى مرتفعاً. والنيق: هو الجبل، ورأسه أعلاه.
(٣) المنهمة: موضع الرهبان. والراهب يقال له: النهامى. والجرون: الحجارة. وحرة الموحل: خالص كل شىء. واللثق: اختلاط الماء بالتراب فيكثر فيه الزلق.
(٤) السليط: دهن الزيت.
(٥) يصهر: أى يميل بها. والعذوق: جمع عذق وهو من التمر بمنزلة العنقود من العنب.
(٦) مستكينًا: خاضعًا ذليلاً. (٧) صحرة: أى نجاة. والوزر: الملجأ. (٨) ذات العبر: أى ذات الحزن.
(٩) الحرابة: أصحاب الحراب. وكمثل السماء: أراد بها سوداء لاسوداد السحاب وظلمته قُبيل المطر.
(١٠) المقربات: الخيل العتاق التى لا تسرح فى المرعى، بل تحبس فى البيوت استعدادًا للعدو. والذفر: شدة الرائحة الكريهة.
(١١) شبه هؤلاء القوم بالسعالى من الجن.

يذكر حمير وعزها، ومازال من ملكها عنها:

أتوعدنى كأنك ذو رعين ـ بأفضل عيشة ـ أو ذو نواس
وكائن كان قبلك من نعيم وملك ثابت فى الناس راسى
قديم عهده من عهد عاد عظيم قاهر الجبروت قاسى
فأمسى أهله بادوا، وأمسى يحول من أناس فى أناس

نسب زبيد ومراد: قال ابن هشام: زبيد بن سلمة بن مازن بن منبه بن صعب بن سعد العشيرة بن مذحج. ويقال: زبيد بن منبه بن صعب بن سعد العشيرة، ويقال: زبيد بن صعب بن سعد. ومراد: يحابر بن مذحج.

لماذا قال عمرو بن معدى كرب هذا الشعر: قال ابن هشام: وحدثنى أبو عبيدة، قال: كتب عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ إلى سلمان بن ربيعة الباهلى، وباهلة ابن يعصر ابن سعد بن قيس بن عيلان. وهو بإرمينية يأمره أن يفضِّل أصحاب الخيل العراب[1] على أصحاب الخيل المقارف[2] فى العطاء، فعرض الخيل، فمر به فرس عمرو بن معدى كرب، فقال له سلمان: فرسك هذا مقرف، فغضب عمرو، وقال: هجين عرف هجينا مثله، فوثب إليه قيس فتوعده، فقال عمرو هذه الأبيات.

تصديق قول شق وسطيح. قال ابن هشام: فهذا الذى عنى سطيح الكاهن بقوله: «ليهبطن أرضكم الحبس فليملكن مابين أبين إلى جُرس، والذى عنى شق الكاهن بقوله: «لينزلن أرضكم السودان، فليغلبن على كل طفلة البنان، وليملكن ما بين أبين إلى نجران».

النزاع على اليمن بين أبرهة وأرياط

قال ابن إسحاق: فأقام أرياط بأرض اليمن سنين فى سلطانه ذلك، ثم نازعه فى أمر الحبشة باليمن أبرهة الحبشى، حتى تفرقت الحبشة عليهما، فانحاز إلى كل واحد منهما طائفة منهم، ثم سار أحدهما إلى الآخر، فلما تقارب الناس أرسل أبرهة إلى أرياط: إنك لا تصنع بأن تلقى الحبشة بعضها ببعض، حتى تفنيها شيئا، فابرز إلى، وأبرز إليك، فأينا أصاب صاحبه انصرف إليه جنده، فأرسل إليه أرياط: أنصفت؛ فخرج إليه أبرهة ـ وكان رجلا قصيرا لحيما، وكان ذا دين فى النصرانية ـ وخرج إليه أرياط وكان رجلا جميلا عظيما طويلا، وفى يده حربة له وخلف أبرهة غلام له،

(١) الخيل العراب: العربية الأصل. (٢) المقارف: جمع مقرف، وهو ما كانت أمه عربية.

يقال له: عتودة، يمنع ظهره، فرفع أرياط الحربة، فضرب أبرهة يريد يافوخه، فوقعت الحربة على جبهة أبرهة، فشرمت حاجبه وأنفه وعينه وشفته، فبذلك سمى: أبرهة الأشرم، وحمل عتودة على أرياط من خلف أبرهة فقتله، وانصرف جند أرياط إلى أبرهة، فاجتمعت عليه الحبشة باليمن، وَوَدى أبرهة أرياط.

غضب النجاشى على أبرهة: فلما بلغ النجاشى غضب غضبا شديدا وقال: عدا على أميرى، فقتله بغير أمرى، ثم حلف: لايدع أبرهة حتى يطأ بلاده، ويجز ناصيته، فحلق أبرهة رأسه وملأجرابا من تراب اليمن، ثم بعث به إلى النجاشى، ثم كتب إليه:

«أيها الملك، إنما كان أرياط عبدك، وأنا عبدك، فاختلفنا فى أمرك، وكل طاعته لك، إلا أنى كنت أقوى على أمر الحبشة، وأضبط لها، وأسوس منه، وقد حلقت رأسى كله حين بلغنى قسم الملك، وبعثت إليه بجراب تراب من أرضى؛ ليضعه تحت قدميه، فيبر قسمه فىَّ».

فلما انتهى ذلك إلى النجاشى رضى عنه، وكتب إليه: أن اثبت بأرض اليمن حتى يأتيك أمرى، فأقام أبرهة باليمن.

«القليس»[1] أو كنيسة أبرهة: ثم إن أبرهة بنى القليس بصنعاء، فبنى كنيسة لم ير مثلها فى زمانها بشىء من الأرض، ثم كتب إلى النجاشى: أنى قد بنيت لك أيها الملك كنيسة لم ين مثلها لملك كان قبلك، ولست بمنته حتى أصرف إليها حجَّ العرب، فلما تحدثت العرب بكتاب أبرهة ذلك إلى النجاشى، غضب رجل من النَّسَأة، أحد بنى فقيم بن عدى بن عامر بن ثعلبة ابن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر.

النسأة: والنسأة: الذين كانوا ينسئون الشهور على العرب فى الجاهلية، فيحلون الشهر من الأشهر الحرم، ويحرمون مكانه الشهر من أشهر الحل، ليواطئوا عدة ما حرم الله، ويؤخرون ذلك الشهر[2]، ففيه أنزل الله تبارك وتعالى: **﴿إنما النسىء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله﴾**[3].

---

(١) القليس: هى الكنيسة التى بناها أبرهة ليجمع العرب إليها بدلا من الكعبة وسمين بهذ الاسم لارتفاع بنائها وعلوها.

(٢) وكانوا يفعلون ذلك حتى لا تقع منهم الغارات على بعضهم فى الأشهر الحرم وهذا كان احتراماً منهم لهذه الأشهر.

(٣) التوبة: ٣٧.

قال ابن هشام: ليواطئوا: ليوافقوا، والمواطأة: الموافقة، تقول العرب: واطأتك على هذا الأمر، أى وافقتك عليه، والإيطاء فى الشعر: الموافقة، وهو اتفاق القافيتين من لفظ واحد وجنس واحد، نحو قول العجاج ـ واسم العجاج: عبد الله بن رؤبة أحد بنى سعد بن زيد مناة بن تميم بن مر بن أد ابن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار.

فى أثعبان المنجنون المرسل[1]

ثم قال: مد الخليج فى الخليج المرسل[2]

وهذان البيتان فى أرجوزة له.

أول من ابتدع النسىء: قال ابن إسحاق: وكان أول من نسأ الشهور على العرب، فأحلت منها ما أحل، وحرمت منها ما حرم: القلمس[3] وهو حذيفة بن عبد بن فقيم بن عدى بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمة، ثم قام بعده على ذلك ابنه عبّاد بن حذيفة، ثم قام بعد عباد: قلع بن عباد، ثم قام بعد قلع: أمية بن قلع، ثم قام بعد أمية: عوف بن أمية، ثم قام بعد عوف: أبو ثمامة، جنادة بن عوف، وكان آخرهم، وعليه قام الإسلام، وكانت العرب إذا فرغت من حجها اجتمعت إليه، فحرم الأشهر الحرم الأربعة: رجبا، وذا القعدة، وذا الحجة، والمحرم. فإذا أراد أن يحل شيئا أحل المحرم فأحلوه حرم مكانه صفر فحرموه؛ ليواطئوا عدة الأربعة الأشهر الحرم. فإذا أرادوا الصدر قام فيهم فقال: «اللهم إنى قد أحللت لك أحد الصفرين، الصفر الأول، ونسأت الآخر للعام المقبل». فقال فى ذلك عمير بن قيس، جذل الطعان، أحد بنى فراس بن غنم بن ثعلبة بن مالك بن كنانة، يفخر بالنسأة على العرب:

لقد علمت معد أن قومى ... كرام الناس أن لهم كراما[4]

فأى الناس فاتونا بوتر ... وأى الناس لم نُعْلك لجاما[5]

ألسنا الناسئين على معدّ ... شهور الحل نجعلها حراما؟

قال ابن هشام: أول الأشهر الحرم: المحرم.

---

(١) الأثعبان: الجدول الذى يندفع الماء من مجراه، والمنجنون: البكرة التى يستقى عليها.

(٢) الخليج: هو النهر الصغير يخرج من النهر الكبير.

(٣) سمى بالقلمس لجوده إذ أنه من أسماء البحر.

(٤) أن لهم كرامًا: أراد أن لهم آباء كرامًا أو أخلاقًا كرامًا. وأصل الكلام أن قومى كرام الناس بأن لهم أخلاقًا كرامًا.

(٥) فاتونا بوتر: الوتر: طلب الثأر، يريد لم يستطع أحد من الناس أن يفلت منا إذا طلبناه بثأر لنا عنده. ولم نعلك لجاماً: أى لم نزجرهم كما ينزجر الفرس باللجام.

الكنانى يحدث فى القليس: قال ابن إسحاق: فخرج الكنانى حتى أتى القُلّيس فقعد فيها - قال ابن هشام: يعنى أحدث فيها - قال ابن إسحاق: ثم خرج فلحق بأرضه، فأخبر بذلك أبرهة فقال: من صنع هذا؟ فقيل له: صنع هذا رجل من العرب من أهل هذا البيت الذى تحج العرب إليه بمكة لما سمع قولك: «أصرف إليها حج العرب» غضب فجاء؛ فقعد فيها، أى أنها ليست لذلك بأهل.

خروج أبرهة لهدم الكعبة: فغضب عند ذلك أبرهة وحلف: ليسيرن إلى البيت حتى يهدمه، ثم أمر الحبشة فتهيأت وتجهزت، ثم سار وخرج معه بالفيل، وسمعت بذلك العرب، فأعظموه وفظعوا به، ورأوا جهاده حقا عليهم، حين سمعوا بأنه يريد هدم الكعبة. بيت الله الحرام.

أشراف اليمن يدافعون عن البيت: فخرج إليه رجل من أشراف أهل اليمن وملوكهم يقال له: ذو نفر، فدعا قومه، ومن أجابه من سائر العرب إلى حرب أبرهة، وجهاده عن بيت الله الحرام، وما يريد من هدمه وإخرابه، فأجابه إلى ذلك من أجابه، ثم عرض له فقاتله، فهُزم ذو نفر وأصحابه، وأخذ له ذو نفر، فأتى به أسيرا، فلما أراد قتله، قال له ذو نفر: أيها الملك، لاتقتلنى فإنه عسى أن يكون بقائى معك خيرا لك من قتلى، فتركه من القتل، وحبسه عنده فى وثاق، وكان أبرهة رجلا حليما.

خثعم تجاهد أبرهة: ثم مضى أبرهة على وجهه ذلك يريد ما خرج له، حتى إذا كان بأرض خثعم عرض له نفيل بن حبيب الخثعمى فى قبيلى خثعم: شهران وناهس، ومن تبعه من قبائل العرب، فقاتله فهزمه أبرهة، وأخذ له نفيل أسيرا، فأتى به، فلما هم بقتله قال له نفيل: أيها الملك، لا تقتلنى فإنى دليلك بأرض العرب، وهاتان يداى لك على قبيلى خثعم: شهران وناهس بالسمع والطاعة، فخلى سبيله.

وخرج به معه يدله، حتى إذا مر بالطائف خرج إليه مسعود بن معتب ابن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف فى رجال ثقيف.

نسب ثقيف: واسم ثقيف: قسى بن النَّبيت بن منبه بن منصور بن يقدم ابن أفصى بن دُعمىّ بن إياد بن نزار بن معد بن عدنان.

قال أمية بن أبى الصلت الثقفى:

قومى إياد لو أنهم أمم ... أو: لو أقاموا فتهزل النَّعم[1]

(١) النعم: الإبل.

قوم لهم ساحة العراق إذا ساروا جميعا والقط والقلم

وقال أمية بن أبى الصلت أيضا:

فإما تسألى عنى - لُبَيْنَى وعن نسبى - أخبرك اليقينا
فإنا للنبيت أبى قسى لمنصور بن يقدم الأقدمينا

قال ابن هشام: ثقيف: قسى بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، والبيتان الأولان والآخران فى قصيدتين لأمية.

ثقيف تهادن أبرهة: قال ابن إسحاق: فقالوا له: أيها الملك، إنما نحن عبيدك سامعون لك مطيعون، ليس عندنا لك خلاف، وليس بيتنا هذا البيت الذى تريد - يعنون اللات - إنما تريد البيت الذى بمكة، ونحن نبعث معك من يدلك عليه، فتجاوز عنهم.

اللات: واللات: بيت لهم بالطائف كانوا يعظمونه نحو تعظيم الكعبة.

قال ابن هشام: أنشدنى أبو عبيدة النحوى لضرار بن الخطاب الفهرى:

وفرت ثقيف إلى لاتها بمنقلب الخائب الخاسر

وهذا البيت فى أبيات له.

أبو رغال ورجم قبره: قال ابن إسحاق: فبعثوا معه أبا رغال يدله على الطريق إلى مكة فخرج أبرهة ومعه أبو رغال حتى أنزله المغمس، فلما أنزله به مات أبو رغال هناك، فرجمت قبره العرب، فهو القبر الذى يرجم الناس بالمغمس[1].

الأسود بن مقصود يهاجم مكة: فلما نزل أبرهة المغمس، بعث رجلا من الحبشة يقال له: الأسود بن مقصود على خيل له، حتى انتهى إلى مكة، فساق إليه أموال تهامة من قريش وغيرهم وأصاب فيها مائتى بعير لعبدالمطلب بن هاشم، وهو يومئذ كبير قريش وسيدها، فهمت قريش وكنانة وهذيل ومن كان بذلك الحرم بقتاله، ثم عرفوا أنهم لا طاقة لهم به، فتركوا ذلك.

رسول أبرهة إلى مكة: وبعث أبرهة حباطة الحميرى إلى مكة، وقال له: سل عن سيد أهل هذا البلد وشريفها، ثم قل له: إن الملك يقول لك: إنى لم آت لحربكم، إنما جئت لهدم هذا البيت، فإن لم تتعرضوا دونه بحرب، فلا حاجة لى بدمائكم،

---

(١) المغمس: مكان يبعد عن مكة بثلثى فرسخ.

فإن هو لم يرد حربى فأتنى به؛ فلما دخل حناطة مكة، سأل عن سيد قريش وشريفها، فقيل له: عبدالمطلب بن هاشم، فجاءه، فقال له ماأمره به أبرهة، فقال له عبد المطلب: والله ما نريد حربه، وما لنا بذلك من طاقة، هذا بيت الله الحرام، وبيت خليله إبراهيم - عليه السلام - أو كما قال - فإن يمنعه منه، فهو بيته وحرمه، وإن يخل بينه وبينه، فوالله ما عندنا دفع عنه. فقال له حناطة: فانطلق معى إليه، فإنه قد أمرنى أن آتيه بك.

أنيس يشفع لعبد المطلب: فانطلق معه عبد المطلب، ومعه بعض بنيه، حتى أتى العسكر، فسأل عن ذى نفر، وكان له صديقا، دخل عليه وهو فى محبسه، فقال له: يا ذا نفر هل عندك من غناء فيما نزل بنا؟ فقال له ذو نفر: وما غناء رجل أسير بيدى ملك ينتظر أن يقتله غدوا أو عشيا؟! ما عندنا غناء فى شىء مما نزل بك، إلا أن أنيسا سائس الفيل صديق لى، وسأرسل إليه فأوصيه بك، وأعظم عليك حقك، وأسأله أن يستأذن لك على الملك، فتكلمه بما بدا لك، ويشفع لك عنده بخير إن قدر على ذلك، فقال: حسبى. فبعث ذو نفر إلى أنيس، فقال له: إن عبد المطلب سيد قريش، وصاحب عير مكة، يطعم الناس بالسهل، والوحوش فى رءوس الجبال، وقد أصاب له الملك مائتى بعير، فاستأذن عليه، وانفعه عنده بما استطعت، فقال: أفعل.

فكلم أنيس أبرهة، فقال له: أيها الملك: هذا سيد قريش ببابك يستأذن عليك، وهو صاحب عير مكة، وهو يطعم الناس فى السهل، والوحوش فى رءوس الجبال، فأذن له عليك فيكلمك فى حاجته، قال: فأذن له أبرهة.

الإبل لى والبيت له رب يحميه: قال: وكان عبد المطلب أوسم الناس وأجملهم وأعظمهم فلما رآه أبرهة أجله وأعظمه وأكرمه عن أن يجلسه تحته، وكره أن تراه الحبشة يجلس معه على سرير ملكه، فنزل أبرهة على سريره، فجلس على بساطه، وأجلسه معه عليه إلى جنبه، ثم قال لترجمانه: قل له: حاجتك؟ فقال له ذلك الترجمان. فقال: حاجتى أن يرد علىّ الملك مائتى بعير أصابها لى، فلما قال له ذلك، قال أبرهة لترجمانه: قل له: قد كنت أعجبتنى حين رأيتك، ثم قد زهدت فيك حين كلمتنى، أتكلمنى فى مائتى بعير أصبتها لك، وتترك بيتا هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه، لا تكلمنى فيه؟! قال له عبد المطلب: إنى أنا رب الإبل وإن للبيت ربا سيمنعه، قال: ما كان ليمتنع منى، قال: أنت وذاك.

الوفد المرافق لعبد المطلب: وكان - فيما يزعم بعض أهل العلم - قد ذهب مع عبد المطلب إلى أبرهة، حين بعث إليه حناطة، يعمر بن نفاثة بن عدى بن الدئل بن

بكر بن مناة ابن كنانة ـ وهو يومئذ سيد بنى بكر ـ وخويلد بن واثلة الهذلى ـ وهو يومئذ سيد هذيل ـ فعرضوا على أبرهة ثلث أموال تهامة، على أن يرجع عنهم، ولا يهدم البيت، فأبى عليهم. والله أعلم أكان ذلك، أم لا. فرد أبرهة عبد المطلب الإبل التى أصاب له.

قريش تستنصر الله على أبرهة: فلما انصرفوا عنه، انصرف عبد المطلب إلى قريش، فأخبرهم الخبر، وأمرهم بالخروج من مكة، والتحرز فى شعف الجبال والشعاب تخوفا عليهم من معرة الجيش، ثم قام عبد المطلب، فأخذ بحلقة باب الكعبة، وقام معه نفر من قريش يدعون الله، ويستنصرونه على أبرهة وجنده، فقال عبد المطلب وهو آخذ بحلقة باب الكعب:

لاهـــم إن العبــــد يمــــ	ـنع رحـله فـامنع حـلالك [1]
لا يغلــــبن صليبهـــــم	ومحـالهم غـدوا محـالك [2]
إن كـنت تاركـهم وقبـ	ـلتنا فـأمر مـا بـدا لك

قال ابن هشام: هذا ما صح له منها:

عكرمة بن عامر يدعو على الأسود: قال ابن إسحاق: وقال عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصى:

لاهم أخز الأسود بن مقصود بين	الآخـذ الهجـمة فيها التقليد [3]
بين حـراء وثبير فـالبيد	يحبسها وهـى أولات التطريد [4]
فضمها إلى طماطـم سـود	أخفره يا رب وأنـت محـمـود

قال ابن هشام: هذا ما صح له منها، والطماطم: الأعلاج [5].

قال ابن إسحاق: ثم أرسل عبد المطلب حلقة باب الكعبة، وانطلق هو ومن معه من قريش إلى شعف الجبال فتحرزوا فيها ينتظرون ما أبرهة فاعل بمكة إذا دخلها.

أبرهة يهاجم مكة: فلما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة، وهيأ فيله، وعبى جيشه ـ وكان اسم الفيل محمودا ـ وأبرهة مجمع لهدم البيت، ثم الانصراف إلى اليمن، فلما

---

(١) لاهم: أى: اللهم، والعرب تحذف منها الألف واللام للتخفيف. والحلال: جماعة البيوت وربما أريد بها القوم المجتمعون لأنهم يحلون فيها.

(٢) محالهم: القوة والشدة.

(٣) الهجمة: هى ما بين التسعين إلى المائة من الإبل، والتقليد: أى أن القلائد فى أعناقها.

(٤) حراء وثبير: جبلان بالحجاز. (٥) الأعلاج: جمع علج وهو الرجل من كفار العجم.

وجهوا الفيل إلى مكة، أقبل نفيل بن حبيب حتى قام إلى جنب الفيل ثم أخذ بأذنه، فقال: ابرك محمود، أوارجع راشدا من حيث جئت، فإنك فى بلد الله الحرام، ثم أرسل أذنه، فبرك الفيل، وخرج نفيل بن حبيب يشتد حتى أصعد فى الجبل، وضربوا الفيل ليقوم فأبى، فضربوا فى رأسه بالطبرزين؛[1] ليقوم فأبى، فأدخلوا محاجن لهم فى مراقّه فبزغوه بها ليقوم فأبى، فوجهوه راجعا إلى اليمن فقام يهرول، ووجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك، ووجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك، ووجهوه إلى مكة فبرك.

عقاب الله لأبرهة وجنده: فأرسل الله تعالى عليهم طيرا من البحر أمثال الخطاطيف والبلسان[2]، مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها: حجر فى منقاره، وحجران فى رجليه أمثال الحمص والعدس، لا تصيب منهم أحدا إلا هلك، - وليس كلهم أصابت - وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق الذى منه جاءوا، ويسألون عن نفيل بن حبيب، ليدلهم على الطريق إلى اليمن، فقال نفيل حين رأى ما أنزل الله بهم من نقمته:

أين المفـر والإلـــــه الطالـب ... والأشـرم المغـلـوب ليس الغـالـب

قال ابن هشام: قوله: «ليس الغالب» عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وقال نفيل أيضا:

ألا حـييت عنــا يـــا ردينا ... نعمناكم مـــع الإصباح عينـا[3]

ردينة لــــو رأيت - ولا تـــريه ... لذى خـــب المحـــصب مـا رأينا

إذا لعـذرتنى وحـمدت أمــرى ... ولم تأسـى علـــى مافـات بينا

حمـدت الله إذ أبصرت طيرا ... وخـــفت حــــجارة تلقى علينا

وكـل الـقوم يسـأل عـن نفيل ... كــان علـــى للحبشان دينــا

فخرجوا يتساقطون بكل طريق، ويهلكون بكل مهلك على كل منهل، وأصيب أبرهة فى جسده، وخرجوا به معهم يسقط أنملة أنملة: كلما سقطت أنملة، أتبعتها منه مده تمث قيحا ودما، حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر، فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه، فيما يزعمون.

قال ابن إسحاق: حدثنى يعقوب بن عتبة أنه حدث: أن أول ما رؤيت الحصبة والجدرى بأرض العرب ذلك العام، وأنه أول ما رؤى بها مرائر الشجر: الحرمل

(١) الطبرزين: آلة من الحديد. (٢) الخطاطيف والبلسان: نوعان من الطيور.
(٣) ردينا: اسم امرأة، ونعمناكم: أى نعمنا بكم.

والحنظل والعشر ذلك العام

الله ـ جل جلاله ـ يذكر حادثة الفيل ويمتن على قريش: قال ابن إسحاق: فلما بعث الله تعالى محمدا ﷺ كان مما يعد الله على قريش من نعمته عليهم وفضله، ما رد عنهم من أمر الحبشة لبقاء أمرهم ومدتهم، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿**ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل. ألم يجعل كيدهم فى تضليل. وأرسل عليهم طيرا أبابيل. ترميهم بحجارة من سجيل. فجعلهم كعصف مأكول**﴾[1]. وقال: ﴿**لإيلاف قريش إيلافهم. رحلة الشتاء والصيف. فليعبدوا رب هذا البيت. الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف**﴾[2]. أى لئلا يغير شيئا من حالهم التى كانوا عليها، لما أراد الله بهم من الخير لو قبلوه.

تفسير مفردات سورتى الفيل وقُريش: قال ابن هشام: الأبابيل: الجماعات، ولم تتكلم لها العرب بواحد علمناه، وأما السجيل، فأخبرنى يونس النحوى وأبو عبيدة أنه عند العرب: الشديد الصلب، قال رؤبة بن العجاج:

ومسهم ما مس أصحاب الفيل ترميهم حجارة من سجيل

ولعبت طير بهم أبابيل

وهذه الأبيات فى أرجوزة له.

ذكر بعض المفسرين أنهما كلمتان بالفارسية، جعلتهما العرب كلمة واحدة، وإنما هو سنج وجلّ يعنى بالسنج: الحجر، وبالجل: الطين، يعنى الحجارة من هذين الجنسين: الحجر والطين، والعصف: ورق الزرع الذى لم يقصّب وواحدته عصفة. قال: وأخبرنى أبو عبيدة النحوى أنه يقال له: العصافة والعصيفة. وأنشدنى لعلقمة بن عبدة أحد بنى ربيعة بن مالك بن زيد مناة بن تميم:

تسقى مذانب قد مالت عصيفتها حدورها من أتى الماء مطموم[3]

وهذا البيت فى قصيدة له. وقال الراجز:

فصيّروا مثل كعصف مأكول

قال ابن هشام: ولهذا البيت تفسير فى النحو.

(١) الفيل: ١ ـ ٥. (٢) سورة قريش.

(٣) المذانب: جمع مذنب وهو مسيل الماء إلى الروضة. والعصيفة: ورق الزرع. وحدورها: ما انحدر منها. والمطموم: المملوء بالماء.

وإيلاف قريش إلفهم الخروج إلى الشام فى تجارتهم، وكانت لهم خرجتان: خرجة فى الشتاء، وخرجة فى الصيف. أخبرنى أبو زيد الأنصارى: أن العرب تقول: ألفت الشىء إلفا، وآلفته إيلافا، فى معنى واحد. وأنشدنى لذى الرمة:

من المؤلفات الرمل أدماء حرة   شعاع الضحى فى لونها يتوضح

وهذا البيت فى قصيدة له. وقال مطرود بن كعب الخزاعى:

المنعمين إذا النجوم تغيرت   والظاعنين لرحلة الإيلاف

وهذا البيت فى أبيات له، سأذكرها فى موضعها إن شاء الله تعالى. والإيلاف أيضا: أن يكون للإنسان ألف من الإبل، أو البقر، أو الغنم، أو غير ذلك. يقال: آلف فلان إيلافا. قال الكميت بن زيد، أحد بنى أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد:

بعام يقول له المؤلفو   ن هذا المعيم لنا المرجل[1]

وهذا البيت فى قصيدة له. والإيلاف أيضاً: أن يصير القوم ألفا، يقال آلف القوم إيلاف. قال الكميت بن يزيد:

وآل مُزَيقياء غداة لاقوا   بنى سعد بن ضبة مؤلفينا[2]

وهذا البيت فى قصيدة له. والإيلاف أيضا: أن تؤلف الشىء إلى الشىء فيألفه ويلزمه، يقال: آلفته إياه إيلافا. والإيلاف أيضا: أن تصير ما دون الألف ألف، يقال: آلفته إيلافا.

مصير قائد الفيل وسائسه: قال ابن إسحاق: حدثنى عبد الله بن أبى بكر، عن عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زرارة، عن عائشة - رضى الله عنها - قالت: «لقد رأيت قائد الفيل وسائسه بمكة أعميين مقعدين يستطعمان[3] الناس».

ما قيل فى قصة الفيل من الشعر

قال ابن إسحاق: فلما رد الله الحبشة عن مكة، وأصابهم به من النقمة، أعظمت العرب قريشا، وقالوا: هم أهل الله، قاتل الله عنهم وكفاهم مئونة عدوهم، فقالوا

---

(١) المعيم: اسم فاعل من أعامه، إذا أثار شوقه إلى اللبن. والمرجل: اسم فاعل أيضا من أرجله، إذا جعله يمشى راجلاً.

(٢) المؤلف: صاحب الألف من الإبل.   (٣) يستطعمان: أى يسألان الناس الطعام.

فى ذلك أشعارا يذكرون فيها ما صنع الله بالحبشة، وما ورد عن قريش من كيدهم.

شعر عبد الله بن الزبعرى: فقال عبد الله بن الزبعرى بن عدى بن قيس بن عدى ابن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر:

تنكلوا عـن بطـن مكـة، إنها ... كانت قديما لا يـرام حـريمها
لم تخـلق الشِّعرى لـيالى حرمت ... إذ لا عزيز مـن الأنام يرومها[1]
سائل أمير الجيش عنها ما رأى ... ولسوف ينبى الجاهلين عليهما
ستون ألفا لـم يئوبوا أرضهم ... ولم يعش بعـد الإيـاب سقيمها
كـانت بها عـاد وجـرهم قبلهم ... والله مـن فـوق العباد يقيمها

قال ابن إسحاق: يعنى ابن الزبعزى بقوله

... بعد الإياب سقيمها

أبرهة، إذ حملوه معهم حين أصابه ما أصابه، حتى مات بصنعاء.

شعر ابن الأسلت: وقال أبو قيس بن الأسلت الأنصارى ثم الخطمى، واسمه: صيفى قال ابن هشام: أبو قيس: صيفى بن الأسلت بن جشم بن وائل بن زيد بن قيس ابن عامر بن مرة بن مالك بن الأوس:

ومـن صنـعه يـوم فيل الحبو ... ش إذ كلمـا بعثـوه رزم
محـاجـنهم تحـت أقـرابه ... وقـد شـرموا أنفـه فانخـرم
وقد جـعلوا سـوطه مغـولا ... إذا يممـوه قفـاه كلـم
فولـى وأدبـر أدراجـه ... وقد بـاء بالظلم مـن كـان ثم
فأرسـل مـن فوقـهم حاصبا ... فلفهـم مـثل لـف القـزم
تـحض علـى الـصبر أحـبارهم ... وقـد ثـاجـوا كثؤاج الـغنم

قال ابن هشام: وهذه الأبيات فى قصيدة له. والقصيدة أيضا تروى لأمية ابن أبى الصلت.

قال ابن إسحاق: وقال أبو قيس بن الأسلت:

فقوموا فصلوا ربكم، وتمسحوا ... بأركان هذا البيت بين الأخاشب[2]

---

(١) الشعرى: نجم.
(٢) الأخاشب: جبال مكة.

فعندكم منــــه بــــــلاء مصدق غداة أبى يكسوم هادى الكتائب
كتيبته بالسهل تمسى ورجله على القاذفات فى رءوس المناقب[1]
فلما أتاكم نصر ذى العرش ردهم جنود المليك بين ساف وحاصب[2]
فولوا سراعا هاربين ولم يؤب إلى أهله ملحبش غير عصائب[3]

قال ابن هشام: أنشدنى أبو زيد الأنصارى قوله:

على القاذفات فى رءوس المناقب

وهذه الأبيات فى قصيدة لأبى قيس، سأذكرها فى موضعها إن شاء الله. وقوله: «غداة أبى يكسوم»: يعنى: أبرهة، كان يكنى أبا يكسوم.

شعر طالب بن أبى طالب: قال ابن إسحاق: وقال طالب بن أبى طالب ابن عبد المطلب:

ألم تعلموا ما كان فى حرب داحس وجيش أبى يكسوم إذ ملئوا الشعبا
فلــولا دفــاع الله لا شــىء غــيره لأصبحتم لا تمنعون لكم سربــــا

قال ابن هشام. وهذان البيتان فى قصيدة له فى يوم بدر، سأذكرها فى موضعها إن شاء الله تعالى.

شعر أبى الصلت الثقفى: قال ابن إسحاق: وقال أبو الصلت بن أبى ربيعة الثقفى فى شأن الفيل، ويذكر الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام. قال ابن هشام: تروى لأمية بن أبى الصلت بن أبى ربيعة الثقفى:

إن آيـــات ربنـــا ثاقبـــات لا يمـــارى فيـهن إلا الكــفور
خــــلق الليــل والنهــــار مســتبين حــسابه مقـــدور
ثم يـجـــلو النـهار رب رحيم بمهـاة شـعاعهـــا منـشور
حــبس الفيل بالمغــمس، حــتى ظــل يحــبو كأنـــه معـــقرر
لازما حــلقة الجـــران كـما قطر من صـخـر كبـكب محـدور[4]

(١) القاذفات: أعالى الجبال، والمناقب: الطرق فى رؤوس الجبال.
(٢) الساف: الذى غطاه التراب، والحاصب: الذى أصيب بالحجارة.
(٣) ملحبش: أى من الحبش؛ والعصائب: الجماعات.
(٤) أصل الجران: حلق البعير فاستعاره ههنا للفيل، وقيل الجران: العنق، وقطر: رمى على قطره وهو الجانب، وكبكب: اسم جبل، والمحدور: الذى حدر من جبل أى وقع.

حـــوله مـــن ملـــوك كندة أبطا ل ملاويث فـــى الحروب صقور[1]
خلفوه ثـــم ابـــذعروا جـــميعا كلهـم عظـم ســـاقه مكسور[2]
كل دين يوم القيامـــة عـــند الله إلا ديــــن الحــــنيفة بـــــور

شعر الفرزدق: قال ابن هشام: وقال الفرزدق ـ واسمه همام بن غالب أحد بنى مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد بن تميم ـ يمدح سليمان بن عبد الملك بن مروان ويهجو الحجاج بن يوسف، ويذكر الفيل وجيشه:

فلما طغى الحجاج حين طغى به غنى قال: إنى مرتق فى السلالم
فكان كما قال ابن نوح: سأرتقى إلى جبل من خشية الماء عاصم
رمى الله فى جثمانه مثل ما رمى عن القبلة البيضاء ذات المحارم
جنودا تسوق الفيل حتى أعادهم هباء، وكانوا مطر خمى الطراخم[3]
نصرت كنصر البيت إذ ساق فيله إليه عظيم المشركين الأعاجم

وهذه الأبيات فى قصيدة له.

شعر ابن قيس الرقيات : قال ابن هشام : وقال عبد الله بن قيس الرقيات، أحد بنى عامر بن لؤى بن غالب يذكر أبرهة ـ وهو الأشرم ـ والفيل:

كاده الأشرم الــذى جاء بالفيـــ ـــل فولـــى وجيشـه مهزوم
واستهلت عليهـــم الطير بالجنـــ ـــدل حتى كأنــــه مرجـــــوم
ذاك مــــن يغـــزه مــــن الناس يرجع، وهو فل من الجيوش ذميم[4]

وهذه الأبيات فى قصيدة له :

ولد أبرهة : قال ابن اسحاق: فلما هلك أبرهة، ملك الحبشة ابنه يكسوم ابن أبرهة، وبه كان يكنى، فلما هلك يكسوم بن أبرهة، ملك اليمن فى الحبشة أخوه مسروق بن أبرهة .

*****

---

(١) ملاويث: أشداء. (٢) أبذعروا: تفرقوا.
(٣) الهباء: ما يظهر فى شعاع الشمس إذا دخلت من مكان ضيق. والطراخم: جمع المطرخم وهو الممتلئ كبرًا.
(٤) الفل: الجيش المنهزم.

خروج سيف بن ذى يزن وملك وهرز على اليمن

سيف يشكو لقيصر: فلما طال البلاء على أهل اليمن، خرج سيف بن ذى يزن الحميرى وكان يكنى بأبى مرة، حتى قدم على قيصر ملك الروم، فشكا إليه ما هم فيه، وسأله أن يخرجهم عنه، ويليهم هو، ويبعث إليهم من يشاء من الروم، فيكون له ملك اليمن، فلم يشكه.

النعمان يتشفع لسيف عند كسرى: فخرج حتى أتى النعمان بن المنذر ـ وهو عامل كسرى على الحيرة، وما يليها من أرض العراق ـ فشكا إليه أمر الحبشة، فقال له النعمان: إن لى على كسرى وفادة فى كل عام، فأقم حتى يكون ذلك، ففعل، ثم خرج معه فأدخله على كسرى، وكان كسرى يجلس فى إيوان مجلسه الذى فيه تاجه، وكان تاجه مثل القنقل[1] العظيم ـ فيما يزعمون ـ يضرب فيه الياقوت واللؤلؤ والزبرجد بالذهب والفضة، معلقا بسلسلة من ذهب فى رأس طاقة فى مجلسه ذلك، وكانت عنقه لا تحمل تاجه، إنما يستر بالثياب، حتى يجلس فى مجلسه ذلك، ثم يدخل رأسه فى تاجه، فإذا استوى فى مجلسه كشف عنه الثياب فلا يراه رجل لم يره قبل ذلك، إلا برك هيبة له، فلما دخل عليه سيف بن ذى يزن برك.

معاونة كسرى لسيف: قال ابن هشام: حدثنى أبو عبيدة: أن سيفا لما دخل عليه طأطأ رأسه، فقال الملك: إن هذا الأحمق يدخل على من هذا الباب الطويل، ثم يطأطئ رأسه؟! فقيل ذلك لسيف، فقال: إنما فعلت هذا لهمى؛ لأنه يضيق عنه كل شىء.

قال ابن إسحاق: ثم قال له: أيها الملك، غلبتنا على بلادنا الأغربة، فقال له كسرى: أى الأغربة: الحبشة أم السند؟ فقال: بل الحبشة، فجئتك لتنصرنى، ويكون ملك بلادى لك، قال: بعدت بلادك مع قلة خيرها، فلم أكن لأورّط جيشا من فارس بأرض العرب، لا حاجة لى بذلك، ثم أجازه بعشرة آلاف درهم واف، وكساه كسوة حسنة، فلما قبض ذلك منه سيف خرج، فجعل ينثر ذلك الورق للناس، فبلغ ذلك الملك، فقال: إن لهذا لشأنا، ثم بعث إليه، فقال: عمدت إلى حباء الملك تنثره للناس، فقال: وما أصنع بهذا؟ ما جبال أرضى التى جئت منها إلا ذهب وفضة ـ يرغبه فيها ـ فجمع كسرى مرازبته[2]، فقال لهم: ماذا ترون فى أمر هذا الرجل، وما جاء له؟ فقال قائل: أيها الملك، إن فى سجونك رجالا قد حبستهم للقتل، فلو أنك بعثتهم معه، فإن يهلكوا كان ذلك الذى أردت بهم، وإن ظفروا كان ملكا ازددته، فبعث معه كسرى من كان فى سجونه، وكانوا ثمانمائة رجل.

---

(١) القنقل: المكيال. (٢) أى وزراءه.

انتصار سيف: واستعمل عليهم رجلا يقال له وَهْرِز، وكان ذا سن فيهم، وأفضلهم حسبا وبيتا، فخرجوا فى ثمان سفائن، فغرقت سفينتان، ووصل إلى ساحل عدن ست سفائن، فجمع سيف إلى وهرز من استطاع من قومه، وقال له: رجلى مع رجلك حتى نموت جميعا، أو نظفر جميعا. قال له وهرز: أنصفت. وخرج إليه مسروق ابن أبرهة ملك اليمن، وجمع إليه جنده، فأرسل إليهم وهرز ابنا له؛ ليقاتلهم، فيختبر قتالهم، فقتل ابن وهرز، فزاده ذلك حنقا عليهم، فلما تواقف الناس على مصافهم، قال وهرز: أرونى ملكهم، فقالوا له: أترى رجلا على الفيل عاقدا تاجه على رأسه، بين عينيه ياقوتة حمراء؟ قال: نعم، قالوا: ذاك ملكهم، فقال: اتركوه، قال: فوقفوا طويلا، ثم قال: علام هو؟ قالوا: قد تحول على الفرس، قال: اتركوه. فوقفوا طويلا، ثم قال: علام هو؟ قالوا: قد تحول على البغلة. قال وهرز: بنت الحمار؟! ذلّ وذل ملكه، إنى سأرميه، فإن رأيتم أصحابه لم يتحركوا، فاثبتوا حتى أوذنكم، فإنى قد أخطأت الرجل، وإن رأيتم القوم قد استداروا ولاثوا به، فقد أصبتَ الرجل، فاحملوا عليهم، ثم وتّر قوسه، وكانت فيما يزعمون لا يوترها غيره من شِدتها، وأمر بحاجبيه، فعُصبا له، ثم رماه، فصك الياقوتة التى بين عينيه، فتغلغلت النُشَّابة فى رأسه حتى خرجت من قفاه، ونكس عن دابته، واستدارت الحبشة ولاثت به، وحملت عليهم الفرس، وانهزموا، فقتلوا وهربوا فى كل وجه، وأقبل وهرز، ليدخل صنعاء، حتى إذا أتى بابها، قال: لا تدخل رايتى منكسة أبدا، اهدموا الباب، فهدم، ثم دخلها ناصبا رايته.

شعر سيف بن ذى يزن فى هذه القصة: فقال سيف بن ذى يزن الحميرى:

يظـــن النـــاس بالملكيـــ	ـــن أنهما قـــد التأما
ومـــن يسمـــع بلأمهمـــا	فإن الخـــطب قـــد فقما[1]
قتلنـــا القيـــل مسروقـــا	وروّينـــا الكثيب دمـــا[2]
وإن القَيْـــل قـــيل النـــا	س وهـــرز مقسم قسمـــا
يـــذوق مشعشعـــا حـــتى	يـفـــىء السبـــى والنعَّـما[3]

قال ابن هشام: وهذه الأبيات فى أبيات له. وأنشدنى خلاد بن قرة السدوسى آخرها بيتا لأعشى بنى قيس بن ثعلبة فى قصيدة له، وغيره من أهل العلم بالشعر ينكرها له.

---

(١) فقم: ازداد واشتد. (٢) القيل: الملك، والكثيب القطعة من الرمل.
(٣) المشعشع: الخمر الممزوجة بالماء، ويفئ يغنم، والنعم: الإبل.

شعر أبى الصلت: قال ابن إسحاق. وقال أبو الصلت بن أبى ربيعة الثقفى، قال ابن هشام: وتروى لأمية بن أبى الصلت.

ليطلب الوتر أمثال ابن ذى يزن ... ريَّم فى البحر للأعداء أحوالا
يمم قيصر لما حان رحلته ... فلم يجد عنده بعض الذى
ثم انثنى نحو كسرى بعد عاشرة ... سالامن السنين يهين النفس والمالا
حتى أتى ببنى الأحرار يحملهم ... إنك عمرى لقد أسرعت قلقالا[1]
لله درهم من عصبة خرجوا ... ما إن أرى لهم فى الناس أمثالا
بيضا مرازبة، غُلبُا أساورة ... أسدا تُربِّب فى الغيضات أشبالا
يرمون عن شدف كأنها غبط ... بزمخر يعجل المرمىَّ إعجالا[2]
أرسلت أُسدا على سود الكلاب فقد ... أضحى شريدهم فى الأرض فُلالا[3]
فاشرب هنيئا عليك التاج مرتفقا ... فى رأس غمدان دارا منك محلالا[4]
واشرب هنيئا فقد شالت نعامتهم ... وأسبل اليوم فى برديك إسبالا[5]
تلك المكارم لاقعبان من لبن ... شيبا بماء فعادا بَعْدُ أبوالا[6]

قال ابن هشام: هذا ما صح له مما روى ابن إسحاق منها، إلا آخرها بيتا قوله:

تلك المكارم لا قعبان من لبن

فإنه للنابغة الجعدى. واسمه: حِبَّان بن عبد الله بن قيس، أحد بنى جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن، فى قصيدة له.

شعر عدى بن زيد: قال ابن إسحاق: وقال عدى بن زيد الحميرى، وكان أحد بنى تميم. قال ابن هشام: ثم أحد بنى امرئ القيس بن زيد مناة ابن تميم، ويقال: عدى من العباد من أهل الحيرة:

ما بعد صنعاء كان يعمرها ... ولاة ملك جزل مواهبها[7]

(١) بنو الأحرار: أراد بهم الفرس، والقلقال: التحرك بسرعة

(٢) شدف: أراد بها القسى، وغبط: جمع غبيط وهو العود من عيدان الهودج شبه به القسى. والزمخر: القصب الفارسى.

(٣) فلال: جمع فل وهم القوم المنهزمون. (٤) غمدان: قصر عجيب الصنعة بين صنعاء وطيوة.

(٥) شالت نعامتهم: أى هلكوا. والإسبال: إرخاء الثوب، وهو من فعل المختالين ذوى الإعجاب بأنفسهم.

(٦) قعبان: تثنية قعب، وهو قدح يحلب فيه. وشيبا: خلطا ومزجا.

(٧) صنعاء: حاضرة اليمن. وولاة ملك: يريد الذين يدبرون أمر الناس ويصلحونه، وجزل: أى كثير.

رفعها من بنى لدى قزع المز ن وتندى مسكـــا محـــاربها[1]
محفوظة بالجبال دون عرى الكـــ ـــائد مـــا ترتقـى غواربها[2]
يأنس فيها صوت النُّهام إذا جاوبهــا بالعــشى قاصبها[3]
ساقت إليه الأسباب جند بنى الـ أحـــرار فرسانـــها مواكبها
وفوزَّت بالبغال توسق بالحتـ ـــف وتسـعى بـــها توالبها[4]
حتى رآها الأقوال من طرف المنـ ـــقـــل مخضــــرة كتائبها[5]
يـــوم ينـــادون آل بـربـر واليكســوم لا يفلحـــن هاربها
وكان يـــوم باقـــى الحديث وزا لـــت إمة ثابـــت مراتبها[6]
وبـــدل الفيج بالزرافة والأيا م جـــون جـــمٌ عجائبها[7]
بعـد بنـــى تبــــع نخاوِرة قـــد اطـــمأنت بها مرازبها[8]

قال ابن هشام: وهذه الأبيات فى قصيدة له، وأنشدنى أبو زيد الأنصارى، ورواه لى عن المفضل الضبى قوله:

يوم ينادون آل بربر واليكسوم

وهذا الذى عنى سطيح بقوله: «يليه إرم ذى يزن، يخرج عليهم من عدن، فلا يترك أحدا منهم باليمن»، والذى عنى شق بقوله: «غلام ليس بدنى ولا مدن، يخرج عليهم من بيت ذى يزن».

****

ذكر ما انتهى إليه أمر الفرس باليمن

مدة مكث الحبشة باليمن: قال ابن إسحاق: فأقام وهرز والفرس باليمن، فمن بقية ذلك الجيش من الفرس: الأبناء الذين باليمن اليوم. وكان ملك الحبشة باليمن، فيما بين أن دخلها أرياط إلى أن قتلت الفرس مسروق بن أبرهة وأخرجت الحبشة،

---

(١) أصل القزع: السحاب المتفرق. والمزن: السحاب. ومحارب: جمع محراب، والمحراب: الغرفة المرتفعة.
(٢) غواربها: أعاليها. وما ترتقى: يريد ما يستطيع الوصول إليها أحد.
(٣) النهام: الذكر من البوم، وهو طائر يصيح بالليل. والقاصب: الذى يزمر فى القصب.
(٤) فوزت: قطعت المفازة، وهى الصحراء. وتوالبها: جمع تولب وأصله ولد الحمار، أطلقه هنا على ولد البغل.
(٥) الأقوال: هم الملوك. والمنقل: الأرض التى يكثر فيها النقل، وهى الحجارة.
(٦) الإمة: النعمة.
(٧) الفيج: الذى يسير للسلطان بالكتب على رجليه. والزرافة: الجماعة من الناس، وهى أيضًا حيوان معروف.
(٨) النخاورة: القوم الكرام. والمرازبة: الوزراء، واحدهم مرزبان.

اثنتين وسبعين سنة، توارث ذلك منهم أربعة: أرياط، ثم أبرهة، ثم يكسوم بن أبرهة، ثم مسروق بن أبرهة.

أمراء الفرس باليمن: قال ابن هشام: ثم مات وهرز، فأمَّر كسرى ابنه المرزبان بن وهرز على اليمن، ثم مات المرزبان، فأمَّر كسرى ابنه التينجان بن المرزبان على اليمن، ثم مات التينجان، فأمَّر كسرى ابن التينجان على اليمن، ثم عزله وأمَّر باذان، فلم يزل باذان عليها حتى بعث الله محمدا النبى ﷺ.

محمد (ﷺ) يتنبأ بموت كسرى: فبلغنى عن الزهرى أنه قال:

كتب كسرى إلى باذان: أنه بلغنى أن رجلا من قريش خرج بمكة، يزعم أنه نبى . فسر إليه فاستتبه، فإن تاب، وإلا فابعث إلىّ برأسه، فبعث باذان بكتاب كسرى إلى رسول الله - ﷺ - فكتب إليه رسول الله - ﷺ : «**إن الله قد وعدنى أن يقتل كسرى فى يوم كذا من شهر كذا**» فلما أتى باذان الكتابُ توقف لينظر، وقال: إن كان نبيا، فسيكون ما قال، فقتل الله كسرى فى اليوم الذى قال رسول ﷺ[1] - قال ابن هشام: قتل على يدى ابنه شيرويه، وقال خالد بن حق الشيبانى:

وكســـــرى إذ تقسمــه بنـــوه   بأسياف كمـا اقتسم اللحـــــام
تمخـضــت المنــون له بيـــوم   أنى، ولكـــل حــاملـــة تمـــام

إسلام باذان: قال الزهرى: فلما بلغ ذلك باذان بعث بإسلامه، وإسلام من معه من الفرس إلى رسول الله - ﷺ - فقالت الرسل من الفرس لرسول الله - ﷺ - إلى من نحن يا رسول الله؟ قال: «**أنتم منا وإلينا أهل البيت**».

قال ابن هشام: فبلغنى عن الزهرى أنه قال: فمن ثم قال رسول الله - ﷺ - «**سلمان منا أهل البيت**»[2].

قال ابن هشام: فهو الذى عنى سطيح بقوله: «نبى زكى، يأتيه الوحى من قبل العلى»والذى عنى شق بقوله: «بل ينقطع برسول مرسل، يأتى بالحق والعدل، من أهل الدين والفضل، يكون الملك فى قومه إلى يوم الفصل».

---

(١) هذه الرواية إسنادها مرسل.
(٢) قول النبى ﷺ «**سلمان منا أهل البيت**» رواه الحاكم (٣/ ٥٩٨) وقال الذهبى: سنده ضعيف: وقال الهيثمى في «المجمع» (٦/ ١٣٠) رواه الطبرانى وفيه كثير بن عبد الله المزنى وقد ضعفه الجمهور والحديث ضعفه الألبانى فى «ضعيف الجامع » (٣٢٧٢) وأشار إلى أنه صح موقوفا على على رضى الله عنه.

كتاب الحجر الذى فى اليمن: قال ابن إسحاق: وكان فى حجر باليمن - فيما يزعمون - كتاب بالزبور كتب فى الزمان الأول: «لمن مُلك ذِمار؟ لحمير الأخيار، لمن ملك ذمار؟ للحبشة الأشرار، لمن ملك ذمار؟ لفارس الأحرار، لمن ملك ذمار؟ لقريش التجار».

وذمار: اليمن أو صنعاء، قال ابن هشام: ذمار: بالفتح، فيما أخبرنى يونس.

الأعشى يذكر نبوءة شق وسطيح: قال ابن إسحاق: وقال الأعشى - أعشى بنى قيس بن ثعلبة فى وقوع ما قال سطيح وصاحبه:

ما نظرت ذات أشفار كنظرتها   حقا كما صدق الذئْبىُّ إذ سجعا

وكانت العرب تقول لسطيح: الذئبى؛ لأنه سطيح بن ربيعة بن مسعود ابن مازن ابن ذئب.

قال ابن هشام: وهذا البيت فى قصيدة له.

****

قصة ملك الحضر

قال ابن هشام: وحدثنى خلاد بن قُرّة بن خالد السدوسى عن جنّاد، أو عن بعض علماء أهل الكوفة بالنسب: أنه يقال: إن النعمان بن المنذر من ولد ساطرون ملك الحضر.

والحضر: حصن عظيم كالمدينة، كان على شاطئ الفرات، وهو الذى ذكر عدى بن زيد فى قوله

وأخو الحـضر إذ بناه وإذ دجـلة   يجـبى إليـه والخـابـور

شاده مرمـرا وجـلـلـه كلسـا   فللطير فـى ذراه وكـور

لم يهبه ريب المنـون فبـان الملك   عنـه، فبابـه مهجـور

قال ابن هشام: وهذه الأبيات فى قصيدة له.

والذى ذكره أبو داود الإيادى فى قوله:

وأرى الموت قد تدلى من الحـضر   علـى رب أهلـه الساطرون[1]

---

(١) الساطرون بالسريانية: هو الملك.

وهذا البيت فى قصيدة له، ويقال: إنها [illegible]لأحمر، ويقال: لحماد الراوية.

سابور يستولى على الحضر: وكان كسرى سابور ذو الأكتاف غزا ساطرون ملك الحضر، فحصره سنتين، فأشرفت بنت ساطرون يوما، فنظرت إلى سابور، وعليه ثياب ديباج، وعلى رأسه تاج من ذهب مكلل بالزبرجد والياقوت واللؤلؤ، وكان جميلا، فدست إليه: أتتزوجنى إن فتحت لك باب الحضر؟ فقال: نعم. فلما أمسى ساطرون شرب حتى سكر، وكان لا يبيت إلا سكران، فأخذت مفاتيح باب الحضر من تحت رأسه، فبعثت بها مع مولى لها ففتح الباب، فدخل سابور، فقتل ساطرون، واستباح الحضر وخربه، وسار بها معه فتزوجها، فبينما هى نائمة على فراشها ليلا إذ جعلت تتململ لا تنام، فدعا لها بشمع، ففتش فراشها، فوجد عليه ورقة آس؛ فقال لها سابور: أهذا الذى أسْهَرك؟! قالت: نعم، قال: فما كان أبوك يصنع بك؟ قالت: كان يفرش لى الديباج، ويلبسنى الحرير، ويطعمنى المخ، ويسقينى الخمر، قال: أفكان جزاء أبيك ما صنعت به؟ أنت إلىّ بذلك أسرع، ثم أمر بها، فربطت قرون رأسها بذنب فرس، ثم ركض الفرس، حتى قتلها، ففيه يقول أعشى بنى قيس بن ثعلبة:

قول أعشى قيس فى قصة الحضر:

ألـم تـر للحـضر إذ أهله ... بنُعمَى، وهـل خـالد من نعم

أقـام بـه شـاهبور الجـنو ... د حـولين تضرب فيـه القُدُمْ[1]

فلما دعـا ربـه دعـوة ... أناب إليـه فلـم ينتقـم

وهذه الأبيات فى قصيدة له.

قول عدى بن زيد: وقال عدى بن زيد فى ذلك:

والحـضر صابـت عليـه داهية ... مـن فوقـه أيِّد مناكبـها

ربية لـم تـوق والـدها ... لحينها إذ أضـاع راقبـها

إذ غبقتـه صهبـاء صافية ... والخـمر وهـل يهيم شاربها[2]

فـأسلمت أهـلها بليلتها ... تظـن أن الرئيـس خـاطبها

فكان حـظ العـروس إذ جشر ... الصبح دمـاء تجـرى سبائبها[3]

وخرب الـحضر، واستبيح، وقد ... أحـرق فى خـدرها مشاجبها

(١) جمع قدوم: وهى الآلة التى يقطع بها النجار.

(٢) غبقته: أى سقته الغبوق، والغبوق: شرب العشى، والخمر وهل: أى ضعف، ويهيم: يتحير.

(٣) جشر: ظهر ووضح، سبائبها السبائب: جمع سبيبة وهى كالعمامة أو نحوها.

وهذه الأبيات فى قصيدة له .

****

ذكر ولد نزار بن معد

قال ابن إسحاق: فولد نزار بن معد ثلاثة نفرار: مضر بن نزار، وربيعة ابن نزار، وأنمار بن نزار.

قال ابن هشام: وإياد بن نزار. قال الحارث بن دوس الإيادى، ويروى لأبى داود الإيادى، واسمه: جارية بن الحجاج:

وفُتُوّ حسن أوجههم ... من إياد بن نزار بن معد

وهذا البيت فى أبيات له.

فأم مضر وإياد: سودة بنت عك بن عدنان. وأم ربيعة وأنمار: شُقَيقة بنت عك بن عدنان، ويقال: جمعة بنت عك بن عدنان

أولا أنمار: قال ابن إسحاق: فأنمار: أبو خثعم وبجيلة، قال جرير بن عبد الله البجلى وكان سيد بجيلة، وهو الذى يقول له القائل:

لولا جرير هلكت بجيله ... نعم الفتى، وبئست القبيلة!!

وهو ينافر[1] الفرافصة الكلبى إلى الأقرع بن حابس التميمى:

يا أقرع بن حابس يا أقرع ... إنك إن تصرع أخاك تصرع

قال:

ابنى نزار انصرا أخاكما ... إن أبى وجدته أباكما

لن يغلب اليوم أخ وإلا كما

وقد تيامنت، فلحقت باليمن.

قال ابن هشام: قالت اليمن: وبجيلة: أنمار بن إراش بن لحيان بن عمرو ابن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ. ويقال: إراش بن عمرو بن لحيان بن الغوث، ودار بجيلة وخثعم: يمانية.

ولدا مضر: قال ابن إسحاق: فولد مضر بن نزار رجلين: إلياس بن مضر، وعيلان بن مضر. قال ابن هشام: وأمهما جرهمية.

---

(١) ينافر الفرافضة: أى يحاكيه، والفرافصة بالفتح اسم للرجل وبالضم اسم للأسد.

أولاد إلياس: قال ابن إسحاق: فولد إلياس بن مضر ثلاثة نفر: مدركة ابن إلياس، وطابخة بن الياس، وقمعة بن الياس، وأمهم: خندف، امرأة من اليمن.

قال ابن هشام: خندف بنت عمران بن إلحاف بن قضاعة.

قال ابن إسحاق: وكان اسم مدركة عامرا، واسم طابخة عمرا، وزعموا أنهما كانا فى إبل لهم يرعيانها، فاقتنصا صيدا، فقعدا عليه يطبخانه، وعدت عادية على إبلهما، فقال عامر لعمرو: أتدرك الإبل، أم تطبخ هذا الصيد؟ فقال عمرو: بل أطبخ، فلحق عامر بالإبل فجاء بها، فلما راحا على أبيهما حدثاه بشأنهما، فقال لعامر: أنت مدركة، وقال لعمرو: وأنت طابخة.

وأما قمعة فيزعم نساب مضر: أن خزاعة من ولد عمرو بن لُحَىّ بن قمعة بن إلياس.

****

حديث عمرو بن لحى وذكر أصنام العرب

عمرو بن لحى يجر قصبه فى النار: قال ابن إسحاق: وحدثنى عبد الله ابن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه قال:

حدثت أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «**رأيت عمرو بن لحى يجر قصبه فى النار فسألته عمن بينى وبينه من الناس، فقال: هلكوا**»[1].

قال ابن إسحاق. وحدثنى محمد بن إبراهيم بن الحارث التَّيمى أن أبا صالح السمان حدثه أنه سمع أبا هريرة. قال ابن هشام: واسم أبى هريرة. عبد الله بن عامر، ويقال اسمه: عبد الرحمن بن صخر ـ يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول لأكثم بن الجون الخزاعى: «**يا أكثم، رأيت عمرو بن لحى بن قمعة بن خندف يجر قصبه فى النار، فما رأيت رجلا أشبه برجل منك به، ولا بك منه**» فقال أكثم: عسى أن يضرنى شبهه يا رسول الله؟ قال: «**لا، إنك مؤمن وهو كافر، إنه كان أول من غير دين إسماعيل، فنصب الأوثان، وبحر البحيرة وسيِّب السائبة، ووصل الوصيلة، وحمى الحامى**»[2].

---

(١) هذه الرواية فى سندها جهالة، ورواه مسلم (٧٠٥٢) دون قوله «فسألته عمن بينى وبينه..» إلخ.

(٢) إسناده صحيح ـ فقد صرح ابن إسحاق بالتحديث ـ ورواه ابن أبى عروبة وابن منده من طريق ابن إسحاق كما قال الحافظ فى «الإصابة» (١/ ٦١) ورواه الحاكم (٤/ ٦٠٥) من طريق أبى سلمة وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبى.

أصل عبادة الأصنام فى أرض العرب: قال ابن هشام: حدثنى بعض أهل العلم أن عمرو بن لحى خرج من مكة إلى الشام فى بعض أموره، فلما قدم مآب من أرض البلقاء، وبها يومئذ العماليق - وهم ولد عملاق. ويقال: عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح - رآهم يعبدون الأصنام، فقال لهم: ماهذه الأصنام التى أراكم تعبدون؟ قالوا له: هذه أصنام نعبدها، فنستمطرها فتمطرنا، ونستنصرها فتنصرنا، فقال لهم: أفلا تعطوننى منها صنما، فأسير به إلى أرض العرب، فيعبدوه؟ فأعطوه صنما يقال له: هُبَل، فقدم به مكة، فنصبه، وأمر الناس بعبادته وتعظيمه.

سبب عبادة الأصنام: قال ابن إسحاق: ويزعمون أن أول ما كانت عبادة الحجارة فى بنى إسماعيل، أنه كان لايظعن من مكة ظاعن منهم، حين ضاقت عليهم، والتمسوا الفُسح فى البلاد، إلا حمل معه حجرا من حجارة الحرم تعظيما للحرم، فحيثما نزلوا وضعوه، فطافوا به كطوافهم بالكعبة، حتى سلخ ذلك بهم إلى أن كانوا يعبدون مااستحسنوا من الحجارة وأعجبهم، حتى خلف الخُلوف، ونسوا ما كانوا عليه، واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل غيره، فعبدوا الأوثان، وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم قبلهم من الضلالات، وفيهم على ذلك بقايا من عهد إبراهيم يتمسكون بها: من تعظيم البيت، والطواف به، والحج والعمرة والوقوف على عرفة والمزدلفة، وهدى البُدن، والإهلال بالحج والعمرة، مع إدخالهم فيه ما ليس منه. فكانت كنانة وقريش إذا أهلوا قالوا: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك، إلا شريك هو لك، تملكه وما ملك». فيوحدونه بالتلبية، ثم يدخلون معه أصنامهم، ويجعلون ملكها بيده. يقول الله تبارك وتعالى لمحمد - ﷺ - ﴿**وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون**﴾[1] أى ما يوحدوننى لمعرفة حقى إلا جعلوا معى شريكا من خلقى.

أصنام قوم نوح. وقد كانت لقوم نوح أصنام قد عكفوا عليها، قص الله - تبارك وتعالى - خبرها على رسول الله - ﷺ - فقال: ﴿**وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد أضلوا كثيرا**﴾[2].

القبائل العربية وأصنامها: فكان الذين اتخذوا تلك الأصنام من ولد إسماعيل وغيرهم، وسموا بأسمائهم حين فارقوا دين إسماعيل: هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر، اتخذوا سواعا، فكان لهم برهاط. وكلب بن وبرة من قضاعة، اتخذوا وَدّا بدومة الجندل.

(١) يوسف: ١٠٦.

(٢) نوح: ٢٣، ٢٤.

قال ابن إسحاق: وقال كعب بن مالك الأنصارى:

وننسى اللات والعزى وودًا ونسلبها القلائد والشُّنوفا[1]

قال ابن هشام: وهذا البيت فى قصيدة له سأذكرها فى موضعها إن شاء الله.

قال ابن هشام: وكلب بن وبرة بن تغلب بن حُلوان بن عمران بن إلحاف بن قضاعة.

عباد يغوث: قال ابن إسحاق: وأنعم من طيئ، وأهل جُرش من مذحج اتخذوا يغوث بجرش.

قال ابن هشام. ويقال: أنعم. وطيئ بن أدد بن مالك، ومالك: مذحج بن أدد، ويقال؛ طيئ بن أدد بن زيد بن كهلان بن سبأ.

عباد يعوق: قال ابن إسحاق: وخيوان بطن من همدان، اتخذوا يعوق بأرض همدان من أرض اليمن.

قال ابن هشام: وقال مالك بن نمط الهمدانى:

يريش الله فى الدنيا ويَبْرى ولا يبرى يعوق ولا يريش[2]

وهذا البيت فى أبيات له.

قال ابن هشام: اسم همدان: أوْسَلة بن مالك بن زيد بن ربيعة بن أوسلة بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ. ويقال: أوسلة بن زيد ابن أوسلة بن الخيار. ويقال: همدان بن أوسلة بن ربيعة بن مالك بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ.

عباد نسر: قال ابن إسحاق: وذو الكلاع من حمير، اتخذوا نسرا بأرض حمير.

عباد عميانس: وكان لخولان صنم يقال له: عُميانس بأرض خولان، يقسمون له من أنعامهم وحروثهم قسما بينه وبين الله بزعمهم، فما دخل فى حق عميانس من حق الله تعالى الذى سموه له تركوه له، وما دخل فى حق الله تعالى من حق عميانس ردوه عليه. وهم بطن من خولان يقال لهم: الأديم، وفيهم أنزل الله - تبارك وتعالى - فيما يذكرون: ﴿**وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى**

---

(1) الشنوفا: مفرده شنف وهو القرط.

(2) هو من رشت السهم وبريته ثم استعير للنفع والضر.

شركائهم ساء ما يحكمون﴾[1].

قال ابن هشام: خولان بن عمرو بن إلحاف بن قضاعة، ويقال: خولان ابن عمرو بن مرة بن أدد بن زيد بن مهسع بن عمرو بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ، ويقال: خولان بن عمرو بن سعد العشيرة بن مذحج.

عباد سعد: قال ابن إسحاق: وكان لبنى ملكان - بن كنانة بن خزيمة بن مدركة ابن إلياس بن مضر - صنم، يقال له: سعد: صخرة بفلاة من أرضهم طويلة، فأقبل رجل من بنى ملكان بإبل له مُؤَبَّلة؛[2] ليقفها عليه، التماس بركته - فيما يزعم - فلما رأته الإبل وكانت مرعية لا تُركب، وكان يهراق عليه الدماء نفرت منه، فذهبت فى كل وجه، وغضب ربها الملكانى، فأخذ حجرا فرماه به، ثم قال. لا بارك الله فيك، نفَّرت على إبلى، ثم خرج فى طلبها حتى جمعها، فلما اجتمعت له قال:

أتينا إلى سعد، ليجمع شملنا ... فشتتنا سعد، فلا نحن من سعد
وهل سعد إلا صخرة بتنُوفة ... من الأرض لاتدعو لغى ولا رشد[3]

دوس وصنمهم: وكان فى دوس صنم لعمرو بن حُممة الدوسى.

قال ابن هشام: سأذكر حديثه فى موضعه إن شاء الله.

ودوس بن عدثان بن عبد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبدالله ابن مالك بن نصر بن الأسد بن الغوث. ويقال: دوس بن عبدالله بن زهران بن الأسد بن الغوث.

عباد هبل: قال ابن إسحاق: وكانت قريش قد اتخذت صنما على بئر فى جوف الكعبة يقال له: هبل.

قال ابن هشام: سأذكر حديثه إن شاء الله فى موضعه.

إساف ونائلة: قال ابن إسحاق: واتخذوا إسافا ونائله، على موضع زمزم ينحرون عندهما، وكان إساف ونائله رجلا وامرأة من جرهم - هو: إساف بن بَغْى ونائله بنت ديك - فوقع إساف على نائلة فى الكعبة: فمسخهما الله حجرين.

حديث عائشة عن إساف ونائلة: قال ابن إسحاق: حدثنى عبد الله بن أبى بكر ابن محمد بن عمرو بن حزم. عن عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد ابن زرارة أنها

(١) الأنعام: ١٣٦.
(٢) الإبل المؤبلة: هى الكثيرة المتخذة للاكتساب لا للركوب.
(٣) التنوفة: القفر الذى لا ينبت شيئا.

قالت: سمعت عائشة ـ رضى الله عنها ـ تقول: ما زلنا نسمع أن إسافا ونائلة كانا رجلا وامرأة من جرهم أحدثا[1] فى الكعبة: فمسخهما الله تعالى حجرين والله أعلم[2].

قال ابن إسحاق: وقال أبو طالب:

وحيث ينيخ الأشـعرون ركابهـم	بمُفضَى السيـول مـن إساف ونائـل

قال ابن هشام: وهذا البيت فى قصيدة له، سأذكرها فى موضعها إن شاء الله تعالى.

فعل العرب مع أصنامهم: قال ابن إسحاق: واتخذ أهل كل دار فى دارهم صنما يعبدونه، فإذا أراد الرجل منهم سفرا تمسح به حين يركب، فكان ذلك آخر ما يصنع حين يتوجه إلى سفره، وإذا قدم من سفره تمسح به، فكان ذلك أول ما يبدأ به قبل أن يدخل على أهله، فلما بعث الله رسوله محمدا ـ ﷺ ـ بالتوحيد، قالت قريش: **﴿أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشىء عجاب﴾**[3].

الطواغيت: وكانت العرب قد اتخذت مع الكعبة طواغيت، وهى بيوت تعظمها كتعظيم الكعبة، لها سدنة وحجاب، وتهدى لها كما تهدى للكعبة، وتطوف بها كطوافها بها، وتنحر عندها، وهى تعرف فضل الكعبة عليها؛ لأنها كانت قد عرفت أنها بيت إبراهيم الخليل ومسجده.

العزى وسدنتها وحجابها: فكانت لقريش وبنى كنانة: العزى[4] بنخلة، وكان سدنتها وحجابها بنو شيبان من سليم، حلفاء بنى هاشم.

قال ابن هشام: حلفاء بنى أبى طالب خاصة، وسليم: سليم بن منصور ابن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان.

قال ابن إسحاق: فقال شاعر من العرب:

لقد أنكحـتْ أسـماء رأس بُقيرة	من الأدم أهداها امرؤ من بنى غنم[5]
رأى قدعا فى عينها إذ يسـوقها	إلى غبغب العزَّى فوسع فى القسم[6]

(١) أى زنيا فى الكعبة.

(٢) إسناده حسن إلى عائشة رضى الله عنها.

(٣) سورة: ص: آية ٥.

(٤) كانت العزى أعظم الأصنام عند قريش وكانت العرب تسمى بها عبد العزى، وكانوا يزورونها ويهدون لها ويتقربون عندها بالذبح.

(٥) رأس بُقيرة: عَظْمُ الحنك الذى عليه الأسنان، وغنم هو ابن فراس من كنانة.

(٦) قدعاً: القدع: ضعف البصر من إدمان النظر.

وكذلك كانوا يصنعون إذا نحروا هدايا قسموه فى من حضورهم. والغبب: المنحر، رمهراق الدماء.

قال ابن هشام: وهذان البيتان لأبى خراش الهذلى واسمه: خويلد بن مرة فى أبيات له.

من هم السدنة: والسدنة: الذين يقومون بأمر الكعبة. قال رؤبة بن العجاج:

فـــلا ورب الآمـــنات القطَّـــن   يعمـــرن أمـــنا بالحـرام المأمـــن[١]

بمحـــبس الهـــدى وبيـت المســـدن

وهذان البيتان فى أرجوزة له، وسأذكر حديثها إن شاء الله تعالى فى موضعه.

اللات وسدنتها: قال ابن إسحاق: وكانت اللات لثقيف بالطائف، وكان سدنتها وحجابها بنو معتِّب من ثقيف.

قال ابن هشام: وسأذكر حديثها إن شاء الله تعالى فى موضعه.

مناة وسدنتها: قال ابن إسحاق: وكانت مناة[٢] للأوس والخزرج، ومن دان بدينهم من أهل يثرب، على ساحل البحر من ناحية المُشَلل بقُدَيْد[٣].

قال ابن هشام: وقال الكميت بن زيد أحد بنى أسد بن مدركة:

وقـــد آلـــت قبائـــل لا تُولـــى   منـاة ظـــــهورها متـــحـــرفينـــا

وهذا البيت فى قصيدة له.

هدم مناة: قال ابن هشام: فبعث رسول الله إليها أبا سفيان بن حرب فهدمها، ويقال: على بن أبى طالب.

ذو الخلصة وعباده وهدمه: قال ابن إسحاق: وكان ذو الخلصة[٤] لدوس وخثعم وبجيلة، ومن كان ببلادهم من العرب بتبالة.

---

(١) الآمنات القطن: يعنى بها حمام مكة، والقطن المقيمات جمع قاطنة، ويقال قطن بالمكان إذا أقام فيه، ومحبس الهدى: مكان حبسه وهو الحرم، والمسدن: السدانة.

(٢) قال ابن الكلبى: «أقدم الأصنام كلها مناة، وقد كانت العرب تسمى عبد مناة وزيد مناة وكان منصوباً على ساحل البحر من ناحية المشلل بقديد بين مكة والمدينة وكانت العرب جميعاً تعظمه وتذبح حوله وكانت الأوس والخزرج ومن ينزل المدينة ومكة وما قارب من المواضع يعظمونه ويذبحون له ويهدون له».

(٣) المشلل: جبل يهبط منه إلى قديد، وقديد، موضع قرب مكة.

(٤) قال ابن الكلبى: «ومن الأصنام ذو الخلصة.، وكان مروة بيضاء منقوشة كهيئة التاج، وكانت بتبالة بين مكة واليمن على مسيرة سبع ليال من مكة، وكان سدنتها بنو أمامه من باهلة بن أعصر وكانت تعظمها وتهدى لها خثعم وبجيلة وأزد السراة ومن قاربهم من بطون العرب من هوازن».

قال ابن هشام: ويقال: ذو الخلصة. قال رجل من العرب:

لو كنت يا ذا الخلص الموتورا مثلي وكان شيخك المقبورا

لم تنه عن قتل العداوة زورا

قال: وكان أبوه قتل، فأراد الطلب بثأره، فأتى ذا الخلصة، فاستقسم عنده بالأزلام، فخرج السهم بنهيه عن ذلك، فقال هذه الأبيات. ومن الناس من ينحلها امرأ القيس ابن حجر الكندى، فبعث إليه رسول الله ﷺ جرير ابن عبد الله البجلى، فهدمه[1].

فلس وعباده وهدمه: قال ابن إسحاق: وكانت فلس[2] لطئ ومن يليها بجبلى طئ، يعنى سلمى وأجأ.

قال ابن هشام: فحدثنى بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ بعث إليها على بن أبى طالب فهدمها، فوجد فيها سيفين، يقال لأحدهما: الرسوب، وللآخر: المُخْذَم. فأتى بهما رسول الله فوهبهما له، فهما سيفا على رضى الله عنه[3].

رئام: قال ابن إسحاق: وكان لحمير وأهل اليمن بيت بصنعاء يقال له: رئام.

قال ابن هشام: قد ذكرت حديثه فيما مضى

رضاء وعباده وهدمه: قال ابن إسحاق: وكانت رضاء بيتا لبنى ربيعة بن كعب ابن سعد بن زيد مناة بن تميم، ولها يقول المستوغر بن ربيعة بن كعب ابن سعد حين هدمها فى الإسلام:

ولقد شددت على رضاء شدة فتركتها قفرا بقاع أسحما

---

(١) عن جرير بن عبد الله قال: كان فى الجاهلية بيت يقال له ذو الخلصة، وكان يقال له الكعبة اليمانية أو الكعبة الشامية فقال لى رسول الله ﷺ: **«هل أنت مُريحى من ذى الخلصة؟»** قال: فنفرت إليه فى خمسين ومائة فارس من أحمس، قال: فكسرناه وقتلنا من وجدنا عنده فأتيناه فأخبرناه فدعا لنا ولأحمس، رواه البخارى (٧/ ١٣١) ومسلم (٦٢٤٨) وأحمد (٤/ ٣٦٠، ٣٦٢و ٣٦٥) وفى رواية لمسلم قال جرير: « وكنت لا أثبت على الخيل فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فضرب يده فى صدرى فقال: **«اللهم ثبته واجعله هادياً مهدياً»**.

(٢) قال ابن الكلبى فى كتاب «الأصنام» (ص٥٩): «كان لطيء صنم يقال له الفلس فى وسط جبلهم الذى يقال له أجا أسود كأنه تمثال إنسان، وكانوا يعبدونه ويهدون إليه ويعترون عنده عتائرهم... وكانت سدنته بنو بولان، وبولان هو الذى بدأ بعبادته».

(٣) هذه الرواية إسنادها ضعيف لجهالة من حدَّث بها ابن هشام.

قال ابن هشام: قوله:

فتركتها قفرا بقاع أسحما

عن رجل من بنى سعد.

عمر المستوغر: ويقال: إن المستوغر عمَّر ثلاثمائة سنة وثلاثين سنة، وكان أطول مضر كلها عمرا، وهو الذى يقول:

ولقد سئمت من الحياة وطولها ... وعمرت من عدد السنين مئينا
مائة حدتها بعدها مئتان لى ... وازددت من عدد الشهور سنينا
هل ما بقى إلا كما قد فاتنا ... يوم يمر وليلة تحدونا

وبعض الناس يروى هذه الأبيات لزهير بن جناب الكلبى.

ذو الكعبات وعباده: قال ابن إسحاق: وكان ذو الكعبات لبكر وتغلب ابنى وائل وإياد بسنداد، وله يقول أعشى بنى قيس بن ثعلبة:

بين الخورنق والسدير وبارق ... والبيت ذى الكعبات من سِنْداد

قال ابن هشام: وهذا البيت للأسود بن يعفر النهشلى. نهشل بن دارم ابن مالك ابن زيد بن مناة بن تميم، فى قصيدة له، وأنشدنيه أبو محرز خلف الأحمر:

بين الخورنق والسدير وبارق ... والبيت ذى الشرفات من سنداد[1]

*****

البحيرة والسائبة والوصيلة والحامى

رأى ابن إسحاق فيها: قال ابن إسحاق: فأما البحيرة فهى: بنت السائبة، والسائبة: الناقة إذا تابعت بين عشر إناث ليس بينهن ذكر، سيبت فلم يركب ظهرها، ولم يجز وبرها، ولم يشرب لبنها إلا ضيف، فما نتجت بعد ذلك من أنثى شقت أذنها، ثم خلى سبيلها مع أمها، فلم يركب ظهرها، ولم يجز وبرها، ولم يشرب

(١) الخورنق: قصر بناه النعمان الأكبر ملك الحيرة بنيسابور ليكون ولده فيه عنده وبناه بنياناً عجيباً لم تر العرب مثله، واسم الذى بناه له: سنمار، وهو الذى رُدِّى من أعلاه، حتى قالت العرب: جزائى حزاء سنمار، وذلك أنه لما تم الخورنق وعجب الناس من حسنه قال سنمار: أما والله لو شئت حين بنيته جعلته يدور مع الشمس حيث دارت، فقال له الملك أإنك لتحسن أن تبنى أجمل من هذا؟ وغارت نفسه أن يبتنى لغيره مثله، وأمر به فطرح من أعلاه، وكان بناه فى عشرين سنة. ومعنى السدير بالفارسية: بيت الملك والكعبات: المربعة، وكل بناء مربع فهو كعبة.

لبنها إلا ضيف، كما فعل بأمها، فهى البحيرة بنت السائبة. والوصيلة: الشاة إذا أتأمت عشر إناث متتابعات فى خمسة أبطن، ليس بينهن ذكر، جعلت وصيلة. قالوا: قد وصلت، فكان ما ولدت بعد ذلك للذكور منهم دون إناثهم، إلا أن يموت منها شىء، فيشتركوا فى أكله، ذكورهم وإناثهم.

قال ابن هشام: ويروى: فكان ما ولدت بعد ذلك لذكور بينهم دون بناتهم.

قال ابن إسحاق: والحامى: الفحل إذا نتج له عشر إناث متتابعات ليس بينهن ذكر، حمى ظهره فلم يركب، ولم يجز وبره، وخُلىّ فى إبله يضرب فيها، لا ينتفع منه بغير ذلك.

ابن هشام يخالف ابن إسحاق: قال ابن هشام: وهذا عند العرب على غير هذا إلا الحامى، فإنه عندهم على ما قال ابن إسحاق. فالبحيرة عندهم: الناقة تشق أذنها فلا يركب ظهرها، ولا يجز وبرها، ولا يشرب لبنها إلا ضيف، أو يتصدق به، وتهمل لآلهتهم. والسائبة: التى ينذر الرجل أن يسيبها إن برئ من مرضه أو إن أصاب أمرا يطلبه. فإذا كان أساب ناقة من إبله، أو جملا لبعض آلهتهم، فسابت فرعت لا ينتفع بها. والوصيلة: التى تلد أمها اثنين فى كل بطن، فيجعل صاحبهما لآلهته الإناث منها، ولنفسه الذكور: فتلدها أمها ومعها ذكر فى بطن، فيقولون: وصلت أخاها؛ فيسيب أخوها معها، فلا ينتفع به.

قال ابن هشام: حدثنى به يونس بن حبيب النحوى وغيره. روى بعض ما لم يَروْ بعض.

قال ابن إسحاق: فلما بعث الله تبارك وتعالى رسوله محمدا أنزل عليه: **﴿ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون﴾**(١).

وأنزل الله تعالى: **﴿وقالوا: ما فى بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم إنه حكيم عليم﴾**(٢).

وأنزل عليه: **﴿قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون﴾**(٣).

(١) المائدة: ١٠٣. (٢) الأنعام: ١٣٩. (٣) يونس: ٥٩.

وأنزل عليه: ﴿**ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين قل آلذكرين حرم أم الأنثيين أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين نبئونى بعلم إن كنتم صادقين. ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم أم الأنثيين أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا فمن أظلم من افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم إن الله لا يهدى القوم الظالمين**﴾[1].

البحيرة والوصيلة والحامى لغة : قال ابن هشام: قال الشاعر:

حول الوصائل فى شـــريف حِـــقَّه والحـــاميـــات ظهورهـــا والسُّيَّب

وقال تميم بن أبىّ بن مقبل أحد بنى عامر بن صعصعة:

فيه من الأخرج المرباع قرقرة هدر الديافى وسط الهجمة البحر[2]

وهذا البيت فى قصيدة له. وجمع بحيرة: بحائر وبحر. وجمع وصيلة: وصائل ووصل. وجمع سائبة الأكثر سوائب وسيب وجمع حام الأكثر: حوام.

****

عود إلى النسب

نسب خزاعة: قال ابن إسحاق: وخزاعة تقول: نحن بنو عمرو بن عامر من اليمن.

قال ابن هشام: وتقول خزاعة: نحن بنو عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر بن حارسة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأسد بن الغوث، وخندف أمنا، فيما حدثنى أبو عبيدة وغيره من أهل العلم. ويقال: خزاعة: بنو حارثة بن عمرو بن عامر. وإنما سميت خزاعة، لأنهم تخزعوا[3] من ولد عمرو بن عامر حين أقبلوا من اليمن يريدون الشام، فنزلوا بمر الظهران، فأقاموا بها. قال عوف بن أيوب الأنصارى أحد بنى عمرو بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة من الخزرج فى الإسلام:

---

(١) الأنعام: ١٤٣، ١٤٤.

(٢) يصف فى هذا البيت حمار الوحش، يقول: فيه من الأخرج، وهو الظليم الذى فيه بياض وسواد والمرباع: هو الفحل الذى يبكر بالألقاح. وقرقرة: صوت فيه ترجيع، والهدر: الهدير وهو صوت الفحل والديافى: الفحل المنسوب إلى دياف بلد بالشام، والهجمة من الإبل دون المائة وجعلها بحراً لأنها تأمن من الغارات، يصفها بالمنعة والحماية كما تأمن البحيرة من أن تذبح أو تنحر.

(٣) تخزعوا: تأخروا وانقطعوا وتفرقوا.

فلما هبطنا بطن مر تخزعت ... خزاعة منا فى خيول كراكر[1]
حمت كل واد من تهامة واحتمت ... بصم القنا والمرهفات البواتر

وهذان البيتان فى قصيدة له.

وقال أبو المطهر إسماعيل بن رافع الأنصارى، أحد بنى حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس:

فلما هبطنا بطن مكة أحمدت ... خزاعة دار الآكل المتحامل
فحلت أكاريسا، وشنت قنابلا ... على كل حى بين نجد وساحل[2]
نفوا جرهما عن بطن مكة، ... بعز خزاعى شديد الكواهل[3]

قال ابن هشام: وهذه الأبيات فى قصيدة له، وأنا إن شاء الله أذكر نفيها جرهما فى موضعه.

أولاد مدركة وخزيمة: قال ابن إسحاق: فولد مدركة بن إلياس رجلين: خزيمة ابن مدركة، وهذيل بن مدركة، وأمهما: امرأة من قضاعة. فولد خزيمة بن مدركة أربعة نفر: كنانة بن خزيمة، وأسد بن خزيمة، وأسدة بن خزيمة، والهون بن خزيمة. فأم كنانة: عوانة بنت سعد بن قيس بن عيلان بن مضر.

قال ابن هشام: ويقال الهون بن خزيمة.

أولاد كنانة وأمهاتهم: قال ابن إسحاق: فولد كنانة بن خزيمة أربعة نفر: النضر ابن كنانة، ومالك بن كنانة، وعبد مناة بن كنانة، وملكان بن كنانة. فأم النضر: بَرّة بنت مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر، وسائر بنيه لامرأة أخرى.

قال ابن هشام: أم النضر ومالك وملكان: برة بنت مر، وأم عبد مناة: هالة بنت سويد بن الغطريف من أزد شنوءة. وشنوءة: عبد الله بن كعب بن عبد الله بن مالك ابن نضر بن الأسد بن الغوث، وإنما سموا شنوءة؛ لشنآن كان بينهم. والشنآن: البغض.

من يطلق عليه لقب قرشى: قال ابن هشام: النضر: قريش، فمن كان من ولده

---

(١) الخيول الكراكر: المجتمعة.

(٢) أكاريساً: جمع أكراس، وأكراس: جمع كرس، والكرس: الجماعة من الناس فالأكاريس جمع الجمع، وشنت: مزقت، قنابلا: هى القطعة من الخيل ونجد هنا ما ارتفع من بلاد الحجاز.

(٣) الكواهل: جمع كاهل، وأصله مابين المنكب والعنق، استعاره هنا للرجل العزيز السيد.

فهو قرشى، ومن لم يكن من ولده فليس بقرشى. قال جرير بن عطية أحد بنى كليب ابن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم يمدح هشام بن عبد الملك بن مروان:

فما الأم التى ولدت قريشا ... بمقرفة النجار ولا عقيم[1]

وما قرم بأنجب من أبيكم ... وما خال بأكرم من تميم[2]

يعنى: برة بنت مر، أخت تميم بن مر، أم النضر. وهذان البيتان فى قصيدة له.

ويقال فهر بن مالك: قريش، فمن كان من ولده فهو قرشى، ومن لم يكن من ولده فليس بقرشى، وإنما سميت قريش قريشا من التقرش، والتقرش: التجارة والاكتساب.

قال رؤبة بن العجاج:

قد كان يغنيهم عن الشُّغُوش ... والخشل من تساقط القروش

شحم ومحض ليس بالمغشوش

قال ابن هشام: والشغوش: قمح يسمى: الشغوش. والخشل: رءوس الخلاخيل والأسورة ونحوه. والقروش: التجارة والاكتساب، يقول: قد كان يغنيهم عن هذا شحم ومحض، والمحض: اللبن الحليب الخالص.

وهذه الأبيات فى أرجوزة له. وقال أبو جلدة اليشكرى، ويشكر بن بكر بن وائل:

إخوة قَرَّشوا الذنوب علينا ... فى حديث من عمرنا وقديم

وهذا البيت فى أبيات له.

قال ابن إسحاق: ويقال. إنما سميت قريش قريشا: لتجمعها من بعد تفرقها.

ويقال للتجمع: التقرش.

أولاد النضر وأمهاتهم: فولد النضر بن كنانة رجلين: مالك بن النضر، ويخلد ابن النضر، فأقام مالك: عاتكة بنت عدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان، ولا أدرى أهى أم يخلد أم لا.

---

(١) المقرفة: هى اللئيمة، والنجار: الأصل، والعقيم: التى لاتلد.

(٢) القرم: هو فى الأصل الفحل من الإبل واستعاره ههنا للرجل السيد.

قال ابن هشام: والصلت بن النضر ـ فيما قال أبو عمرو المدنى ـ وأمهم جميعا: بنت سعد بن ظرب العدوانى. وعدوان بن عمر بن قيس بن عيلان. قال كُثَيِّر بن عبدالرحمن ـ وهو كثير عزة أحد بنى مليح بن عمرو، من خزاعة:

أليس أبى بالصلت أم ليس إخوتى ... لكل هجان من بنى النضر أزهرا[1]

رأيت ثياب العصب مختلط السَّدى ... بنا وبهم والحضرمى المُخَصَّرا[2]

فإن لم تكونوا من بنى النضر، فاتركوا ... أراكا بأذناب الفوائج أخضرا[3]

قال: وهذه الأبيات فى قصيدة له.

والذين يعزون إلى الصلت بن النضر من خزاعة: بنو مليح بن عمرو، رهط كُثَيِّر عزة.

أولاد مالك وفهر وأمهاتهم: قال ابن إسحاق: فولد مالك بن النضر: فهر بن مالك. وأمه: جندلة بنت الحارث بن مضاض الجرهمى.

قال ابن هشام: وليس بابن مضاض الأكبر.

قال ابن إسحاق: فولد فهر بن مالك أربعة نفر: غالب بن فهر، ومحارب بن فهر، والحارث بن فهر، وأسد بن فهر، وأمهم: ليلى بنت سعد ابن هذيل بن مدركة.

قال ابن هشام: وجندلة بنت فهر، وهى أم يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة ابن تميم، وأمها: ليلى بنت سعد. قال جرير بن عطية بن الخطفى. واسم الخطفى: حذيفة بن بدر بن سلمة بن عوف بن كليب بن يربوع بن حنظلة.

وإذا غضبت رمى ورائى بالحصى ... أبناء جندلة كخير الجندل

وهذا البيت فى قصيدة له.

أولاد غالب وأمهاتهم: قال ابن إسحاق: فولد غالب بن فهر رجلين: لؤى بن غالب، وتيم بن غالب، وأمهما: سلمى بنت عمرو الخزاعى ـ وتيم ابن غالب الذين يقال لهم: بنو الأدرم.

---

(١) الهجان: الكريم، والأزهر: المشهور.

(٢) العصب برود اليمن لأنها تصبغ بالعصب: يريد أن قدورنا مثل قدورهم وسدى أثوابنا مختلط بسدى أثوابهم. والحضرمى: النعال والمخصرة: التى تطيق من جانبيها كأنها ناقصة الخصرين.

(٣) الفوائج: رؤوس الأودية.

قال ابن هشام: وقيس بن غالب، وأمه: سلمى بنت كعب بن عمرو الخزاعى، وهى أم لؤى وتيم ابنى غالب.

أولاد لؤى وأمهاتهم: قال ابن إسحاق: فولد لؤى بن غالب أربعة نفر: كعب بن لؤى، وعامر بن لؤى، وسامة بن لؤى، وعوف بن لؤى، فأم كعب وعامر وسامة: ماوية بنت كعب بن القين بن جسر، من قضاعة.

قال ابن هشام: ويقال: والحارث بن لؤى، وهم: جشم بن الحارث، فى هِزّان من ربيعة. قال جرير:

بنى جشم لستم لهزان، فانتموا ... لأعلى الروابى من لؤى بن غالب[1]

ولا تنكحوا فى آل ضَوْر نساءكم ... ولا فى شُكَيْس بئس مثوى الغرائب

وسعد بن لؤى، وهم بنانة: فى شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل، من ربيعة.

وبنانة: حاضنة لهم من بنى القيْن بن جسر بن شَيع الله، ويقال: سيع الله، ابن الأسد بن وبرة بن ثعلبة بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة. ويقال: بنت النمر بن قاسط، من ربيعة. ويقال: بنت جرم بن رَبَّان ابن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة.

وخزيمة بن لؤى بن غالب، وهم عائذة فى شيبان بن ثعلبة، وعائذة امرأة من اليمن، وهى أم بنى عبيدة بن خزيمة بن لؤى.

وأم بنى لؤى كلهم ـ إلا عامر بن لؤى: ماوية بنت كعب بن القين بن جَسْر. وأم عامر بن لؤى: مَخْشِية بنت شيبان بن محارب بن فهر، ويقال: ليلى بنت شيبان بن محارب بن فهر.

****

أمر سامة بن لؤى

هروبه من أخيه وموته: قال ابن إسحاق: فأما سامة بن لؤى فخرج إلى عمان، وكان بها. ويزعمون أن عامر بن لؤى أخرجه، وذلك أنه كان بينهما شىء، ففقأ سامة عين عامر، فأخافه عامر، فخرج إلى عمان. فيزعمون أن سامة بن لؤى بينما هو يسير

(١) الروابى: جمع رابية وأصلها الكدية المرتفعة وأراد بها ههنا الأشراف من الناس.

على ناقته، إذ وضعت رأسها ترتع، فأخذت حية بمشفرها، فبصرتها حتى وقعت الناقة لشقها، ثم نهشت سامة فقتلته. فقال سامة حين أحس بالموت فيما يزعمون:

عين فابكى لسامة بن لؤى ... علقت ما بسامة العلاقه[1]
لا أرى مثل سامة بن لؤى ... يوم حلوا به قتيلا لناقه
بلِّغا عامرا وكعبا رسولا ... أن نفسى إليهما مشتاقه
إن تكن فى عمان دارى، فإنى ... غالبىٌّ، خرجت من غير فاقه
رب كأس هرقت يا ابن لؤى ... حذر الموت لم تكن مهراقه
رمت دفع الحتوف يا ابن لؤى ... ما لمن رام ذاك بالحتف طاقه[2]
وخروس السرى تركت رديا ... بعد جد وجدة ورشاقه[3]

قال ابن هشام: وبلغنى أن بعض ولده أتى رسول الله فانتسب إلى سامة بن لؤى، فقال رسول الله ﷺ: «آلشاعر؟» فقال له بعض أصحابه: كأنك يا رسول الله أردت قوله:

رب كأس هرقت يا ابن لؤى ... حذر الموت لم تكن مهراقه

قال: «أجل»[4].

****

أمر عوف بن لؤى ونقلته

سبب انتمائه إلى غطفان: قال ابن إسحاق: وأما عوف بن لؤى فإنه خرج - فيما يزعمون - فى ركب من قريش، حتى إذا كان بأرض غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان، أبطئ به، فانطلق من كان معه من قومه، فأتاه ثعلبة بن سعد، وهو أخوه فى نسب بنى ذبيان - ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان. وعوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان - فحبسه وزوّجه والتاطه[5] وآخاه، فشاع نسبه فى بنى ذبيان. وثعلبة - فيما يزعمون - الذى يقول لعوف حين أبطئ به، فتركه قومه:

احبس على ابن لؤى جملك ... تركك القوم ولا مترك لك

---

(١) العلاقة: هى الحية التى تعلقت بالناقة. (٢) الحتوف: جمع حتف وهو الموت.
(٣) خروس السرى: يريد ناقة صموتاً صبوراً على السرى لاتضجر منه فسراها كالأخرس، والسرى: سير الليل، والردى التى سقطت من الإعياء.
(٤) هذه الرواية ضعيفة لجهالة من أبلغ ابن هشام بها. (٥) التاطه: ألصقه به وألحقه بنسبه.

مكانة مرة: قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير، أو محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حصين، أن عمر بن الخطاب قال: لو كنت مدعيا حيا من العرب، أو ملحقهم بنا، لادعيت بني مرة بن عوف، إنا لنعرف فيهم الأشباه مع ما نعرف من موقع ذلك الرجل حيث وقع، يعني: عوف بن لؤي.

نسب مرة: قال ابن إسحاق: فهو في نسب غطفان: مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان. وهم يقولون إذا ذكر لهم هذا النسب: ما ننكره، وما نجحده، وإنه لأحب النسب إلينا.

وقال الحارث بن ظالم بن جذيمة بن يربوع ـ قال ابن هشام: أحد بني مرة بن عوف حين ـ هرب من النعمان بن المنذر، فلحق بقريش:

فما قومي بثعلبة بن سعد ... ولا بفزارة الشُّعْر الرقابا[1]
وقومي ـ إن سألت ـ بنو لؤي ... بمكة علَّموا مضر الضرابا
سفهنا باتباع بني بغيض ... وترك الأقربين لنا انتسابا
سفاهة مُخْلِف لمَّا تروَّى ... هراق الماء، واتبع السرابا[2]
فلو طووعت ـ عَمرك ـ كنت فيهم ... وما ألفيت أنتجع السحابا[3]
وخش رواحة القرشي رحلي ... بناجية ولم يطلب ثوابا[4]

قال ابن هشام، هذا ما أنشدني أبو عبيدة منها.

قال ابن إسحاق: فقال الحصين بن الحمام المري، ثم أحد بني سهم بن مرة يرد على الحارث بن ظالم، وينتمي إلى غطفان:

ألا لستم منا، ولسنا إليكم ... برئنا إليكم من لؤي بن غالب
أقمنا على عز الحجاز، وأنتم ... بمعتلج البطحاء بين الأخاشب[5]

يعني: قريشا، ثم ندم الحصين على ما قال، وعرف ما قال الحارث بن ظالم،

---

(١) الشعر: جمع أشعر، وهو طويل الشعر.
(٢) المخلف: الذي يستقي الماء.
(٣) وما ألفيت انتجع السحابا: أي كانوا يغنونني بمعروفهم عن انتجاع السحاب وارتياد المراعي في البلاد.
(٤) وخشى رواحة القرش رحلي بناجية: أي بناقة سريعة، يقال: خش السهم بالريش إذا راشه به، فأراد: راشني وأصلح رحلي بناجية ولم يطلب ثواباً بمدحه بذلك، ورواحة هذا: هو رواحة بن منقذ بن معيص بن عامر، كان قد ربع في الجاهلية، أي: رأس وأخذ ربع الغنيمة.
(٥) بمعتلج البطحاء: أي حيث تعتلج السيول، والاعتلاج عمل بقوة، والأخاشب: جبال مكة

فانتمى إلى قريش، وأكذب نفسه، فقال:

ندمت على قول مضى كنت قلته ... تبينت فيه أنه قول كاذب
فليت لسانى كان نصفين منهما ... بكيم، ونصف عند مجرى الكواكب
أبونا كنانى بمكة قبره ... بمعتلج البطحاء بين الأخاشب
لنا الرِّبع من بيت الحرام وِرَاثة ... وربع البطاح عند دار ابن حاطب

أى أن بنى لؤى كانوا أربعة: كعبا، وعامرا، وسامة، وعوفا.

قال ابن إسحاق: وحدثنى من لا أتهم أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لرجال من بنى مرة: إن شئتم أن ترجعوا إلى نسبكم، فارجعوا إليه.

أشراف مرة: قال ابن إسحاق: وكان القوم أشرافا فى غطفان، هم سادتهم وقادتهم. منهم: هرم بن سنان بن أبى حارثة، وخارجة بن سنان بن أبى حارثة، والحارث بن عوف، والحصين بن الحمام، وهاشم بن حرملة الذى يقول له القائل:

أحيا أباه هاشم بن حرملة
يوم الهباءات ويوم اليعملة
ترى الملوك عنده مغربله[1]
يقتل ذا الذنب، ومن لا ذنب له

قال ابن هشام: أنشدنى أبو عبيدة هذه الأبيات لعامر الخصفى: خصفة ابن قيس ابن عيلان:

أحيا أباه هاشم بن حرمله
يوم الهباءات ويوم اليعمله
ترى الملوك عنده مغربله
يقتل ذا الذنب، ومن لا ذنب له!!
ورمحه للوالدات مشكلة

وحدثنى أن هاشما قال لعامر: قل فىَّ بيتا جيدا أثبك عليه، فقال عامر البيت الأول، فلم يعجب هاشما، ثم قال الثانى، فلم يعجبه، ثم قال الثالث، فلم يعجبه،

(١) مغربلة: أراد بالغربلة استقصاءهم وتتبعهم حتى لايفوته واحد مهنم.

فلما قال الرابع:

يقتل ذا الذنب ، ومن لا ذنب له!!

أعجبه، فأثابه عليه.

قال ابن هشام: وذلك الذى أراد الكميت بن زيد فى قوله:

وهاشـــم مـــرة المفنى مـــلوكـــا بـــلا ذنـــب إليـــه ومذنبينـا

وهذا البيت فى قصيدة له. وقول عامر: يوم الهباءات. عن غير أبى عبيدة.

قال ابن إسحاق: قوم لهم صيت وذكر فى غطفان وقيس كلها، فأقاموا على نسبهم، وفيهم كان البَسْل.

****

أمر البسل

تعريف البسل: والبسل[1] - فيما يزعمون - نسيئهم ثمانية أشهر حرم، لهم من كل سنة بين العرب، قد عرفت ذلك لهم العرب لا ينكرونه، ولا يدفعونه، يسيرون به إلى أى بلاد العرب شاءوا، لا يخافون منهم شيئا، قال زهير بن أبى سلمى، يعنى بنى مرة.

نسب زهير بن أبى سلمى: قال ابن هشام: زهير أحد بنى مُزَيْنة بن أد بن طابخة ابن إلياس بن مضر، ويقال: زهير بن أبى سلمى من غطفان، ويقال حليف فى غطفان.

تأمل، فـإن تُقْــو المـــرورات منهم وداراتها لا تقـــو منهـم إذا نخل[2]

بـــلاد بهـــا نادمتهـــم وألفتهـــم فإن تُقْويـــا منهـــم فإنهـــم بسل

أى: حرام. يقول: ساروا فى حرمهم.

قال ابن هشام: وهذان البيتان فى قصيدة له.

قال ابن إسحاق: وقال أعشى بن قيس بن ثعلبة:

أجـارتكم بســـل علينـــا محـــرم وجـــارتنا حـــل لكـــم وحـليلهـا

---

(١) البسل: يطلق فى اللغة على الحرام وعلى الحلال فهو من الأضداد، ومنه بسلة الراقى أى مايحل له أن يأخذه على الرقية، وبسل فى الدعاء بمعنى: آمين وقد فسره المؤلف كما سيأتى بالحرام.

(٢) تقو: أى تقفر، تقول: أقوى المنزل، إذا أقفر وخلا من أهله، والمروارت: اسم موضع كان فيه هذا اليوم.

قال ابن هشام: وهذا البيت فى قصيدة له.

أولاد كعب وأمهم: قال ابن إسحاق: فولد كعب بن لؤى ثلاثة نفر: مرة بن كعب، وعدى بن كعب وهصيص بن كعب، وأمهم: وحشية بنت شيبان بن محارب ابن فهر بن مالك بن النضر.

أولاد مرة وأمهاتهم: فولد مرة بن كعب ثلاثة نفر: كلاب بن مرة، وتيم ابن مرة، ويقظة بن مرة.

فأم كلاب: هند بنت سُرير بن ثعلبة بن الحارث بن فهر بن مالك بن كنانة ابن خزيمة. وأم يقظة: البارقية، امرأة من بارق، من الأسد من اليمن. ويقال: هى أم وتيم. ويقال: تيم هند بنت سُرير أم كلاب.

نسب بارق: قال ابن هشام: بارق: بنو عدى بن حارثة بن عمرو بن عامر ابن حارثة بن امرئ القيس بن مازن بن الأسد بن الغوث، وهم فى شنوءة. قال الكميت ابن زيد:

وأزد شـــنوءة انـــدرءوا علينـــا ... بجُمّ يحـــسبون لهـــا قـــرونا[١]

فما قلنا لبـــارق: قد أسأتـــم ... ومـــا قلنا لبـــارق: أعتبونـــا[٢]

قال: وهذان البيتان فى قصيدة له: وإنما سموا ببارق؛ لأنهم تبعوا البرق.

ولدا كلاب وأمهما: قال ابن إسحاق: فولد كلاب بن مرة رجلين: قصى بن كلاب، وزهرة بن كلاب. وأمهما: فاطمة بنت سعد بن سيل أحد بنى الجدرة، من جُعْثُمة الأزد، من اليمن، حلفاء فى بنى الديل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة.

نسب جعثمة: قال ابن هشام: ويقال: جعثمة الأسد، وجعثمة الأزد، وهو جعثمة بن يشكر بن مبشر بن صعب بن دُهْمان بن نصر بن زهران بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأسد بن الغوث. ويقال: جعثمة بن يشكر ابن مبشر بن صعب بن نصر بن زهران بن الأسد بن الغوث.

---

(١) اندرءوا: أى خرجوا علينا ودفعوا، والجم: جمع أجم وهو الكبش الذى لا قرن له، يريد أنهم خرجوا علينا يناطحون بلا عدة ولاقوة كالكباش الجم التى لا قرون لها ويحسبون أن لهم قوة.

(٢) أعتبونا: أى أرضونا فاصنعوا ما نرضى به عنكم. وتقول: أعتبت الرجل، إذا أرضيته.

وإنما سموا الجدرة؛ لأن عامر بن عمرو بن جعثمة تزوج بنت الحارث بن مضاض الجرهمى. وكانت جرهم أصحاب الكعبة. فبنى للكعبة جدارا، فسمى عامر بذلك: الجادر، فقيل لولده: الجدرة لذلك

قال ابن إسحاق: ولسعد بن سيل يقول الشاعر:

مانرى فى الناس شخصا واحدا ... من علمناه كسعد بن سيل
فارسا أضبط، فيه عُسْرة ... وإذا ما واقف القرن نزل[1]
فارسا يستدرج الخيل كما اسـ ... ـتدرج الحر القطامى[2]

قال ابن هشام: قوله: كما استدرج الحر. عن بعض أهل العلم بالشعر.

نعم بنت كلاب وأمها وولداها: قال ابن هشام: ونعم بنت كلاب، وهى أم سعد وسعيد ابنى سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى، وأمها: فاطمة بنت سعد ابن سيل.

أولاد قصى وأمهم: قال ابن إسحاق: فولد قصى بن كلاب أربعة نفر وامرأتين: عبد مناف بن قصى، وعبد الدار بن قصى، وعبد العزى بن قصى، وعبد قصى بن قصى، وتخمر بنت قصى، وبرة بنت قصى، وأمهم: حُبَّى بنت حُليل بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو الخزاعى.

قال ابن هشام: ويقال: حُبْشية بن سلول.

أولاد عبد مناف وأمهاتهم: قال ابن إسحاق: فولد عبد مناف ـ واسمه: المغيرة بن قصى ـ أربعة نفر: هاشم بن عبد مناف، وعبد شمس بن عبد مناف، والمطلب بن عبد مناف، وأمهم: عاتكة بنت مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن بهشة بن سليم بن منصور بن عكرمة، ونوفل بن عبد مناف، وأمه: واقدة بنت عمرو المازنية. مازن بن منصور بن عكرمة.

قال ابن هشام: فبهذا النسب خالفهم عتبة بن غزوان بن جابر بن وهب بن نسيب بن مالك بن الحارث بن مازن بن منصور بن عكرمة.

قال ابن هشام: وأبو عمرو، وتماضر، وقلابة، وحية، وريطة، وأم الأخثم، وأم

(١) الأضبط: هو الذى يعمل بكلتا يديه، يعمل باليسرى كما يعمل باليمنى، والعسرة: الشدة، والقرن: الشديد فى الحرب.
(٢) الحر القطامى: أراد به الصقر.

سفيان: بنو عبد مناف.

فأم أبى عمرو: ريطة، امرأة من ثقيف، وأم سائر النساء: عاتكة بنت مرة بن هلال أم هاشم بن عبد مناف. وأمها صفية بنت حوزة بن عمرو بن سلول بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن. وأم صفية: بنت عبد الله ابن سعد العشيرة بن مذحج.

أولاد هاشم وأمهاتهم: قال ابن هشام: فولد هاشم بن عبد مناف أربعة نفر، وخمس نسوة: عبد المطلب بن هاشم، وأسد بن هاشم، وأبا صيفى بن هاشم، ونضلة بن هاشم، والشفاء، وخالدة، وضعيفة، ورقية، وحية. فأم عبد المطلب ورقية: سلمى بنت عمرو بن زيد بن لبيد بن خداش بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار. واسم النجار: تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر.

وأمها: عميرة بنت صخر بن حبيب بن الحارث بن ثعلبة بن مازن بن النجار. وأم عميرة: سلمى بنت عبد الأشهل النجارية. وأم أسد: قَيْلة بنت عامر بن مالك الخزاعى.

وأم أبى صيفى وحية: هند بنت عمرو بن ثعلبة الخزرجية. وأم نضلة والشفاء: امرأة من قضاعة. وأم خالدة وضعيفة: واقدة بنت أبى عدى المازنية.

****

أولاد عبد المطلب بن هاشم

أولاد عبد المطلب وأمهاتهم: قال ابن هشام: فولد عبد المطلب بن هاشم عشرة نفر، وست نسوة: العباس، وحمزة، وعبد الله، وأبا طالب - واسمه. عبد مناف - والزبير، والحارث وجحلا، والمقوم، وضرارا، وأبا لهب - واسمه عبد العزى - وصفية، وأم حكيم البيضاء، وعاتكة، وأميمة، وأروى، وبرة.

فأم العباس وضرار: نُتيَلة بنت جناب بن كليب بن مالك بن عمرو بن عامر بن زيد مناة بن عامر - وهو الضحيان - بن سعد بن الخزرج بن تيم اللات بن النمر بن قاسط بن هنْب بن أفصى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار. ويقال: أفصى بن دُعْمِىّ بن جديلة.

وأم حمزة والمقوم وجحل - وكان يلقب بالغيداق لكثرة خيره، وسعة ماله - وصفية: هالة بنت أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى.

وأم عبد الله، وأبى طالب، والزبير، وجميع النساء غير صفية: فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى ابن غالب بن فهر بن مالك بن النضر.

وأمها: صخرة بنت عبد بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر.

وأم صخرة: تخمر بنت عبد بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر.

وأم الحارث بن عبد المطلب: سمراء بنت جندب بن جحير بن رئاب بن حبيب بن سُواءة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة.

وأم أبى لهب: لبنى بنت هاجر بن عبد مناف بن ضاطر بن حُبْشية بن سلول بن كعب بن عمرو الخزاعى.

أم رسول الله ﷺ وأمهاتها: قال ابن هشام فولد عبد الله بن عبد المطلب: رسول الله ﷺ سيد ولد آدم، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، صلوات الله وسلامه ورحمته وبركاته عليه وعلى آله. وأمه: آمنة بنت وهب ابن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر ابن مالك بن النضر.

وأمها: برة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصى بن كلاب ابن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر.

وأم برة: أم حبيب بنت أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب ابن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر.

وأم أم حبيب: برة بنت عوف بن عبيد بن عويج بن عدى بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر.

قال ابن هشام: فرسول الله ﷺ أشرف ولد آدم حسبا، وأفضلهم نسبا من قبل أبيه، وأمه - ﷺ.

****

حديث مولد رسول الله ﷺ

احتفار زمزم: قال: حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام، قال: وكان من

حديث رسول الله ﷺ ما حدثنا به زياد بن عبد الله البكائى، عن محمد بن إسحاق المطلبى: بينما عبد المطلب بن هاشم نائم فى الحجر، إذ أتى؛ فأمر بحفر زمزم، وهى دفن بين صنمى قريش: إساف ونائلة، عند منحر قريش. وكانت جرهم دفنتها حين ظعنوا من مكة،[1] وهى: بئر إسماعيل بن إبراهيم ـ عليهما السلام ـ التى سقاه الله حين ظمئ وهو صغير، فالتمست له أمه ماء فلم تجده، فقامت إلى الصفا تدعو الله، وتستغيثه لإسماعيل، ثم أتت المروة ففعلت مثل ذلك، وبعث الله تعالى جبريل عليه السلام، فهمز له بعقبه فى الأرض، فظهر الماء، وسمعت أمه أصوات السباع فخافتها عليه، فجاءت تشتد نحوه، فوجدته يفحص بيده عن الماء من تحت خده ويشرب، فجعلته حسيا.[2]

****

أمر جرهم ودفن زمزم

ولاة البيت من ولد إسماعيل: قال ابن هشام: وكان من حديث جرهم، ودفنها زمزم، وخروجها من مكة، ومن ولى أمر مكة بعدها إلى أن حفر عبد المطلب زمزم، ما حدثنا به زياد بن عبد الله البكائى عن محمد بن إسحاق المطلبى، قال: لما توفى إسماعيل بن إبراهيم ولى البيت بعده ابنه نابت بن إسماعيل ـ ما شاء الله أن يليه ـ ثم ولى البيت بعده: مضاض بن عمرو الجرهمى.

قال ابن هشام: ويقال: مِضاض بن عمرو الجرهمى.

بغى جرهم وقطوراء: قال ابن إسحاق: وبنو إسماعيل، وبنو نابت مع جدهم: مضاض بن عمرو وأخوالهم من جرهم، وجرهم وقطوراء يومئذ أهل مكة، وهما ابنا عم، وكانا ظعنا من اليمن، فأقبلا سيارة، وعلى جرهم: مضاض بن عمرو، وعلى قطوراء: السميدع رجل منهم. وكانوا إذا خرجوا من اليمن لم يخرجوا إلا ولهم ملك يقيم أمرهم. فلما نزلا مكة رأيا بلدا ذا ماء وشجر، فأعجبهما فنزلا به. فنزل مضاض بن عمرو بمن معه من جرهم بأعلى مكة بقعيقعان، فما حاز. ونزل السميدع بقطوراء، أسفل مكة بأجياد، فما حاز: فكان مضاض يعشر من دخل مكة من أعلاها، وكان السميدع يعشر[3] من دخل مكة من أسفلها، وكل فى قومه لا يدخل واحد منهما على صاحبه. ثم إن جرهم وقطوراء بغى بعضهم على بعض، وتنافسوا

---

(١) وستأتى هذه الرواية مطولة بإسنادها إلى ابن إسحاق.

(٢) الحسى: الحفيرة الصغيرة، أو هو ما يختفى فى الرمل فإذا نبش ظهر. (٣) يعشر: أى يأخذ عُشر أموالهم.

الملك بها، ومع مضاض يومئذ: بنو إسماعيل وبنو نابت، وإليه ولاية البيت دون السميدع. فصار بعضهم إلى بعض، فخرج مضاض بن عمرو من قعيقعان فى كتيبته سائرا إلى السميدع، ومع كتيبته عدتها من الرماح والدرق والسيوف والجعاب، يقعقع بذلك معه، فيقال ما سمى قعيقعان: بقعيقعان إلا لذلك. وخرج السميدع من أجياد، ومعه الخيل والرجال.

فيقال: ما سمى أجياد: إلا لخروج الجياد من الخيل مع السميدع منه. فالتقوا بفاضح، واقتتلوا قتالا شديدا، فقتل السميدع، وفضحت قطوراء. فيقال: ما سمى فاضح: فاضحا إلا لذاك. ثم إن القوم تداعوا إلى الصلح، فساروا حتى نزلوا المطابخ: شعبا بأعلى مكة، واصطلحوا به، وأسلموا الأمر إلى مضاض. فلما جمع إليه أمـــر مكة، فصار ملكها له نحر للناس فأطعمهم، فاطبخ الناس وأكلوا، فيقال: مـــا ســميت المطابخ إلا لذلك. وبعض أهل العلم يزعم أنها إنما سميت المطابخ، لما كان تبع نحر بها، وأطعم، وكانت منزله. فكان الذى كان بين مضاض والسميدع أول بغى كان بمكة فيما يزعمون.

انتشار ولد إسماعيل: ثم نشر الله ولد إسماعيل بمكة، وأخوالهم من جرهم ولاة البيت والحكام بمكة، لا ينازعهم ولد إسماعيل فى ذلك لخئولتهم وقرابتهم، وإعظاما للحرمة أن يكون بها بغى أو قتال. فلما ضاقت مكة على ولد إسماعيل انتشروا فى البلاد، فلا يناوئون قوما إلا أظهرهم الله عليهم - بدينهم فوطؤوهم.

****

بغى جرهم ونفيهم عن مكة

بنو بكر وغبشان يطردون جرهما: ثم إن جرهما بغوا بمكة، واستحلوا خلالا من الحرمة، فظلموا من دخلها من غير أهلها، وأكلوا مال الكعبة الذى يهدى لها، فرقّ أمرهم. فلما رأت بنو بكر بن عبد مناة بن كنانة وغبشان من خزاعة ذلك، أجمعوا لحربهم وإخراجهم من مكة؛ فآذنوهم بالحرب فاقتتلوا فغلبتهم بنو بكر وغبشان، فنفوهم من مكة. وكانت مكة فى الجاهلية لا تقر فيها ظلما ولا بغيا، ولا يبغى فيها أحد إلا أخرجته، فكانت تسمى: الناسة، ولا يريدها ملك يستحل حرمتها إلا هلك مكانه، فقال: إنها ما سميت ببكة إلا أنها كانت تبك أعناق الجبابرة إذا أحدثوا فيها شيئا.

معنى بكة: قال ابن هشام: أخبرنى أبو عبيدة: أن بكة اسم لبطن مكة؛ لأنهم

يتباكون فيها، أى: يزدحمون، وأنشدنى:

إذا الشــــريب أخـــــذته أكـــــه ... فخـــــله حتــى يبــك بكـــــه[1]

أى: فدعه حتى يبك إبله، أى يخليها إلى الماء، فتزدحم عليه، وهو موضع البيت والمسجد، وهذان البيتان لعامان بن كعب بن عمرو بن سعد بن زيد مناة بن تميم.

قال ابن إسحاق: فخرج عمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمى بغزالى الكعبة وبحجر الركن، فدفنهما فى زمزم وانطلق هو ومن معه من جرهم إلى اليمن، فحزنوا على ما فارقوا من أمر مكة وملكها حزنا شديدا، فقال عمرو ابن الحارث بن مضاض فى ذلك، وليس بمضاض الأكبر:

وقائلة والدمـــع مـبادر سكب ... وقد شرقت بالدمع منها المحاجر

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا ... أنيس ولــم يسـمر بمكة سامر[2]

فقلت لها والقلب منى كأنما ... يلجلجـه بين الجـــناحين طائر[3]

بلى نـحن كـنا أهلها، فأزالنا ... صروف الليالى، والجدود العواثر[4]

وكنا ولاة البيت من بعد نابت ... نطوف بذاك البيت، والخير ظاهر

ونحن ولينا البيت من بعد نابت ... بعز، فما يحظى لدينا المكاثر

ملكنا فعززنا فأعظم بملكنا ... فليس لحـــى غيـرنا ثم فاخر

ألم تنكحوا من خير شخص علمته ... فأبناؤه منا، ونحــــن الأصـــاهر[5]

فإن تنثن الدنيا علينا بحالها ... فإن لها حـــــالا، وفيها التشاجر

فأخرجنا منها المليك بقدرة ... كذلك - يا للناس - تجرى المقادر

أقول إذا نام الخلى - ولم أنم ... إذا العرش لا يبعد سهيل وعامر[6]

وبدلت منها أوجها لا أحبها ... بذلك عضتنا السنون الغوابر[7]

وصرنا أحاديثا وكنا بغبطة ... بذلك عضتنا السنون الغوابر

فسحت دموع العين تبكى لبلدة ... بها حرم آمن، وفيها المشاعر[8]

وتبكى لبيت ليس يؤذى حمامه ... يظل به آمنا، وفيه العصافر[9]

(١) الأكة: الشدة وقيل: هى شدة الحر، وقيل شدة الألم.

(٢) الحجون: موضع بأعلى مكة. والصفا: جبل من جبالها. (٣) يلجلجه: يحركه ويديره.

(٤) حروف الليالى: شدائدها ونوائبها، والجدود: جمع جد وهو الحظ.

(٥) خير شخص: هو إسماعيل عليه السلام. (٦) الخلى: الذى ليس له هم يقلقه. وعامر جبل بمكة.

(٧) الغوابر: الماضيات. (٨) سحت الدموع: أى سالت، والمشاعر: هى أماكن العبادات فى الحج.

(٩) أراد العصافير، وحذف الياء ضرورة والمعنى: وتأمن فيه العصافير.

وفيه وحوش - لا ترام - أنيسة   إذا خرجت منه، فليست تغادر[1]

قال ابن هشام: «فأبناؤه منا»، عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وقال عمرو بن الحارث أيضا يذكر بكرا وغبشان، وساكنى مكة الذين خلفوا فيها بعدهم:

يا أيها الناس سيروا إن قصركم   أن تصبحوا ذات يوم لا تسيرونا[2]
حثوا المطى، وأرخو من أزمتها   قبل الممات، وقضوا ما تقضونا
كنا أناسا كما كنتم، فغيرنا   دهر، فأنتم كما كنا تكونونا

قال ابن هشام: هذا ما صح له منها. وحدثنى بعض أهل العلم بالشعر: أن هذه الأبيات أول شعر قيل فى العرب، وأنها وجدت مكتوبة فى حجر باليمن، ولم يسم لى قائلها.

استبداد قوم من خزاعة بولاية البيت

قال ابن إسحاق: ثم إن غبشان من خزاعة وليت البيت دون بنى بكر بن عبد مناة، وكان الذى يليه منهم: عمرو بن الحارث الغبشانى، وقريش إذ ذاك حلول وصرم، وبيوتات متفرقون فى قومهم من بنى كنانة، فوليت خزاعة البيت يتوارثون ذلك كابرا عن كابر، حتى كان آخرهم حليل بن حُبْشية بن سلول بن كعب بن عمرو الخزاعى.

قال ابن هشام: يقال حبيشة بن سلول

*****

تزوج قصى بن كلاب حبى بنت حليل

أولاد قصى وحبى: قال ابن إسحاق: ثم إن قصى بن كلاب خطب إلى حليل بن حبشية بنته حبى، فرغب فيه حليل فزوجه، فولدت له عبد الدار، وعبد مناف، وعبد العزى، وعبدا. فلما انتشر ولد قصى، وكثر ماله، وعظم شرفه، هلك حليل.

مساعدة رزاح لقصى فى تولى أمر البيت: فرأى قصى أنه أولى بالكعبة وبأمر مكة من خزاعة وبنى بكر، وأن قريشا قرعة إسماعيل بن إبراهيم وصريح ولده. فكلم

(١) ليست تغادر: أى ليست تترك.
(٢) قصركم: أى نهايتكم وغاية أمركم..

رجالا من قريش، وبنى كنانة، ودعاهم إلى إخراج خزاعة وبنى بكر من مكة، فأجابوه. وكان ربيعة بن حرام من عذرة بن سعد ابن زيد قد قدم مكة بعد ما هلك كلاب، فتزوج فاطمة بنت سعد بن سيل، وزهرة يومئذ رجل، وقصى فطيم، فاحتملها إلى بلاده، فحملت قصيا معها، وأقام زهرة، فولدت لربيعة رزاحا. فلما بلغ قصى، وصار رجلا أتى مكة، فأقام بها، فلما أجابه قومه إلى ما دعاهم إليه، كتب إلى أخيه من أمه، رزاح بن ربيعة، يدعوه إلى نصرته، والقيام معه، فخرج رزاح بن ربيعة، ومعه إخوته: حنّ بن ربيعة، ومحمود بن ربيعة، وجلهمة بن ربيعة، وهم لغير أمه فاطمة، فيمن تبعهم من قضاعة فى حاج العرب، وهم مجمعون لنصرة قصى. وخزاعة تزعم أن حليل بن حبشية أوصى بذلك قصيا وأمره به حين انتشر له من ابنته من الولد ما انتشر. وقال: أنت أولى بالكعبة، وبالقيام عليها، وبأمر مكة من خزاعة، فعند ذلك طلب قصى ما طلب، ولم نسمع ذلك من غيرهم، فالله أعلم أى ذلك كان.

ما كان يليه الغوث بن مر من الإجازة للناس بالحج

وكان الغوث بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر يلى الإجازة للناس بالحج من عرفة، وولده من بعده، وكان يقال له ولولده: صوفة.

وإنما ولى ذلك الغوث بن مر؛ لأن أمه كانت امرأة من جرهم، وكانت لا تلد. فنذرت لله إن هى ولدت رجلا: أن تصدق به على الكعبة عبدا لها يخدمها، ويقوم عليها، فولدت، فكان يقوم على الكعبة فى الدهر الأول من أخواله من جرهم، فولى الإجازة بالناس من عرفة، لمكانه الذى كان به من الكعبة، وولده من بعده حتى انقرضوا. فقال مر بن أد لوفاء نذر أمه.

إنـى جـعلـت رب مـن بنيـه ... ربيطـة بمكـة العليـه

فباركـن لـى بهـا أليّـه ... واجعله لـى من صالـح البريـة

وكان الغوث بن مر - فيما زعموا - إذا دفع بالناس قال:

لا هـم إنـى تابـع تباعـه ... إن كـان إثم فعلـى قضـاعه[1]

صوفة ورمى الجمار: قال ابن إسحاق: حدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن

(١) التباعة: مايتبعه الإنسان ويقتدى به. وفعلى قضاعة: إنما خص قضاعة بذلك لأنه قد كان من قضاعة من يستحل الأشهر الحرم فجعل إثم ذلك عليهم.

الزبير عن أبيه قال: كانت صوفة تدفع بالناس من عرفة، وتجيز بهم إذا نفروا من منى، فإذا كان يوم النفر أتوا لرمى الجمار، ورجل من صوفة يرمى للناس، لا يرمون حتى يرمى. فكان ذوو الحاجات المتعجلون يأتونه، فيقولون له قم فارم حتى نرمى معك، فيقول لا والله، حتى تميل الشمس، فيظل ذوو الحاجات الذين يحبون التعجل يرمونه بالحجارة، ويستعجلونه بذلك، ويقولون له: ويلك! قم فارم، فيأبى عليهم، حتى إذا مالت الشمس، قام فرمى ورمى الناس معه.

قال ابن إسحاق: فإذا فرغوا من رمى الجمار، وأرادوا النفر من منى، أخذت صوفة بجانبى العقبة، فحبسوا الناس وقالوا: أجيزى صوفة، فلم يجز أحد من الناس حتى يمروا، فإذا نفرت صوفة ومضت، خلى سبيل الناس، فانطلقوا بعدهم، فكانوا كذلك، حتى انقرضوا، فورثهم ذلك من بعدهم بالقعدد بنو سعد بن زيد مناة بن تميم، وكانت من بنى سعد فى آل صفوان ابن الحارث بن شجنة.

نسب صفوان بن جناب: قال ابن هشام: صفوان بن جناب بن شجنة: عطارد بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم.

صفوان وبنوه وإجازتهم للناس بالحج: قال ابن إسحاق: وكان صفوان هو الذى يجيز للناس بالحج من عرفة ثم بنوه من بعده، حتى كان آخرهم الذى قام عليه الإسلام، كرب بن صفوان. وقال أوس بن تميم بن مغراء السعدى:

لا يبرح الناس ما حجوا معرفهم ... حتى يقال: أجيزوا آل صفوانا

قال ابن هشام: هذا البيت فى قصيدة لأوس بن مغراء.

*****

ما كانت عليه عدوان من إفاضة المزدلفة

ذو الأصبع يذكر هذه الافاضة: وأما قول ذى الإصبع العدوانى، واسمه حرثان بن عمرو، وإنما سمى ذا الإصبع؛ لأنه كان له إصبع فقطعها.

عذير الحى من عدوا ... ن كانوا حية الأرض[1]

بغى بعضهم ظلما ... فلم يرع على بعض

ومنهم كانت السادا ... ت والموفون بالقرض

(١) العذير: بمعنى العاذر، وهو نصب على المصدر، وقيل على تقدير هاتوا عذيره أى: من يعذره، وحية الأرض، يقال: فلان حية الأرض وحية الوادى إذا كان مهيبًا يُذعر منه، وقيل معناه إنهم حياة الأرض لانهم كانوا يقومون بالناس لكرمهم وجودهم.

ومنهــــم مـــــن يجيز النا س بالسنـــة والفــــرض
ومـنهــــم حـــكم يقـضـــى فلــا ينقـض مـــا يقضـــى

أبو سيارة يفيض بالناس: وهذه الأبيات فى قصيدة له - فلأن الإفاضة من المزدلفة كانت فى عدوان - فيما حدثنى زياد بن عبد الله البكائى عن محمد بن إسحاق - يتوارثون ذلك كابرا عن كابر، حتى كان آخرهم الذى قام عليه الإسلام أبو سيارة، عميلة بن الأعزل، ففيه يقول شاعر من العرب:

نحـــن دفعنـا عــن أبـــى سيارة وعن مــواليه بنـــى فــزاره
حتـى أجـــاز سـالما حـــماره مستقبل القبلـة يدعــو جـــاره

قال: وكان أبو سيارة يدفع بالناس على أتان له؛ فلذلك يقول: «سالما حماره».

****

أمر عامر بن ظرب بن عمرو بن عياذ بن يشكر بن عدوان

ابن الظرب حاكم العرب: قال ابن إسحاق: وقوله: حكم يقضى يعنى: عامر بن ظرب بن عمرو بن عياذ بن يشكر بن عدوان العدوانى. وكانت العرب لا يكون بينها نائرة[1]، ولا عضلة فى قضاء إلا أسندوا ذلك إليه، ثم رضوا بما قضى فيه، فاختصم إليه فى بعض ما كانوا يختلفون فيه، فى رجل خنثى، له ما للرجل، وله ما للمرأة، فقالوا: أنجعله رجلا أو امرأة؟ ولم يأتوه بأمر كان أعضل منه. فقال: حتى أنظر فى أمركم، فوالله ما نزل بى مثل هذه منكم يا معشر العرب! فاستأخروا عنه؛ فبات ليلته ساهرا يقلب أمره، وينظر فى شأنه، لا يتوجه له منه وجه. وكانت له جارية يقال لها: سخيلة ترعى عليه غنمه، وكان يعاتبها إذا سرحت فيقول: صبحت والله يا سخيل! وإذا أراحت عليه، قال: مسيت والله يا سخيل! وذلك أنها كانت تؤخر السرح حتى يسبقها بعض الناس، وتؤخر الإراحة حتى يسبقها بعض الناس. فلما رأت سهره وقلقه، وقلة قراره على فراشه قالت: مالك لا أبالك! ما عراك فى ليلتك هذه؟ قال: ويلك! دعينى، أمر ليس من شأنك، ثم عادت له بمثل قولها، فقال فى نفسه: عسى أن تأتى مما أنا فيه بفرج، فقال: ويحك! اختصم إلى فى ميراث خنثى، أأجعله رجلا أو امرأة؟ فوالله ما أدرى ما أصنع، وما يتوجه لى فيه وجه؟ قال: فقالت: سبحان الله! لا أبالك! اتبع القضاء المبال، أقعده، فإن بال من حيث يبول الرجل فهو رجل،

---

(1) النائرة: الحادثة الشنيعة بين القوم. والعضلة: الأمر الشديد، والعضلة أيضًا من أسماء الداهية.

وإن بال من حيث تبول المرأة، فهى امرأة. قال: مسى سخيل بعدها أو صبحى، فرجتها والله! ثم خرج على الناس حين أصبح، فقضى بالذى أشارت عليه به.

****

غلب قصى بن كلاب على أمر مكة وجمعه أمر قريش ومعونة قضاعة له

قصى يتغلب على صوفة: قال ابن إسحاق: فلما كان ذلك العام، فعلت صوفة كما كانت تفعل، وقد عرفت ذلك لها العرب، وهو دين فى أنفسهم فى عهد جرهم وخزاعة وولايتهم.

فأتاهم قصى بن كلاب بمن معه من قومه من قريش وكنانة وقضاعة عند العقبة، فقال: لنحن أولى بهذا منكم، فقاتلوه، فاقتتل الناس قتالا شديدا، ثم انهزمت صوفة، وغلبهم قصى على ما كان بأيديهم من ذلك

قصى يقاتل خزاعة وبنى بكر: وانحازت عند ذلك خزاعة وبنو بكر عن قصى، وعرفوا أنه سيمنعهم كما منع صوفة، وأنه سيحول بينهم وبين الكعبة وأمر مكة. فلما انحازوا عنه بادأهم، وأجمع لحربهم، وخرجت له خزاعة وبنو بكر فالتقوا، فاقتتلوا قتالا شديدا، حتى كثرت القتلى فى الفريقين جميعا، ثم إنهم تداعوا إلى الصلح، وإلى أن يحكموا بينهم رجلا من العرب، فحكموا يعمر بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، فقضى بينهم بأن قصيا أولى بالكعبة وأمر مكة من خزاعة، وأن كل دم أصابه قصى من خزاعة وبنى بكر: موضوع يشدخه تحت قدميه، وأن ما أصابت خزاعة وبنو بكر من قريش وكنانة وقضاعة، ففيه الدية مؤداة، وأن يخلى بين قصى وبين الكعبة ومكة.

فسمى يعمر بن عوف يومئذ: الشداخ، لما شدخ من الدماء ووضع منها.

قصى يتولى أمر مكة: قال ابن إسحاق: فولى قصى البيت وأمر مكة، وجمع قومه من منازلهم إلى مكة وتملك على قومه وأهل مكة فملكوه، إلا أنه قد أقر للعرب ما كانوا عليه، وذلك أنه كان يراه دينا فى نفسه لا ينبغى تغييره، فأقر آل صفوان وعدوان والنسأة ومرة بن عوف على ما كانوا عليه، حتى جاء الإسلام، فهدم الله به ذلك كله، فكان قصى أول بنى كعب بن لؤى أصاب ملكا أطاع له به قومه، فكانت إليه الحجابة، والسقاية، والرفادة، والندوة، واللواء، فحاز شرف مكة كله، وقطع

مكة رباعا بين قومه، فأنزل كل قوم من قريش منازلهم من مكة التى أصبحوا عليها. ويزعم الناس أن قريشا هابوا قطع شجر الحرم فى منازلهم، فقطعها قصى بيده وأعوانه فسمته قريش: مجمعا لما جمع من أمرها، وتيمنت بأمره، فما تنكح امرأة، ولا يتزوج رجل من قريش، وما يتشاورون فى أمر نزل بهم، ولا يعقدون لواء الحرب قوم من غيرهم إلا فى داره، يعقده لهم بعض ولده وما تدرع[1] جارية إذا بلغت أن تدرع من قريش إلا فى داره، يشق عليها فيها درعها ثم تدرعه، ثم ينطلق بها إلى أهلها.

فكان أمره فى قومه من قريش فى حياته، ومن بعد موته، كالدين المتبع لا يعمل بغيره. واتخذ لنفسه دار الندوة[2]، وجعل بابها إلى مسجد الكعبة، ففيها كانت قريش تقضى أمورها: قال ابن هشام: وقال الشاعر:

قصى لعمرى كان يدعـــى مجـمعا   بـه جـمع الله القبـائــل مـــن فهـر

قال ابن إسحاق: حدثنى عبد الملك بن راشد عن أبيه، قال: سمعت السائب بن خباب صاحب المقصورة يحدث، أنه سمع رجلا يحدث عمر بن الخطاب - وهو خليفة - حديث قصى بن كلاب، وما جمع من أمر قومه وإخراجه خزاعة وبنى بكر من مكة، وولايته البيت وأمر مكة، فلم يرد ذلك عليه ولم ينكره.

شعر رزاح بن ربيعة فى هذه القصة: قال ابن إسحاق: فلما فرغ قصى من حربه، انصرف أخوه رزاح بن ربيعة إلى بلاده بمن معه من قومه، وقال رزاح فى إجابته قصيا:

لما أتى مـــــن قصـــى رســـول   فقال الرسول: أجيبوا الخليلا
نهضنا إليـــه نقـــود الجـــياد   ونطـرح عنـــا الملـــول الثقيلا
نسير بها الليل حـــتى الصباح   ونكمـــى النهـــار؛ لئـــلا نزولا[3]
فهن ســـــراع كـــورد القطا   يجبن بنـــا من قـصـى رســـولا[4]
جــمعنا من الســـر مـــن أشمذين   ومـــن كـــل حـــى جــمعنا قبيلا[5]
فيالك حـــــلبة مـــــا ليلة   تزيـــد علـــى الألـف سيبا رسيلا[6]

(١) تدرع: تلبس الدرع.

(٢) وهى الدار التى كانوا يجتمعون فيها للتشاور. ولفظها مأخوذ من لفظ النّدىّ والنادى والمنتدى: هو مجلس القوم الذى يندون حوله، أى يذهبون قريباً منه ثم يرجعون إليه.

(٣) نكمى: أى نكمن ونستتر.

(٤) ورد القطا: الوارد منها إلى الماء.

(٥) الأشمذان: جبلان ويقال اسم لقبيلتين.

(٦) الحلبة: جماعة الخيل. والسيب: المشى السريع. والرسيل: الذى فيه تمهل أى تمشى سراعاً ولكن فى رفق كما تزحف الحية.

فلما مـــررن علـــى عسجـــر — وأسهلـــن مـــن مستنـــاخ ســـبيلا [1]
وجـــاوزن بالـــركن مـــن ورقـــان — وجاوزن بالعـــرج حـــيا حـلـولا [2]
مـــررن علـــى الحيل مـــا ذقنه — وعالجـــن مـــن مـــر ليلا طويلا [3]
نُـدنى مـــن العـــوذ أفـــلاءها — إرادة أن يسترقـــن الصـــهيلا [4]
فلـــمـــا انتهينا إلـــى مـــكة — أبحـــنا الرجـــال قبيـــلا قبيـــلا
نعاورهم ثـــم حـــد السيوف — وفى كـــل أوب خـــلسنا العقولا [5]
نخبزهـــم بصـــلاب النسو — ر خـــبز القـــوى العزيز الذليلا [6]
قتلنا خـــزاعة فـــى دارهـــا — وبكرا قتلنـــا وجـــيلا فجـــيلا
نفيناهم مـــن بـــلاد المليك — كما لا يحـــلون أرضا سهولا
فأصبح سبيهم فـــى الحـديـد — ومن كـــل حـــى شفينا الـغليلا

شعر ثعلبة القضاعى فى هذه القصة: وقال ثعلبة بن عبد الله بن ذبيان ابن الحارث ابن سعد بن هذيم القضاعى فى ذلك من أمر قصى حين دعاهم فأجابوه:

جـــلبنا الخيل مضمرة تغـــالى — من الأعـــراف أعـــراف الجـــناب [7]
إلى غـــورى تهامـــة، فالتقينـــا — من الفيفاء فـــى قـــاع يباب
فأما صـــرفة الخـــنثى، فخـــلوا — منازلهـــم محـــاذرة الضراب
وقـــام بنو علـــى إذ رأونـــا — إلى الأسياف كالإبـــل الطراب

شعر قصى: وقال قصى:

أنا ابـــن العاصمين بنى لـــؤى — بمكـــة منزلـــى، وبهـــا ربيـــت
إلى البطحاء قد علمـــت معـــد — ومـــروتها رضـــيت بهـــا رضيت
فلســـت لغـــالب إن لـــم تأثَّل — بهـــا أولاد قيـــذر، والنبـــيت
رزاح ناصـــرى، وبه أُسامـــى — فلســـت أخـــاف ضيمـــا ما حييت

---

(١) عسجر: اسم موضع قرب مكة. وأسهلن: سلكن السهل.
(٢) العرج: واد ناحية الطائف.
(٣) الحيل: هو الماء المستنقع فى أصل واد.
(٤) العوذ: الفرس التى لها أولاد. والأفلاء: جمع فلو وهو المهر العظيم أو البالغ سنة.
(٥) نعاورهم: أى نتعاون عليهم بالضرب واحداً بعد واحد.
(٦) نخبزهم: أى نسوقهم سوقًا شديداً.
(٧) تغالى: ترتفع فى سيرها، والأعرف: الرمل المرتفع، والجناب: موضع من بلاد قضاعة.

فلما استقر رزاح بن ربيعة فى بلاده، نشره الله ونشر حُنًّا فهما قبيلا عذرة اليوم.

وقد كان بين رزاح بن ربيعة، حين قدم بلاده، وبين نهد بن زيد وحوتكة بن أسلم، وهما بطنان من قضاعة شىء، فأخافهم حتى لحقوا باليمن، وأجلوا من بلاد قضاعه، فهم اليوم باليمن، فقال قصى بن كلاب، وكان يحب قضاعة ونماءها واجتماعها ببلادها، لما بينه وبين رزاح من الرحم، ولبلائهم عنده إذ أجابوه إذ دعاهم إلى نصرته، وكره ما صنع بهم رزاح:

ألا من مبلغ عنى رزاحا ... فإنى قد لحيتك فى اثنتين[1]

لحيتك فى بنى نهد بن زيد ... كما فرقت بينهم وبينى

وحوتكة بن أسلم إن قوما ... عنوهم بالمساءة قد

قال ابن هشام: وتروى هذه الأبيات لزهير بن جناب الكلبى.

قصى يفضل عبد الدار على سائر ولده: قال ابن إسحاق: فلما كبر قصى ورق عظمه، وكان عبد الدار بكره، وكان عبد مناف قد شرف فى زمان أبيه، وذهب كل مذهب، وعبد العزى وعبد. قال قصى لعبد الدار: أما والله يا بنى لألحقنك بالقوم، وإن كانوا قد شرفوا عليك: لا يدخل رجل منهم الكعبة، حتى تكون أنت تفتحها له، ولا يعقد لقريش لواء لحربها إلا أنت بيدك، ولا يشرب أحد بمكة إلا من سقايتك، ولا يأكل أحد من أهل الموسم طعاما إلا من طعامك، ولا تقطع قريش أمرا من أمورها إلا فى دارك، فأعطاه داره دار الندرة، التى لا تقضى قريش أمرا من أمورها إلا فيها، وأعطاه الحجابة واللواء والسقاية والرفادة.

الرفادة: وكانت الرفادة خرجا تخرجه قريش فى كل موسم من أموالها إلى قصى بن كلاب، فيصنع به طعاما للحجاج، فيأكله من لم يكن له سعة ولا زاد، وذلك أن قصيا فرضه على قريش، فقال لهم حين أمرهم به: يا معشر قريش، إنكم جيران الله، وأهل بيته، وأهل الحرم، وإن الحاج ضيف الله وزوار بيته، وهم أحق الضيف بالكرامة، فاجعلوا لهم طعاما وشرابا أيام الحج، حتى يصدروا عنكم، فكانوا يخرجون لذلك كل عام من أموالهم خرجا، فيدفعونه إليه، فيصنعه طعاما للناس أيام منى، فجرى ذلك من أمره فى الجاهلية على قومه حتى قام الإسلام، ثم جرى فى الإسلام إلى يومك هذا، فهو الطعام الذى يصنعه السلطان كل عام بمنى للناس حتى

(١) لحيتك: أى وجهت إليك اللوم.

ينقضى الحج.

قال ابن إسحاق: حدثنى بهذا من أمر قصى بن كلاب، وما قال لعبد الدار فيما دفع إليه مما كان بيده أبو إسحاق بن يسار، عن الحسن بن محمد بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم، قال: سمعته يقول ذلك لرجل من بنى عبد الدار يقال له: نُبيه ابن وهب بن عامر بن عكرمة بن عامر بن هاشم ابن عبد مناف بن عبد الدار بن قصى.

قال الحسن: فجعل إليه قصى كل ما كان بيده من أمر قومه، وكان قصى لا يخالف، ولا يرد عليه شىء صنعه.

****

ذكر ما جرى من اختلاف قريش بعد قصى وحلف المطيبين

النزاع بين بنى عبد الدار وبنى أعمامهم: قال ابن إسحاق: ثم إن قصى ابن كلاب هلك، فأقام أمره فى قومه وفى غيرهم بنوه من بعده، فاختطوا مكة رباعا - بعد الذى كان قطع لقومه بها فكانوا يقطعونها فى قومهم، وفى غيرهم من حلفائهم ويبيعونها. فأقامت على ذلك قريش معهم ليس بينهم اختلاف ولا تنازع، ثم إن بنى عبد مناف بن قصى: عبد شمس وهاشما والمطلب ونوفلا أجمعوا على أن يأخذوا ما بأيدى بنى عبد الدار بن قصى مما كان قصى جعل إلى عبد الدار، من الحجابة واللواء والسقاية والرفادة، ورأوا أنهم أولى بذلك منهم لشرفهم عليهم وفضلهم فى قومهم، فتفرقت عند ذلك قريش، فكانت طائفة مع بنى عبد مناف على رأيهم؛ يرون أنهم أحق به من بنى عبد الدار لمكانهم فى قومهم، وكانت طائفة مع بنى عبدالدار، يرون أن لا ينزع منهم ما كان قصى جعل إليهم.

فكان صاحب أمر بنى عبد مناف: عبد شمس بن عبد مناف، وذلك أنه كان أسن بنى عبد مناف وكان صاحب أمر بنى عبد الدار: عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار.

حلفاء بنى عبد الدار وحلفاء بنى أعمامهم: فكان بنو أسد بن عبد العزى بن قصى، وبنو زهرة بن كلاب، وبنو تيم بن مرة بن كعب، وبنو الحارث بن فهر بن مالك بن النضر، مع بنى عبد مناف.

وكان بنو مخزوم بن يقظة بن مرة، وبنو سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب، وبنو جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب، وبنو عدى بن كعب، مع بنى عبد الدار، وخرجت عامر بن لؤى ومحارب بن فهر، فلم يكونوا مع واحد من الفريقين.

فعقد كل قوم على أمرهم حلفا مؤكدا على أن لا يتخاذلوا، ولا يسلم بعضهم بعضا ما بل بحر صوفة.

فأخرج بنو عبد مناف جفنة مملوءة طيبا، فيزعمون أن بعض نساء بنى عبد مناف، أخرجتها لهم، فوضعوها لأحلافهم فى المسجد عند الكعبة، ثم غمس القوم أيديهم فيها، فتعاقدوا وتعاهدوا هم وحلفاؤهم، ثم مسحوا الكعبة بأيديهم توكيدا على أنفسهم، فسموا المطيبين.

وتعاقد بنو عبد الدار، وتعاهدوا هم وحلفاؤهم عند الكعبة حلفا مؤكدا، على أن لا يتخاذلوا، ولا يسلم بعضهم بعضا، فسموا الأحلاف.

تقسيم القبائل فى هذه الحرب: ثم سوند بين القبائل ولز بعضها ببعض، فعبيت بنو عبد مناف لبنى سهم، وعبيت بنو أسد لبنى عبد الدار، وعبيت زهرة لبنى جمح، وعبيت بنو تيم لبنى مخزوم، وعبيت بنو الحارث بن فهر لبنى عدى بن كعب. ثم قالوا: لتفن كل قبيلة من أسند إليها.

تصالح القبائل: فبينا الناس على ذلك قد أجمعوا للحرب إذ تداعوا إلى الصلح، على أن يعطوا بنى عبد مناف السقاية والرفادة، وأن تكون الحجابة واللواء والندوة لبنى عبد الدار كما كانت، ففعلوا ورضى كل واحد من الفريقين بذلك، وتحاجز الناس عن الحرب، وثبت كل قوم مع من حالفوا، فلم يزالوا على ذلك حتى جاء الله تعالى بالإسلام، فقال رسول الله ـ ﷺ: **«ما كان من حلف فى الجاهلية، فإن الإسلام لم يزده إلا شدة»**[1].

****

حلف الفضول

سبب تسميته: قال ابن هشام: وأما حلف الفضول فحدثنى زياد بن عبدالله البكائى عن محمد بن إسحاق قال: تداعت قبائل من قريش إلى حلف، فاجتمعوا له

(١)رواه البيهقى فى «السنن الكبرى» (٦/ ٣٣٥) وفى إسناده: أحمد بن عبد الجبار العطاردى وهو ضعيف.

فى دار عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد ابن تيم بن مرة بن كعب بن لؤى، لشرفه وسنه، فكان حلفهم عنده: بنو هاشم، وبنو المطلب، وأسد بن عبد العزى، وزهرة بن كلاب، وتيم بن مرة، فتعاقدوا وتعاهدوا على أن لا يجدوا بمكة مظلوما من أهلها وغيرهم ممن دخلها من سائر الناس إلا قاموا معه، وكانوا على من ظلمه حتى ترد عليه مظلمته، فسمت قريش ذلك الحلف: حلف الفضول.

حديث رسول الله ﷺ فيه: قال ابن إسحاق: فحدثنى محمد بن زيد بن المهاجر ابن قنفذ التيمى أنه سمع طلحة بن عبد الله بن عوف الزهرى يقول: قال رسول الله ﷺ: **«لقد شهدت فى دار عبد الله بن جدعان حلفا، ما أحب أن لى به حمر النعم، ولو أدعى به فى الإسلام لأجبت»**[1].

الحسين يهدد الوليد بالدعوة إلى إحياء الحلف: قال ابن إسحاق: وحدثنى يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهادى الليثى أن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى حدثه: أنه كان بين الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما، وبين الوليد بن عتبة بن أبى سفيان - والوليد يومئذ أمير على المدينة، أمَّره عليها عمه معاوية بن أبى سفيان - منازعة فى مال كان بينهما بذى المروة، فكان الوليد تحامل على الحسين فى حقه - لسلطانه - فقال له الحسين: أحلف بالله لتنصفنى من حقى، أو لآخذن سيفى، ثم لأقومن فى مسجد رسول الله - ﷺ - ثم لأدعون بحلف الفضول قال: فقال عبد الله بن الزبير، وهو عند الوليد حين قال الحسين - رضى الله عنه - ما قال: وأنا أحلف بالله لئن دعابه لآخذن سيفى، ثم لأقولن معه حتى ينصف من حقه أو نموت جميعا، قال: فبلغت المسور بن مخرمة بن نوفل الزهرى، فقال مثل ذلك، وبلغت عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله التيمى، فقال مثل ذلك، فلما بلغ ذلك الوليد بن عتبة أنصف الحسين من حقه حتى رضى.

خروج بنى عبد شمس وبنى نوفل من الحلف: قال ابن إسحاق وحدثنى: يزيد ابن عبد الله بن أسامة بن الهادى الليثى عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى قال:

---

(١) إسناده مرسل، طلحة بن عبد الله بن عوف الزهرى لم يسمع من النبى ﷺ. وقال الشيخ الألبانى: هذا سند صحيح لولا أنه مرسل، ولكن له شواهد تقويه، فرواه الحميدى بإسناد آخر مرسلاً أيضاً كما فى «البداية» (٢٩/٢) وأخرجه الإمام أحمد (رقم ١٦٥٥ و١٦٧٦) من حديث عبد الرحمن بن عوف مرفوعاً دون قوله: «**ولو دعيت فى الإسلام لأجبت**» وسنده صحيح أ هـ من«تحقيق فقه السيرة» للغزالى (ص٧٦) **قلت:** وسبب تسمية هذا الحلف بهذا الإسم هو ماورد فى الحديث عند الحميدى من قول النبى ﷺ : «**لقد شهدت فى دار عبد الله بن جد عان حلفاً لو دعيت به فى الإسلام لأجبت تحالفوا أن ترد الفضول على أهلها وألا يَعزّ ظالم مظلوماً**».

قدم محمد بن جبير من مطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف ـ وكان محمد بن جبير أعلم قريش ـ فدخل على عبد الملك بن مروان بن الحكم حين قتل ابن الزبير واجتمع الناس على عبد الملك فلما دخل عليه قال له: يا أبا سعيد، ألم نكن نحن وأنتم، يعنى بنى عبد شمس بن عبد مناف وبنى نوفل بن عبد مناف فى حلف الفضول؟ قال: أنت أعلم، قال عبد الملك: لتخبرنى يا أبا سعيد بالحق من ذلك، فقال: لا والله، لقد خرجنا نحن وأنتم منه، قال: صدقت.

هاشم يتولى الرفادة والسقاية: قال ابن إسحاق: فولى الرفادة والسقاية: هاشم بن عبد مناف، وذلك أن عبد شمس كان رجلا سفارا قلما يقيم بمكة. وكان مقلا ذا ولد، وكان هاشم موسرا فكان ـ فيما يزعمون ـ إذا حضر الحج، قام فى قريش فقال: «يا معشر قريش، إنكم جيران الله وأهل بيته، وإنه يأتيكم فى هذا الموسم زوار الله وحجاج بيته، وهم ضيف الله، وأحق الضيف بالكرامة: ضيفه، فاجمعوا لهم ما تصنعون لهم به طعاما أيامهم هذه التى لابد لهم من الإقامة بها؛ فإنه ـ والله ـ لو كان مالى يسع لذلك ما كلفتكموه» فيخرجون لذلك خرجا من أموالهم، كل امرئ بقدر ما عنده، فيصنع به للحجاج طعام، حتى يصدروا منها.

أفضال هاشم على قومه: وكان هاشم ـ فيما يزعمون ـ أول من سن الرحلتين لقريش: رحلتى الشتاء والصيف، وأول من أطعم الثريد للحجاج بمكة، وإنما كان اسمه: عمرا، فما سمى هاشما إلا بهشمه الخبز بمكة لقومه، فقال شاعر من قريش أو من بعض العرب:

عمرو الذى هشم الثريد لقومه ... قوم بمكة مسنتين عجاف
سنت إليه الرحلتان كلاهما ... سفر الشتاء، ورحلة

قال ابن هشام: أنشدنى بعض أهل العلم بالشعر من أهل الحجاز:

قوم بمكة مسنتين عجاف

المطلب يلى الرفادة والسقاية: قال ابن إسحاق: ثم هلك هاشم بن عبد مناف بغزة من أرض الشام تاجرا، فولى السقاية والرفادة من بعده المطلب بن عبد مناف، وكان أصغر من عبد شمس وهاشم، وكان ذا شرف فى قومه وفضل، وكانت قريش إنما تسميه: الفيض؛ لسماحته وفضله.

زواج هاشم بن عبد مناف: وكان هاشم بن عبد مناف قدم المدينة، فتزوج سلمى بنت عمرو أحد بنى عدى بن النجار، وكانت قبله عند أحيحة ابن الجلاح بن الحريش.

قال ابن هشام: ويقال: الحريس بن جحجبى بن كلفة بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس، فولدت له عمرو بن أحيحة، وكانت لا تنكح الرجال لشرفها فى قومها حتى يشترطوا لها أن أمرها بيدها، إذا كرهت رجلا فارقته.

سبب تسمية عبد المطلب باسمه: فولدت لهاشم: عبد المطلب، فسمته شيبة، فتركه هاشم عندها حتى كان وصيفا أو فوق ذلك، ثم خرج إليه عمه المطلب؛ ليقبضه، فيلحقه ببلده وقومه فقالت له سلمى: لست بمرسلته معك، فقال لها المطلب: إنى غير منصرف حتى أخرج به معى، إن ابن أخى قد بلغ، وهو غريب فى غير قومه، ونحن أهل بيت شرف فى قومنا؛ نلى كثيرا من أمرهم، وقومه وبلده وعشيرته خير له من الإقامة فى غيرهم، أو كما قال. وقال شيبة لعمه المطلب ـ فيما يزعمون ـ لست بمفارقها إلا أن تأذن لى، فأذنت له، ودفعته إليه، فاحتمله، فدخل به مكة مردفه معه على بعيره، فقالت قريش: عبد المطلب ابتاعه، فبها سمى شيبة: عبدالمطلب. فقال المطلب: ويحكم! إنما هو ابن أخى هاشم، قدمت به من المدينة.

وفاة المطلب: ثم هلك المطلب بردمان من أرض اليمن، فقال رجل من العرب يبكيه:

قد ظمئ الحجيج بعد المطلب بعد الجفان والشراب المنثعب[1]

ليت قريشا بعده على نصب[2]

مطرود يبكى المطلب وبنى عبد مناف: وقال مطرود بن كعب الخزاعى، يبكى المطلب وبنى عبد مناف جميعا حين أتاه نعى نوفل بن عبد مناف، وكان نوفل آخرهم هلكا:

يا ليلة هيجت ليلاتى إحدى ليالى القسيات[3]

وما أقاسى من هموم، وما عالجت من رزء المنيات

إذا تذكرت أخى نوفلا ذكرنى بالأوليات

(١) الشراب المنثعب: هو الكثير السيل. (٢) على نصب: أى على تعب.

(٣) أى أنت إحدى ليال القسيات. والقسيات مأخوذ من القسوة: أى لا لين عندهن ولا رأفة فيهن.

ذكرنى بالأزر الحـــمر وال ـــأردية الصفـــر القشيبـــات[1]

أربعـــة كلهـــم سيـــد أبنـــاء ســادات لســـادات

ميت بردمـــان وميـت بسلـــ ـــمان وميـت بـين غـــزات[2]

وميـت أسكـن لحـدا لـدى الـ محـجوب شـرقـى البنيـات[3]

أخـلصـهـم عبـد منـاف فهم مـن لـوم مـن لام بمنجـاة

إن الـمغيرات وأبنـــاءهـــا مـن خـير أحـياء وأمـوات[4]

اسم عبد مناف وترتيب أولاده موتا : وكان اسم عبد مناف: المغيرة، وكان أول بنى عبد مناف هلكا: هاشم، بغزة من أرض الشام، ثم عبد شمس بمكة، ثم المطلب بردمان من أرض اليمن، ثم نوفلا بسلمان من ناحية العراق.

شعر آخر لمطرود: فقيل لمطرود ـ فيما يزعمون ـ لقد قلت فأحسنت، ولو كان أفحل مما قلت كان أحسن، فقال: أنظرونى ليالى، فمكث أياما، ثم قال:

يا عين جودى، وأذرى الدمع وانهمرى وابكى على السر من كعب المغيرات

يا عين، واسحنفرى بالدمع واحتفلى وابكى خبيئة نفسى فى الملمات[5]

وابكى على كل فياض أخى ثقة ضخم الدسيعة وهاب الجزيلات[6]

محض الضريبة، عالى الهم، مختلق جلد النحيزة، ناء بالعظيمات[7]

صعب البديهة لا نكس ولا وكل ماضى العزيمة، متلاف الكريمات[8]

صقر توسط من كعب إذا نُسبوا ثم بحبوحة المجد والشم الرفيعات[9]

اندبى الفيض والفياض مطلبا استخرطى بعد فيضات بجمات[10]

أمسى بردمان عنا اليوم مغتربا يا لهف نفسى عليه بين أموات

وابكى ـ لك الويل ـ إما كنت باكية لعبد شمس بشرقى الثنيات

وهاشم فى ضريح وسط بلقعة تسفى الرياح عليه بين غزات

(١) القشيبات: الجديدات تقول ثوب قشيب إذا كان جديداً.

(٢) ردمان موضع باليمن. وسلمان: اسم ماء قديم فى الطريق إلى تهامة من العراق. وغزاة: هى غزة ولكنهم يجعلون لكل ناحية أو لكل ربض من البلدة اسم البلدة، فجعلها على هذا الاعتبار.

(٣) البنيات: الكعبة. (٤) المغيرات: بنو المغيرة.

(٥) استحفزى: أى أديمى الدمع. والخبيئة: الشىء المجنوء. (٦)ضخم الدسيعة: كثير العطاء. والجزيلات: الكثيرات.

(٧) الضريبة: الطبيعة. و المختلق، تمام الخلق، والنحيزة: الطبيعة.

(٨) النكس: الرجل الدنئ والوكل : الضعيف الذى يكل أموره إلى غيره.

(٩) البحبوحة: وسط الشىء. والشم: جمع أشم وهو المرتفع العالى.

(١٠) استخرطى: استكثرى من الدمع. والجمات ـ فى الأصل ـ المجتمع من الماء فاستعاره للدمع.

ونوفل كان دون القوم خالصتى ... أمسى بسلمان فى رمس بموماة[1]

لم ألق مثلهم عجما ولا عربا ... إذا استقلت بهم أدم المطيات[2]

أمست ديارهم منهم معطلة ... وقد يكونون زينا فى السريات[3]

أفناهم الدهر، أم كلت سيوفهم ... أم كل من عاش أزواد المنيات

أصبحت أرضى من الأقوام بعدهم ... بسط الوجـــوه وإلقـــاء التحيات

يا عين فابكى أبا الشعث الشجيات ... يبكينه حــــسرا مثـــل البليات[4]

يبكين أكرم من يمشى على قدم ... يعولنه بدمـــوع بعـــد عبرات

يبكين شخصا طويل الباع ذا فجر ... آبى الهضيمة، فزاج الجليلات[5]

يبكين عمرو العلا إذ حان مصرعه ... سمح السجـــية، بســـام العشيات[6]

يبكينه مستكينات علـــــى حزن ... يا طول ذلك من حزن وعولات

يبكين لـــــما جـــلاهن الزمان له ... خضر الخدود كأمثال الحميات[7]

محتزمات علــــى أوســـاطهن لما ... الزمـــان مـــن أحداث المصيبات

أبيت ليلى أراعى النجم من ألم ... أبكى، وتبكى معى شجوى بنياتى

ما فى القروم لهم عدل ولا خطر ... ولا لمـــن تركـــوا شروى بقيات[8]

أبناؤهم خـــير أبنـــاء، وأنفسهم ... خير النفوس لـــدى جهد الأليات

كم وهبوا من طمر سابح أرن ... ومن طمرة نهـــب فــــى طمرات[9]

ومن سيوف من الهندى مخلصة ... ومن رماح كأشطان الركيات[10]

ومن توابع مما يفضلون بها ... عند المسائل من بذل العطيات

فلو حسبت وأحصى الحاسبون معى ... لم أفص أفعالهم تلك الهنيات

هم المدلون إمــــا مـــعشر فخروا ... عند الفخـــار بأنســـاب نقيات

---

(١) المومات: القفر.

(٢) الأدم: الإبل الكرام.

(٣) السريات: جمع سرية وهى الجماعة من الجيش.

(٤) الشعث: جمع شعثاء. والشجيات: الحزينات من الشجى وهو الحزن. وحسراً: جمع حاسرة. والبليات: جمع بلية وهى الناقة يموت صاحبها فتشد عند قبره حتى تموت، كانوا يقولوا إن صاحبها يحشر عليها.

(٥) الفجر: الجود والهضيبة: الذل.

(٦) بسام العشيات: يعنى أنه يضحك للأضياف ويبسم عند لقائهم وهو كناية عن فرط الكرم.

(٧) الحميات: الإبل التى حميت الماء، أى منعت الماء.

(٨) القروم: سادات الناس. وعدل: أى مثل. والخطر: القدر والرفعة. والشروى: بمعنى مثل.

(٩) الطمر: الفرس الخفيف السريع، والأرن: النشط. والنهب: ما انتهب من الغنائم. والطمرات: الأمكنة المرتفعة.

(١٠) أشطان الركيات: حبال الآبار.

زين البيوت التى حلوا مساكنها ... فأصبحت منهم وحشا خليات

أقول والعين لا ترقا مدامعها: ... لا يبعد الله أصحاب الرزيات

قال ابن هشام: الفجر: العطاء. قال أبو خراش الهذلى:

عجف أضيافى جميل بن معمر بذى فجر تأوى إليه الأرامل

قال ابن إسحاق: أبو الشعث الشجيات: هاشم بن عبد مناف.

عبد المطلب يلى السقاية والرفادة: قال: ثم ولى عبد المطلب بن هاشم السقاية والرفادة بعد عمه عبد المطلب، فأقامها للناس، وأقام لقومه ما كان آباؤه يقيمون قبله لقومهم من أمرهم، وشرف فى قومه شرفا لم يبلغه أحد من آبائه ، وأحبه قومه وعظم خطره فيهم.

****

ذكر حفر زمزم وما جرى من الخلف فيها

سبب حفر زمزم: ثم إن عبد المطلب بينما هو نائم فى الحجر إذ أتى، فأمر بحفر زمزم.

قال ابن إسحاق: وكان أول ما ابتدئ به عبد المطلب من حفرها، كما حدثنى يزيد بن أبى حبيب المصرى عن مرثد بن عبد الله اليزنى عن عبد الله ابن زرير الغافقى، أنه سمع على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه[١] يحدث حديث زمزم حين أمر عبد المطلب بحفرها، قال:

قال عبد المطلب: إنى لنائم فى الحجر إذ أتانى آت فقال: احفر طيبة[٢]: قلت: وما طيبة؟ قال: ثم ذهب عنى. فلما كان الغد رجعت إلى مضجعى فنمت فيه، فجاءنى فقال: احفر برة. قال: فقلت: وما برة؟ قال: ثم ذهب عنى، فلما كان الغد رجعت إلى مضجعى، فنمت فيه، فجاءنى فقال: احفر المضنونة؟ قال: فقلت: والمضنونة؟ قال: ثم ذهب عنى. فلما كان الغد رجعت إلى مضجعى، فنمت فيه، فجاءنى فقال: احفر زمزم. قال: قلت: وما زمزم؟ قال لا تنزف[٣] أبدا ولا تذم[٤]،

(١) هذا إسناد حسن إلى على بن أبى طالب رضى الله عنه.

(٢) قيل لزمزم طيبة لأنها للطيبين والطيبات من ولد إبراهيم. وقيل لها برة لأنها فاضت على الأبرار وغاضت عن الفجار، وقيل لها مضنونة لأنها ضن بها على غير المؤمنين فلا يتضلع منها منافق.

(٣) أى لا يفرغ ماؤها ولا يلحق قعرها.

(٤) أى لا توجد قليلة الماء، تقول: أذمت البئر، إذا وجدتها قليلة الماء.

تسقى الحجيج الأعظم، وهى بين الفرث والدم[1]، عند نقرة الغراب الأعصم[2]، عند قرية النمل[3].

قريش تنازع عبد المطلب فى زمزم: قال ابن إسحاق: فلما بين له شأنها، ودل على موضعها، وعرف أنه قد صدق ، غدا بمعوله ومعه ابنه الحارث بن عبد المطلب، ليس له يومئذ ولد غيره فحفر فيها. فلما بدا لعبد المطلب الطى، كبر.

التحاكم فى بئر زمزم: فعرفت قريش أنه قد أدرك حاجته، فقاموا إليه، فقالوا: يا عبد المطلب، إنها بئر أبينا إسماعيل، وإن لنا فيها حقا فأشركنا معك فيها. قال: ما أنا بفاعل، إن هذا الأمر قد خصصت به دونكم، وأعطيته من بينكم، فقالوا له: فأنصفنا، فإنا غير تاركيك حتى نخاصمك فيها، قال: فاجعلوا بينى وبينكم من شئتم أحاكمكم إليه، قالوا: كاهنة بنى سعد هذيم، قال. نعم، قال: وكانت بأشراف الشام، فركب عبد المطلب ومعه نفر من بنى أبيه من بنى عبد مناف، وركب من كل قبيلة من قريش نفر. قال: والأرض إذ ذاك مفاوز.

قال: فخرجوا حتى إذا كانوا ببعض تلك المفاوز بين الحجاز والشام، فنى ماء عبد المطلب وأصحابه، فظمئوا حتى أيقنوا بالهلكة، فاستسقوا من معهم من قبائل قريش، فأبوا عليهم، وقالوا: إنا بمفازة، ونحن نخشى على أنفسنا مثل ما أصابكم، فلما رأى عبد المطلب ما صنع القوم، وما يتخوف على نفسه وأصحابه، قال: ما ترون؟ قالوا ما رأينا إلا تبع لرأيك فمرنا بما شئت، قال: فإنى أرى أن يحفر كل رجل منكم حفرته لنفسه بما بكم الآن من القوة ـ فكلما مات رجل دفعه أصحابه فى حفرته ثم واروه ـ حتى يكون آخركم رجلا واحدا، فضيعة رجل واحد أيسر من ضيعة ركب جميعا قالوا: نعم ما أمرت به. فقام كل واحد منهم فحفر حفرته، ثم قعدوا ينتظرون الموت عطشا، ثم إن عبد المطلب قال لأصحابه: والله إن إلقاءنا بأيدينا هكذا للموت، لا نضرب فى الأرض، ولا نبتغى لأنفسنا، لعجز، فعسى الله أن يرزقنا ماء ببعض البلاد، ارتحلوا، فارتحلوا حتى إذا فرغوا، ومن معهم من قبائل قريش ينظرون إليهم ما هم فاعلون، تقدم عبد المطلب إلى راحلته فركبها. فلما انبعثت به انفجرت من تحت خفها عين ماء عذب، فكبر عبدالمطلب، وكبر أصحابه، ثم نزل فشرب، وشرب أصحابه، واستقوا حتى ملأوا أسقيتهم، ثم دعا القبائل من قريش، فقال: هلم إلى

(١) الفرث: ما يكون فى كرش ذى الكرش من الحيوان.

(٢) قيل: الغراب الأعصم: أحمر المنقار والرجلين، وقيل: أبيض البطن، وقيل: أبيض الجناحين.

(٣) دل عليها بعلامات ثلاث: كونها بين الفرث والدم، وعند نقرة الغراب الأعصم، وعند قرية النمل.

الماء، فقد سقانا الله، فاشربوا واستقوا. ثم قالوا: قد ـ والله قضى لك علينا يا عبد المطلب والله لا نخاصمك فى زمزم أبدا، إن الذى سقاك هذا الماء بهذه الفلاة لهو الذى سقاك زمزم، فارجع إلى سقايتك راشدا. فرجع ورجعوا معه، ولم يصلوا إلى الكاهنة وخلوا بينه وبينها.

قال ابن إسحاق: فهذا الذى بلغنى من حديث على بن أبى طالب رضى الله عنه فى زمزم، وقد سمعت من يحدث عن عبد المطلب أنه قيل له حين أمر بحفر زمزم:

ثــم ادع بالمـاء الـروى غير الكدر   يسقى حجيج الله فـى كـل مبر
ليـس يخـاف منه شـىء ما عمر[1]

فخرج عبد المطلب حين قيل له ذلك إلى قريش فقال: تعلموا أنى قد أمرت أن أحفر لكم زمزم، فقالوا: فهل بين لك أين هى؟ قال: لا. قالوا فارجع إلى مضجعك الذى رأيت فيه ما رأيت، فإن يك حقا من الله يبين لك، وإن يك من الشيطان فلن يعود إليك. فرجع عبد المطلب إلى مضجعه، فنام فيه، فأتى فقيل له: احفر زمزم، إنك إن حفرتها لم تندم، وهى تراث من أبيك الأعظم، لا تنزف أبدا ولا تذم، تسقى الحجيج الأعظم، مثل نعام جافل[2] لم يقسم، ينذر فيها ناذر لمنعم، تكون ميراثا وعقدا محكم، ليست كبعض ما قد تعلم، وهى بين الفرث والدم.

قال ابن هشام: هذا الكلام، والكلام الذى قبله، من حديث على فى حفر زمزم من قوله: «لا تنزف أبدا ولا تذم» إلى قوله: «عند قرية النمل» عندنا سجع وليس شعرا.

قال ابن إسحاق: فزعموا أنه حين قيل له ذلك، قال: وأين هى؟ قيل له عند قرية النمل، حيث ينقر الغراب غدا. والله أعلم أى ذلك كان.

عبد المطلب يحفر زمزم: فغدا عبد المطلب ومعه ابنه الحارث، وليس له يومئذ ولد غيره، فوجد قرية النمل ووجد الغراب ينقر عندها بين الوثنين: إساف ونائلة، اللذين كانت قريش تنحر عندهما ذبائحها، فجاء بالمعول وقام ليحفر حيث أمر، فقامت إليه قريش حين رأوا جسده، فقالوا: والله لا نتركك تحفر بين وثنينا هذين اللذين ننحر عندهما، فقال عبد المطلب لابنه الحارث: ذد عنى حتى أحفر، فوالله لأمضين لما أمرت به. فلما عرفوا أنه غير نازع خلوا بينه وبين الحفر، وكفوا عنه، فلم

---

(١) أى مهما عمر هذا الماء فإنه لا يؤذى ولا يخاف منه.
(٢) الجافل: الكثير الذى يجئ ويذهب وهو السريع أيضًا.

يحفر إلا يسيرا، حتى بدا له الطى، فكبر وعرف أنه قد صدق فلما تمادى به الحفر وجد فيها غزالين من ذهب، وهما الغزالان اللذان دفنت جرهم فيها حين خرجت من مكة، ووجد فيها أسيافا قلعية[1] وأدراعا فقالت له قريش: يا عبد المطلب، لنا معك فى هذا شرك وحق، قال: لا، ولكن هلم إلى أمر نصف بينى وبينكم، نضرب عليها بالقداح[2]، قالوا: وكيف تصنع، قال: أجعل للكعبة قدحين، ولى قدحين ولكم قدحين فمن خرج له قدحاه على شىء كان له، ومن تخلف قدحاه فلا شىء له. قالوا: أنصفت، فجعل قدحين أصفرين للكعبة، وقدحين أسودين لعبد المطلب، وقدحين أبيضين لقريش، ثم أعطوا صاحب القداح الذى يضرب بها عند هبل - وهبل: صنم فى جوف الكعبة، وهو أعظم أصنامهم، وهو الذى يعنى أبو سفيان بن حرب يوم أحد حين قال: أعل هبل أى: أظهر دينك - وقام عبد المطلب يدعو الله عز وجل، فضرب صاحب القداح، فخرج الأصفران على الغزالين للكعبة، وخرج الأسودان فى الأسياف، فى الأسياف، والأدراع لعبد المطلب، وتخلف قدحا قريش فضرب عبد المطلب الأسياف بابا للكعبة، وضرب فى الباب الغزالين من ذهب، فكان أول ذهب حليته الكعبة - فيما يزعمون - ثم إن عبد المطلب أقام سقاية زمزم للحجاج.

*****

ذكر بئار قبائل قريش

قال ابن هشام: وكانت قريش قبل حفر زمزم قد احتقرت بئارا بمكة، فيما حدثنا زياد بن عبد الله البكائى عن محمد بن إسحاق

عبد شمس يحفر الطوى: حفر عبد شمس بن عبد مناف الطوى، وهى البئر التى بأعلى مكة عند البيضاء، دار محمد بن يوسف.

هاشم يحفر بذر: وحفر هاشم بن عبد مناف بذر، وهى البئر التى عند المستنذر، خطم الخندمة على فم شعب أبى طالب، وزعموا أنه قال حين حفرها: لأجعلنها بلاغا الناس قال ابن هشام: وقال الشاعر:

سقى الله أمــواها عرفت مكنهــا جُــرابا وملكــوما وبــذر والغـمرا[3]

(١) قلعية: نسبة إلى قلعة، وقيل: هو جبل بالشام، وقيل: قلعةفى أول بلاد الهند من جهة الصين.
(٢) القداح: السهام.
(٣) بذر: اسم بئر. وجراب: اسم ماء وقيل بئر قديمة بمكة. وملكوم اسم ماء بمكة.

سجلة والاختلاف فيمن حفرها: قال ابن إسحاق وحفر سجلة، وهى بئر المطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف التى يسقون عليها اليوم ويزعم بنو نوفل أن المطعم ابتاعها من أسد بن هاشم، أنه وهبها له حين ظهرت زمزم، فاستغنوا بها عن تلك الآبار.

أمية بن عبدشمس يحفر الحفر: وحفر أمية بن عبد شمس الحفر لنفسه.

بنو أسد تحفر سقية: وحفرت بنو أسد بن عبد العزى: سقية، وهى بئر بنى أسد بنو عبد الدار تحفر أحراد: وحفرت بنو عبد الدار: أم أحراد.

بنو جمح تحفر السنبلة: وحفرت بنو جمح: السنبلة، وهى بئر خلف بن وهب.

بنو سهم تحفر الغمر: وحفرت بنو سهم: الغمر، وهى بئر بنى سهم.

أصحاب رم وخم والحفرة: وكانت آبار حفائر خارجا من مكة قديمة من عهد مرة بن كعب، وكلاب بن مرة، وكبراء قريش الأوائل منها يشربون، وهى رم، ورم: بئر مرة بن كعب بن لؤى. وخم، وخم: بئر بنى كلاب بن مرة. والحفر قال حذيفه ابن غانم أخو بنى عدى بن كعب بن لؤى:

قال ابن هشام: وهو أبو أبى جهم بن حذيفة:

وقدما غنينا قبـــل ذلـــك حـــقبـة ... ولا نستقـــى إلا بخـــم أو الحـــفر

قال ابن هشام: وهذا البيت فى قصيدة له، سأذكرها إن شاء الله فى موضعها.

فضل زمزم على سائر المياه: قال ابن إسحاق: فعفت زمزم على المياه التى كانت قبلها يسقى عليها الحاج وانصرف الناس إليها لمكانها من المسجد الحرام؛ ولفضلها على ماسواها من المياه؛ ولأنها بئر إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام.

بنو عبد مناف يفتخرون بزمزم: وافتخرت بها بنو عبد مناف على قريش كلها، وعلى سائر العرب، فقال مسافر بن أبى عمرو بن أمية بن عبد مناف، وهو يفخر على قريش بما ولوا عليهم من السقاية والرفادة، وما أقاموا للناس من ذلك، وبزمزم حين ظهرت لهم، وإنما كان بنو عبد مناف أهل بيت واحد، بعضهم لبعض شرف وفضل بعضهم لبعض فضل.

ورثـــنـــا المجـــد مـــن آبـــا ... ئنا فنمـــر بـنـــا صـــعـدا

ألم نســـق الحـــجيـج ونـــــ ... ـحـــر الدلافة الـــرُّفُدا[1]

(١) الرفد: جمع رفود من الرفد، وهى التى تملأ إناءين عند الحلب.

ونلقى عند تصريف الـ ... منايا شددا رفدا
فإن نهلك فلم نملك ... ومن ذا خالد أبدا
وزمزم فى أرومتنا ... ونفقا عين من حدا[1]

قال ابن هشام: وهذه الأبيات فى قصيدة له.

قال ابن إسحاق: وقال حذيفة بن غانم أخو بنى عدى بن كعب بن لؤى:

وساقى الحجيج ثم الخبز هاشم ... وعبد مناف ذلك السيد الفهرى
طوى زمزما عند المقام فأصبحت ... ساقيته فخرا على كل ذى فخر

قال ابن هشام: يعنى عبد المطلب بن هاشم. وهذان البيتان فى قصيدة لحذيفة بن غانم سأذكرها فى موضعها إن شاء الله تعالى.

*****

ذكر نذر عبد المطلب ذبح ولده

قال ابن إسحاق: وكان عبد المطلب بن هاشم - فيما يزعمون والله أعلم - قد نذر حين لقى من قريش مالقى عند حفر زمزم: لئن ولد له عشرة نفر، ثم بلغوا معه حتى يمنعوه؛ لينحرن حدهم لله عند الكعبة فلما توافى بنوه عشرة، وعرف أنهم سيمنعونه، جمعهم، ثم أخبرهم بنذره، ودعاهم إلى الوفاء لله بذلك، فأطاعوه وقالوا: كيف نصنع؟ قال: ليأخذ كل رجل منكم قدحا تم يكتب فيه اسمه، ثم ائتونى، ففعلوا، ثم أتوه، فدخل بهم على هبل فى جوف الكعبة، وكان هبل على بئر فى جوف الكعبة، وكانت تلك البئر هى التى يجمع فيها مايهدى للكعبة.

قداح هبل السبعة: وكان عند هبل قداح سبعة، كل قدح منها فيه كتاب قدح فيه (العقل)، إذا اختلفوا فى العقل من يحمله منهم، ضربوا بالقداح السبعة، فإن خرج العقل فعلى من خرج حمله. وقدح فيه (نعم) للأمر إذا أرادوه يضرب به القداح، فإن خرج قدح نعم، عملوا به. وقدح فيه (لا) إذا أرادوا أمراً ضربوا به فى القداح، فإن خرج ذلك القدح لم يفعلوا ذلك الأمر. وقدح فيه: (منكم) وقدح فيه (ملصق): وقدح فيه(من غيركم) وقدح فيه: (المياه) إذا أرادوا أن يحفروا للماء ضربوا بالقداح، وفيها ذلك القدح، فحيثما خرج عملوا به.

---

(١) أرومتنا: أى أصلنا.

وكانوا إذا أرادوا أن يختتنوا غلاما، أو ينكحوا منكحا، أو يدفنوا ميتا، أو شكوا فى نسب أحدهم، ذهبوا به إلى هبل وبمئة درهم وجزور، فأعطوها صاحب القداح الذى يضرب بها، ثم قربوا صاحبهم الذى يريدون به مايريدون، ثم قالوا: يا إلهنا هذا فلان ابن فلان قد أردنا به كذا وكذا فأخرج الحق فيه، ، ثم يقولون لصاحب القداح: اضرب فإن خرج عليه (منكم) كان منهم وسيطا، وإن خرج عليه: (من غيركم) كان حليفا، وإن خرج عليه: (ملصق) كان على منزلته فيهم، لانسب له، ولا حلف، وإن خرج فيه شىء، مماسوى هذا مما يعملون به (نعم) عملوا به، وإن خرج(لا) أخروه عامه وذلك حتى يأتوه به مرة أخرى، ينتهون فى أمورهم إلى ذلك مما خرجت به القداح.

عبد المطلب يحتكم إلى القداح: فقال عبد المطلب لصاحب القداح: اضرب على بنى هؤلاء بقداحهم هذه، وأخبره بنذره الذى نذر، فأعطاه كل رجل منهم قدحه الذى فيه اسمه، وكان عبد الله بن عبد المطلب أصغر بنى أبيه، كان هو والزبير وأبو طالب لفاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر.

قال ابن هشام: عائذ بن عمران بن مخزوم.

خروج القداح على عبد الله: قال ابن إسحاق: وكان عبد الله ـ فيما يزعمون ـ أحب ولد عبد المطلب إليه، فكان عبد المطلب يرى أن السهم إذا أخطأه فقد أشوى[1]. وهو أبو رسول الله ﷺ فلما أخذ صاحب القداح ـ القداح ـ ليضرب بها، قام عبد المطلب عند هبل يدعو الله، ثم ضرب صاحب القداح، فخرج القدح على عبد الله.

عبد المطلب يحاول ذبح ابنه ومنع قريش له: فأخذه عبد المطلب بيده وأخذ الشفرة[2]، ثم أقبل به إلى إساف ونائلة ليذبحه، فقامت إليه قريش من أنديتها، فقالوا: ماذا تريد ياعبد المطلب؟ قال: أذبحه، فقالت له قريش وبنوه: والله لا تذبحه أبداً، حتى تعذر فيه لئن فعلت هذا لايزال الرجل يأتى بابنه حتى يذبحه، فما بقاء الناس على هذا؟!

وقال له المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم بن يقظة ـ وكان عبد الله ابن

(١) أشوى: أبقى، يقال: أشويت من الطعام إذا أبقيت منه.
(٢) الشفرة: السكين.

أخت القوم: والله لا تذبحه أبداً، حتى تعذر فيه، فإن كان فداؤه بأموالنا فديناه. وقالت له قريش وبنوه: لاتفعل، وانطلق به إلى الحجاز، فإن به عرافة لها تابع، فسلها، ثم أنت على رأس أمرك، إن أمرتك بذبحه ذبحته، وإن أمرتك بأمر لك وله فيه فرج قبلته.

ما أشارت به عرافة الحجاز: فانطلقوا حتى قدموا المدينة، فوجدوها - فيما يزعمون - بخيبر. فركبوا حتى جاءوها، فسألوها، وقص عليها عبد المطلب خبره وخبر ابنه، وما أراد به ونذره فيه، فقالت لهم: ارجعوا عنى اليوم يأتينى تابعى فأسأله فرجعوا من عندها، فلما خرجوا عنها قام عبد المطلب يدعو الله، ثم غدوا عليها فقالت لهم: قد جاءنى الخبر، كم الدية فيكم؟ قالوا: عشر من الإبل، وكانت كذلك قالت: فارجعوا إلى بلادكم، ثم قربوا صاحبكم، وقربوا عشراً من الإبل، ثم اضربوا عليها وعليه بالقداح، فإن خرجت على صاحبكم، فزيدوا من الإبل حتى يرضى ربكم، وإن خرجت على الإبل فانحروها عنه، فقد رضى ربكم، ونجا صاحبكم.

تنفيذ وصية العرافة ونجاة عبد الله: فخرجوا حتى قدموا مكة، فلما أجمعوا على ذلك من الأمر، قام عبد المطلب يدعو الله، ثم قربوا عبد الله وعشراً من الإبل، وعبد المطلب قائم عند هبل يدعو الله عز وجل ثم! ضربوا فخرج القدح على عبد الله، فزادوا عشراً من الإبل، فبلغت الإبل عشرين، وقام عبد المطلب يدعو الله عز وجل، ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله، فزادوا عشراً من الإبل، فبلغت الإبل ثلاثين، وقام عبد المطلب يدعو الله، ثم ضربوا، فخرج القدح على عبد الله، فزادوا عشراً من الإبل، فبلغت الإبل أربعين، وقام عبد المطلب يدعو الله، ثم ضربوا، فخرج القدح على عبد الله، فزادوا عشراً من الإبل، فبلغت الإبل خمسين، وقام عبد المطلب يدعو الله، ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله، فزادوا عشراً من الإبل، فبلغت الإبل ستين، وقام عبد المطلب يدعوا لله، ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله، فزادوا عشراً من الإبل فبلغت الإبل سبعين، وقام عبد المطلب يدعوا لله، ثم ضربوا فخرج القدح علي عبد الله، فزادوا عشراً من الإبل، فبلغت الإبل ثمانين، وقام عبد المطلب يدعو الله، ثم ضربوا، فخرج القدح على عبد الله، فزادوا عشراً من الإبل، فبلغت الإبل تسعين، وقام عبد المطلب يدعو الله، ثم ضربوا، فخرج القدح على عبد الله، فزادوا عشراً من الإبل، فبلغت الإبل مائة، وقام عبد المطلب يدعو الله، ثم ضربوا فخرج القدح على الإبل، فقالت قريش ومن حضر: قد انتهى رضا ربك ياعبد المطلب، فزعموا أن عبد المطلب قال: لا والله حتى أضرب عليها ثلاث مرات،

فضربوا على عبد الله، وعلى الإبل، وقام عبد المطلب يدعو الله، فخرج القدح على الإبل، ثم عادوا الثانية، وعبد المطلب قائم يدعو الله، فضربوا، فخرج القدح على الإبل، ثم عادوا الثالثة، وعبد المطلب قائم يدعو الله، فضربوا، فخرج القدح على الإبل، فنحرت، ثم تركت لا يصد عنها إنسان ولا منع.

قال ابن هشام: ويقال: إنسان ولا سبع.

قال ابن هشام: وبين أضعاف هذا الحديث رجز لم يصح عندنا عن أحد من أهل العلم بالشعر.

******

ذكر المرأة المتعرضة لنكاح عبد الله بن عبد المطلب

عبد الله يرفضها: قال ابن إسحاق: ثم انصرف عبد المطلب آخذاً بيد عبدالله، فمر به - فيما يزعمون - على امرأة[1] من بنى أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب بن مرة ابن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر: وهى أخت ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى؛ وهى عند الكعبة فقالت له حين نظرت إلى وجهه: أين تذهب ياعبد الله؟ قال: مع أبى. قالت: لك مثل الإبل التى نحرت عنك، وقع علىّ الآن. قال: أنا مع أبى، ولا أستطيع خلافه ولا فراقه.

عبد الله يتزوج آمنة بنت وهب: فخرج به عبد المطلب حتى أتى به وهب ابن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر- وهو يومئذ سيد بنى زهرة نسبا وشرفا - فزوجه ابنته آمنة بنت وهب وهى يومئذ أفضل امرأة فى قريش نسبا وموضعا.

أمهات آمنة: وهى لبرة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر، وبرة: لأم حبيب بنت أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر. وأم حبيب: لبرة بنت عوف بن عبيد بن عويج بن عدى بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر.

سبب زهد المرأة المتعرضة لعبدالله فيه: فزعموا أنه دخل عليها حين أملكها مكانه، فوقع عليها، فحملت برسول الله ﷺ ثم خرج من عندها، فأتى المرأة التى

(١) قال السهيلى: «واسم هذه المرأة: رقية بنت نوفل أخت ورقة بن نوفل، تكنى: أم قتال، وبهذه الكنية وقع ذكرها فى رواية يونس عن ابن إسحاق». «الروض»(١/ ١٨٠).

عرضت عليه ماعرضت، فقال لها: مالك لاتعرضين عليّ اليوم ماكنت عرضت عليّ بالأمس؟قالت له: فارقك النور الذى كان معك بالأمس، فليس لى بك اليوم حاجة. وقد كانت تسمع من أخيها ورقة بن نوفل ـ وكان قد تنصر واتبع الكتب: أنه كائن فى هذه الأمة نبى.

قصة حمل آمنة برسول الله (ﷺ): قال ابن إسحاق: وحدثنى أبى إسحاق ابن يسار: أنه حدث، أن عبد الله إنما دخل على امرأة كانت له مع آمنة بنت وهب، وقد عمل فى طين له، وبه آثار من الطين، فدعاها إلى نفسه، فأبطأت عليه لما رأت به من أثر الطين، فخرج من عندها فتوضأ وغسل ماكان به من ذلك الطين، ثم خرج عامدا إلى آمنة، فمر بها، فدعته إلى نفسها، فأبى عليها، وعمد إلى آمنة، فدخل عليها فأصابها، فحملت بمحمد ﷺ ثم مر بامرأته تلك: فقال لها: هل لك؟قالت: لا، مررت بى وبين عينيك غرة بيضاء، فدعوتك فأبيت على، ودخلت على آمنة فذهبت بها.

قال ابن إسحاق: فزعموا أن امرأته تلك كانت تحدث: أنه مر بها وبين عينيه غرة مثل غرة الفرس، قالت: فدعوته رجاء أن تكون تلك بى، فأبى عليّ، ودخل على آمنة، فأصابها؛ فحملت برسول الله ﷺ فكان رسول الله ﷺ ـ أوسط قومه نسبا، وأعظمهم شرفا من قبل أبيه وأمه ـ ﷺ.

*****

ذكر ماقيل لآمنة عند حملها برسول الله ﷺ

رؤيا آمنة: ويزعمون ـ فيما يتحدث الناس والله أعلم ـ أن آمنة ابنة وهب أم رسول الله ﷺ كانت تحدث:

أنها أتيت، حين حملت برسول الله ﷺ فقيل لها: إنك قد حملت بسيد هذه الأمة، فإذا وقع إلى الأرض، فقولى: أعيذه بالواحد، من شر كل حاسد، ثم سميه: محمداً ورأت حين حملت به أنه خرج منها نور رأت به قصور بُصرى، من أرض الشام.

وفاة عبد الله: ثم لم يلبث عبد الله بن عبد المطلب، أبو رسول الله ﷺ أن هلك، وأم رسول الله ﷺ حامل به.

*****

ابن إسحاق يحدد الميلاد: قال حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام قال: حدثنا زياد بن عبد الله البكائى عن محمد بن إسحاق قال: ولد رسول الله ﷺ يوم الاثنين، لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول، عام الفيل.

قال ابن إسحاق: وحدثنى المطلب بن عبد الله بن قيس بن مخرمة عن أبية عن جده قيس بن مخرمة قال:

ولدت أنا ورسول الله ﷺ عام الفيل: فنحن لدتان[1].

قال ابن إسحاق: وحدثنى صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة الأنصارى قال: حدثنى من شئت من رجال قومى عن حسان بن ثابت، قال: والله إنى لغلام يفعة[2]، ابن سبع سنين أو ثمان، أعقل كل ماسمعت، إذا سمعت يهوديا يصرخ بأعلى صوته على أطمة بيثرب: يامعشر يهود! حتى إذا اجتمعوا إليه، قالوا له: ويلك مالك؟! قال: طلع الليلة نجم أحمد الذى ولد به.

قال محمد بن إسحاق: فسألت سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت، فقلت، ابن كم كان حسان بن ثابت مقدم رسول الله ﷺ المدينة؟ فقال: ابن ستين، وقدمها رسول الله ﷺ وهو ابن ثلاث وخمسين سنة، فسمع حسان ماسمع، وهو ابن سبع سنين.

إعلام جده بولادتــه وما فـعله به: قال ابن إسـحاق: فلـما وضعته أمــه ﷺ أرسلت إلى جده عبد المطلب: أنه قد ولد لك غلام، فأته فانظر إليه، فأتاه فنظر إليه، وحدثته بما رأت حين حملت به، وماقيل لها فيه، وما أمرت به أن تسميه.

فيزعمون أن عبد المطلب أخذه، فدخل به الكعبة، فقام يدعو الله، ويشكر له ما أعطاه، ثم خرج به إلى أمه فدفعه إليها، والتمس لرسول الله ﷺ الرضعاء.

قال ابن هشام: المراضع وفى كتاب الله تبارك وتعالى فى قصة موسى عليه السلام: **﴿ وحرمنا عليه المراضع﴾**[3].

---

(١) رواه الترمذى (٣٦١٩) بسياق أطول من هذا، وقال: حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث محمد بن إسحاق. وضعفه الألبانى فى «ضعيف الترمذى» ص٤٨٤.

(٢) غلام يفعة: أى قوى. (٣) سورة: القصص: الآية ١٢.

مرضعته حليمة: قال ابن إسحاق: فاسترضع له امرأة من بنى سعد بن بكر يقال لها: حليمة ابنة أبى ذؤيب.

نسب مرضعته: وأبو ذؤيب: عبد الله بن الحارث بن شجنة بن جابر بن رزام بن ناصرة بن قصيّة بن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة ابن قيس بن عيلان:

زوج حليمة ونسبه: واسم أبيه الذي الذى أرضعه ﷺ الحارث بن عبد العزى ابن رفاعة بن ملان بن ناصرة بن قصية بن نصر بن سعد بن بكر ابن هوازن .

قال ابن هشام ويقال: هلال بن ناصرة.

أولاد حليمة: قال ابن إسحاق: وإخوته من الرضاعة: عبد الله بن الحارث، وأنيسة بنت الحارث، وخذامة بنت الحارث، وهى الشيماء، غلب ذلك على اسمها فلا تعرف فى قومها إلا به وهم لحليمة بنت أبى ذؤيب، عبد الله بن الحارث، أم رسول الله ﷺ ويذكرون أن الشيماء كانت تحضنه مع أمها إذا كان عندهم.

قال ابن إسحاق: وحدثنى جهم بن أبى جهم مولى الحارث بن حاطب الجمحى، عن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب، أو عمن حدثه عنه قال:

حديث حليمة: كانت حليمة بنت أبى ذؤيب السعدية، أم رسول الله ﷺ التى أرضعته، تحدث: أنها خرجت من بلدها مع زوجها، وابن لها صغير ترضعه فى نسوة من بنى سعد بن بكر، تلتمس الرضعاء، قالت: وذلك فى سنة شهباء، لم تبق لنا شيئاً، قالت: فخرجت على أتان لى قمراء، معنا شارف لنا، والله ماتبض بقطرة، وما ننام ليلنا أجمع من صبينا الذى معنا، من بكائه من الجوع، ما فى ثديى مايغنيه، وما فى شارفنا مايغذّيه - قال ابن هشام: ويقال: يغذيه - ولكنا كنا نرجو الغيث والفرج، فخرجت على أتانى تلك، فلقد أدمت بالركب، حتى شق ذلك عليهم ضعفاً وعجفا، حتى قدمنا مكة نلتمس الرضعاء، فما منا امرأة إلا وقد عرض عليها رسول الله ﷺ فتأباه، إذا قيل لها إنه يتيم، وذلك: أنا إنما كنا نرجو المعروف من أبى الصبى، فكنا نقول: يتيم؟! وماعسى أن تصنع أمه وجده؟ فكنا نكرهه لذلك، فما بقيت امرأة قدمت معى إلا أخذت رضيعا غيرى، فلما أجمعنا الانطلاق قلت لصاحبى: والله إنى لأكره أن أرجع من بين صواحبى ولم آخذ رضيعاً، والله لأذهبن

إلى ذلك اليتيم، فلآ خذنه، قال: لا عليك أن تفعلى، عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة، قالت: فذهبت إليه فأخذته، وما حملنى على أخذه إلا أنى لم أجد غيره.

الخير الذى أصاب حليمة: قالت: فلما أخذته، رجعت به إلى رحلى فلما رضعته فى حجرى أقبل عليه ثدياى بما شاء من لبن، فشرب حتى روى، وشرب معه أخوه حتى روى، ثم ناما، وماكنا ننام معه قبل ذلك، وقام زوجى إلى شارفنا تلك، فإذا إنها لحافل[١]، فحلب منها ماشرب، وشربت معه حتى انتهينا ريا وشبعا، فبتنا بخير ليلة، قالت: يقول صاحبى حين أصبحنا: تعلَّمى والله ياحليمة، لقد أخذت نسمة مباركة، قالت: فقلت: والله إنى لأرجو ذلك، قالت: ثم خرجنا وركبت أتانى، وحملته عليها معى، فوالله لقطعت بالركب مايقدر عليها شىء من حمرهم، حتى إن صواحبى ليقلن لى يا ابنة أبى ذؤيب، ويحك! اربعى علينا[٢]، أليست هذه أتانك التى كنت خرجت عليها؟ فأقول لهن: بلى والله، إنها لهى هى، فيقلن: والله إن لها لشأنا قالت: ثم قدمنا منازلنا من بلاد بنى سعد وما أعلم أرضا من أرض الله أجدب منها، فكانت غنمى تروح علىّ حين قدمنا به معنا شباعا لبنا[٣] فنحلب ونشرب ومايحلب إنسان قطرة لبن، ولا يجدها فى ضرع حتى كان الحاضرون من قومنا يقولون لرعيانهم: ويلكم اسرحوا حيث يسرح راعى بنت أبى ذؤيب فتروح أغنامهم جياعا ما تبض بقطرة لبن، وتروح غنمى شباعا لُبَّنا، فلم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه وفصلته؛ وكان يشب شبابا لا يشبه الغلمان، فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاماً جفراً[٤].

رجوع حليمة به إلى مكة أول مرة: قالت: فقدمنا به على أمه ونحن أحرص شىء على مكثه فينا؛ لما كنا نرى من بركته؛ فكلمنا أمه، وقلت لها: لو تركت بُنَى عندى حتى يغلظ، فإنى أخشى عليه وبأ مكة، قالت: فلم نزل بها حتى ردته معنا.

حديث الملكين الذين شقا بطنه: قالت فرجعنا به، فوالله إنه بعد مقدمنا بشهر مع أخيه لفى بَهْم لنا خلف بيوتنا، إذا أتانا أخوه يشتد، فقال لى ولأبيه: ذاك أخى القرشى قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض، فأضجعاه فشقا بطنه، فهما يسوطانه[٥]،

---

(١) أى ممتلئة الضرع من اللبن. (٢) أى اقيمى وانتظرى.
(٣) أى غزيرات اللبن. (٤) جفراً: أى غليظاً شديداً ويقال هو الصبى له أربعة أعوام.
(٥) يقال: سطت اللبن أسوطه إذا ضربت بعضه ببعض.

قالت: فخرجت أنا وأبوه نحوه، فوجدناه قائما منتقعا وجهه قالت: فالتزمته والتزمه أبوه، فقلنا له: مالك يابنى، قال: جاءنى رجلان عليهما ثياب بيض، فأضجعانى وشقا بطنى، فالتمسا شيئاً لا أدرى ماهو قالت: فرجعنا إلى خبائنا[1].

حليمة ترد محمد ﷺ إلى أمه: قالت: وقال لى أبوه: ياحليمة، لقد خشيت أن يكون هذا الغلام قد أصيب، فألحقيه بأهله قبل أن يظهر ذلك به، قالت: فاحتملناه، فقدمنا به على أمه، فقالت: ما أقدمك به ياظئر[2]، وقد كنت حريصة عليه، وعلى مكثه عندك؟ قالت: فقلت: قد بلغ الله بابنى وقضيت الذى علىّ، وتخوفت الأحداث عليه، فأديته إليك كما تحبين، قالت: ماهذا شأنك، فاصدقينى خبرك قالت: فلم تدعنى حتى أخبرتها، قالت: أفتخوفت عليه الشيطان؟ قالت: قلت: نعم، قالت: كلا والله ما للشيطان عليه من سبيل، وإن لبنى لشأنا، أفلا أخبرك خبره. قلت: قالت: بلى قالت: رأيت حين حملت به: أنه خرج منى نور أضاء قصور بصرى من أرض الشام ثم حملت به، فوالله ما رأيت من حمل قط كان أخف ولا أيسر منه، ووقع حين ولدته وإنه لواضع يديه بالأرض، رافع رأسه إلى السماء دعيه عنك، وانطلقى راشدة.

الرسول يسأل عن نفسه وإجابته ﷺ: قال ابن إسحاق: وحدثنى ثور ابن يزيد، عن بعض أهل العلم، ولا أحسبه إلا عن خالد بن معدان الكلاعى: أن نفرا من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا له: يارسول الله أخبرنا عن نفسك؟ قال: « **نعم، أنا دعوة أبى إبراهيم، وبشرى أخى عيسى، ورأت أمى حين حملت بى أنه خرج منها نور أضاء لها قصور الشام، واسترضعت فى بنى سعد بن بكر. فبينا أنا مع أخ لى خلف بيوتنا نرعى بهما لنا** »: إذ أتانى رجلان عليهما ثياب بيض بطست من ذهب ملوءة ثلجا ثم أخذانى فشقا بطنى، واستخرجا قلبى، فشقاه فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها ثم غسلا قلبى وبطنى بذلك الثلج حتى أنقياه، ثم قال أحدهما لصاحبه:

---

(١) قصة شق صدر النبى ﷺ وهو عند حليمة السعدية رواها مسلم عن أنس بن مالك: « أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه، فشق عن قلبه فاستخرجه، فاستخرج منه علقة، فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله فى طست من ذهب بماء زمزم ثم لزمه ثم أعاده إلى مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه يعنى مرضعته ـ أن محمداً قد قتل فاستقبلوه وهو منتقع اللون» رواه مسلم (١/ ١٠١ ـ ١٠٢) وأحمد (٣/ ١٢١، ١٤٩) وزادا فى آخره: «قال أنس: وكنت أرى أثر ذلك المخيط فى صدره».

(٢) أصل الظئر: الناقة التى تعطف على ولد غيرها فتدر عليه ثم أطلقوه على المرأة التى ترضع ولد غيرها.

زنه بعشرة من أمته؛ فوزننى بهم فوزنتهم، ثم قال: زنه بمئة من أمته فوزنني بهم فوزنتهم، ثم قال: زنه بألف من أمته، فوزننى بهم فوزنتهم، فقال: دعه عنك، فوالله لو وزنته بأمته لوزنها[١].

رعيه ﷺ للغنم وافتخاره بقرشيته: قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ يقول: «**ما من نبى إلا وقد رعى الغنم**» قيل: وأنت يارسول الله؟ قال: «**وأنا**»[٢].

قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ يقول لأصحابه: «**أنا أعربكم، أنا قرشى، واسترضعت فى بنى سعد بن بكر**»[٣].

افتقاد حليمة له ﷺ: قال ابن إسحاق: وزعم الناس فيما يتحدثون ـ والله أعلم ـ أنه أمه السعدية لما قدمت به مكة أضلها فى الناس، وهى مقبلة به نحو أهله، فالتمسته فلم تجده، فأتت عبد المطلب، فقالت له: إنى قد قدمت بمحمد هذه الليلة، فلما كنت بأعلى مكة أضلنى، فوالله ما أدرى أين هو، فقام عبد المطلب عند الكعبة يدعو الله أن يرده، فيزعمون أنه وجده ورقة بن نوفل بن أسد، ورجل آخر من قريش، فأتيا به عبد المطلب، فقالا له: هذا ابنك وجدناه بأعلى مكة، فأخذه عبد المطلب، فجعله على عنقه، وهو يطوف بالكعبة يعوذه ويدعو له، ثم أرسل به إلى أمه آمنة.

---

(١) رواه الحاكم (٢/ ٦٠٠) ومن طريقه البيهقى فى «دلائل النبوة» (١/ ٨٣ ـ ٨٤) وقال الحاكم: خالد بن معدان من خيار التابعين صحب معاذ بن جبل فمن بعده من الصحابة فإذا أسند حديثه إلى الصحابة فإنه صحيح الإسناد: ووافقه الذهبى.

(٢) روى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**مابعث الله نبياً إلا رعى الغنم**» فقال أصحابه: وأنت؟ فقال: «نعم كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة» قال الحافظ ابن حجر: قال العلماء: الحكمة فى إلهام الأنبياء من رعى الغنم قبل النبوة أن يحصل لم التمرن برعيها على ما يكلفونه من القيام بأمر أمتهم، ولأن من مخالطتها ما يحصل لهم الحلم والشفقة لأنهم إذا صبروا على رعيها وجمعها بعد تفرقها فى المرعى ونقلها من مسرح إلى مسرح ورفع عدوها من سبع وغيره كالسارق وعلموا اختلاف طباعها وشدة تفرقها مع ضعفها واحتياجها إلى المعاهدة ألفوا من ذلك الصبر على الأمة وعرفوا اختلاف طباعها وتفاوت عقولها فجبروا كسرها ورفقوا بضعيفها وأحسنوا التعاهد لها فيكون تحملهم لمشقة ذلك أسهل مما لو كلفوا القيام بذلك من أول وهلة لما يحصل لهم من التدريج على ذلك برعى الغنم، وخصت الغنم بذلك لكونها أضعف من غيرها، ولأن تفرقها أكثر من تفرق الإبل والبقر ولإمكان ضبط الإبل والبقر دونها فى العادة المألوفة، ومع أكثرية تفرقها فهى أسرع انقياداً من غيرها وفى ذكر النبى ﷺ لذلك بعد أن علم كونه أكرم الخلق على الله ما كان عليه من عظيم التواضع لربه والتصريح بمنته عليه وعلى إخوانه من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر الأنبياء» اهـ «فتح البارى» (٤/ ٤٤١).

(٣) رواه ابن سعد عن يحيى بن يزيد السعدى مرسلاً كما فى فى «كشف الخفاء» (١/ ٢٣٢) و«كنز العمال» (٣١٨٨٤).

سبب آخر لرجوع حليمة بهﷺ إلى مكة: قال ابن إسحاق: وحدثنى بعض أهل العلم، أن مما هاج أمه السعدية على رده إلى أمه، مع ما ذكرت لأمه مما أخبرتها عنه، أن نفراً من الحبشة نصارى رأوه معها حين رجعت به بعد فطامه، فنظروا إليه، وسألوها عنه وقلَّبوه، ثم قالوا لها: لنأخذن هذا الغلام، فلنذهبن به إلى ملكنا وبلدنا؛ فإن هذا غلام كائن له شأن نحن نعرف أمره، فزعم الذى حدثنى أنها لم تكد تنفلت به منهم.

*****

وفاة آمنة

وحال رسول اللهﷺ مع جده عبد المطلب بعدها

وفاة أمهﷺ: قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ مع أمه آمنة بنت وهب، وجده عبد المطلب بن هاشم فى كلاءة الله وحفظه، ينبته الله نباتا حسنا، لما يريد به من كرامته، فلما بلغ رسول الله ﷺ ست سنين، توفيت أمه آمنة بنت وهب.

عمر رسول الله ﷺ حين وفاة أمه: قال ابن إسحاق: حدثنى عبد الله ابن أبى بكر ابن محمد بن عمرو بن حزم:

أن أم رسول الله ﷺ آمنة توفيت ورسول الله ﷺ ابن ست سنين بالأبواء، بين مكة والمدينة، كانت قد قدمت به على أخواله من بنى عدى بن النجار تزيره إياهم، فماتت، وهى راجعة به إلى مكة.

قال ابن هشام: أم عبد المطلب بن هاشم: سلمى بنت عمرو النجارية، فهذه الخئولة التى ذكرها ابن إسحاق لرسول الله ﷺ فيهم.

إجلال عبد المطلب له ﷺ: قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ مع جده عبد المطلب بن هاشم، وكان يوضع لعبد المطلب فراش فى ظل الكعبة، فكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك، حتى يخرج إليه، لا يجلس عليه أحد من بنيه إجلالا له، قال: فكان رسول الله ﷺ يأتى، وهو غلام جفر، حتى يجلس عليه، فيأخذه أعمامه، ليؤخروه عنه، فيقول عبدالمطلب - إذا رأى ذلك منهم: دعوا ابنى، فوالله إن له لشأنا، ثم يجلسه معه على الفراش ويمسح ظهره بيده، ويسره ما يراه يصنع.

*****

وفاة عبد المطلب وما رثى به من الشعر

فلما بلغ رسول الله ـ ﷺ ـ ثمانى سنين هلك عبد المطلب بن هاشم وذلك بعد الفيل بثمانى سنين.

قال ابن إسحاق: وحدثنى العباس بن عبد الله بن معبد بن عباس، عن بعض أهله: أن عبد المطلب توفى ورسول الله ـ ﷺ ـ ابن ثمانى سنين.

عبد المطلب يطلب من بناته أن يرثينه: قال ابن إسحاق: حدثنى محمد ابن سعيد بن المسيب: أن عبد المطلب لما حضرته الوفاة، وعرف أنه ميت جمع بناته، وكن ست نسوة: صفية، وبرّة، وعاتكة، وأم حكيم البيضاء، وأميمة، وأروى، فقال لهن: ابكين علىّ حتى أسمع ما تقلن قبل أن أموت.

قال ابن هشام: ولم أر أحدا من أهل العلم بالشعر يعرف هذا الشعر، إلا أنه لما رواه عن محمد بن سعيد بن المسيب، كتبناه:

رثاء صفية بنت عبد المطلب لأبيها: فقالت صفية بنت عبد المطلب تبكى أباها:

أرقت لصوت نائحة بليل	على رجل بقارعة الصعيد
ففاضت عند ذلكم دموعى	على خدى كمنحدر الفريد[1]
على رجل كريم غير وغل	له الفضل المبين على العبيد[2]
على الفياض شيبة ذى المعالى	أبيك الخير وارث كل جود[3]
صدوق فى المواطن غير نكس	ولا شخت المقام ولا سنيد[4]
طويل الباع، أروع شيظمىّ	مطاع فى عشيرته حميد[5]
رفيع البيت أبلج ذى فضول	وغيث الناس فى الزمن الحرود[6]
كريم الجد ليس بذى وصوم	يروق على المسود والمسود[7]
عظيم الحلم من نفر كرام	خضارمة ملاوثة أسود[8]
فلو خلد امرؤ لقديم مجد	ولكن لا سبيل إلى الخلود
لكان مخلّدا أخرى الليالى	لفضل المجد والحسب التليد

(١) أى كالدر الذى انتثر. (٢) الوغل: الدنئ الساقط النذل.

(٣) الفياض: الكريم الجواد. وقولها أبيك الخير. أرادت الخيّر فخففت كما يقال: هيْن وهيّن.

(٤) النكس: الضعيف. والشخت: ضد الضخم وهو الدقيق الضامر، والسنيد: الضعيف الذى لا يستقل بنفسه حتى يسند رأيه إلى غيره. (٥) الشيظمى: الفتى الجسم.

(٦) يقال: حردت الإبل: إذا انقطعت ألبانها أو قلت، شبه الزمن فى قلة خيره وشدة جدبه بالناقة الحرود.

(٧) الوصوم: جمع وصم وهو العار

(٨) الخضارمة: جمع خضرم وهو الجواد المعطاء والسيد الحمول. والملاوثة جمع ملواث من اللوثة وهى القوة.

رثاء برة بنت عبد المطلب لأبيها: وقالت برة بنت عبد المطب تبكى أباها:

أعَيْنىّ جـــودا بدمـــع درر ... علـــى طيّب الخـــيم والمعتصر[1]
على ماجـد الجـد وارى الزناد ... جـميل المحـيا عظيم الخطر
على شيبة الحمد ذى المكـرمات ... وذى المجــــد والعز والمفتخر
وذى الحلم والفصل فى النائبات ... كثير المكـــارم، جَـــمّ الفجر[2]
له فضل مجـــد على قومه ... منيـر، يلـــوح كضــــوء القمر
أتتـــه المنايـــا، فـــلم تشــوه ... بصرف الليـالى، وريـــب القدر[3]

ثاء عاتكة بنت عبد المطلب لأبيها: وقالت عاتكة بنت عبد المطلب تبكى أباها:

أعينـــى جـودا، ولا تبخــــلا ... بدمعكمـــا بعـــد نـــــوم النيام
أعينـــى، واسحـــنفرا واسكبـــا ... وشوبـــا بكاءكمـــا بالتـــدام[4]
أعينـــى، واستخـــرطا واسجـما ... على رجـــل غير نكـــس كهام[5]
على الجحفل الغـمر فى النائبات ... كريم المساعـــــى، وفىّ الذمـــام[6]
على شيبة الحـمد، وارى الزنـاد ... وذى مصـدق بعـــد ثبـت المقام
وسـيف لدى الحـرب صمصامة ... ومردى المخـاصم عنـــد الخصام[7]
وسهـل الخـــليقة طلـــق اليـدين ... وف عـدمُلِـىّ صميـم لـــهـــام[8]
تَبَنَّك فـــى بـــــــاذخ بيـــته ... رفيع الذؤابـــة صعـــب المـــرام[9]

رثاء أم حكيم بنت عبد المطلب لأبيها: وقالت أم حكيم البيضاء بنت عبدالمطلب تبكى أباها:

ألا يا عـين جـــودى واسـتهلى ... وبكـــى ذا النـــدى والمكـــرمات[10]
ألا يا عـــين ويحـــك أسـعفينى ... بـــدمـــــع مـــن دمـوع هاطلات

---

(١) الخيم: السجية والطبيعة، ومعنى كونه طيب المعتصر، أنه جواد عند المسألة.

(٢) الفجر: العطاء والكرم والجود والمعروف والمال وكثرته.

(٣) لم تشوه: أى لم تصب أطرافه وإنما أصابت مقاتله. (٤) الإلتدام: ضرب النساء وجوههن في النياحة.

(٥) الكهام: الرجل الكليل المسن، تريد أنه ليس بنكس ـ أى ضعيف ـ ولا كليل.

(٦) الجحفل: الرجل العظيم والسيد الكريم، والغمر: الكريم الكثير العطاء.

(٧) المردى: مُفْعَل من الردى، وهو الحجر الذى يقتل من أصيب به.

(٨) قولها: وف: أى وفىّ وضعف للضرورة، وقولها عدملى، العدملى: الشديد. واللهام: كثير الخير.

(٩) تبنك: أى تأصل، مأخوذ من البنك وهو أصل الشىء وخالصه، والباذخ: العالى، والذؤابة: أعلى الشىء، وصعب المرام: أى لا يقدر على طلبه أحد تريد أنه لا يلحق ولا يجارى.

(١٠) بكى، فعل أمر من بكاه بكى عليه ورثاه.

وبكى خـير من ركـــب المطايا　　أبـــاك الخـير تيـــار الفـــرات
طويل الباع شيبة ذا المعـــالى　　كريـــم الخـــيم محـمود الهبات
وصـــولا للقرابـــة هـــبرزيا　　وغيـثا فـــى السنـين الممحلات[1]
وليثا حـــين تشتـجـر العـــوالى　　تروق لـــه عيـون الناظـــرات
عقيـل بنـــى كنانـة والمُرَجّى　　إذا مـــا الدهـــر أقبـل بالهنات
ومفزعها إذا ما هـــاج هـــيج　　بداهـية، وخـــصم المعـضـــلات[2]
فبكـــيه ولا تســـمى بحـــزن　　وبـكى، مـــا بقيت، الباكـيات[3]

رثاء أميمة بنت عبد المطلب لأبيها: وقالت أميمة بنت عبد المطلب تبكى أباها:

ألا هلك الراعى العشيرة ذو الفقد　　وساقى الحجيج، والمحامى عن المجد[4]
ومن يُؤلف الضيف الغريب بيوته　　إذا ما سماء الناس تبخل بالرعد
كسبت وليدا خير ما يكسب الفتى　　فلم تنفكك تزداد يا شيبة الحمد
أبو الحارث الفياض، خلى مكانه　　فلا تبعدن، فكل حى إلى بعد[5]
فإنى لباك - ما بقيت - وموجع　　وكان له أهلا لما كان من وجدى
سقاك وَلِىُّ الناس فى القبر ممطرا　　فسوف أبكيه، وإن كان فى اللحد
فقد كان زينا للعشيرة كلها　　وكان حميدا حيث ما كان من حمد

رثاء أروى بنت عبد المطلب لأبيها: وقالت أروى بنت عبد المطلب تبكى أباها:

بكـــت عينى، وحـــق لهـــا البكاء　　علـــى سمـــح، سجـيته الحـــياء
علـــى سـهـل الخـــليقة أبطحـــى　　كـــريـــم الخـــيم، نيتـــه العـــلاء[6]
على الفياض شيبـــة ذى المعالـــى　　أبيك الخـــير ليـــس لـــه كـــفاء[7]
طويـــل البـــاع أملس، شيظمـــى　　أغـــر كـــأن غـــرته ضـــياء[8]

---

(١) الهبرزى: الجميل الوسيم أو الحاذق فى أموره.

(٢) مفزعها: أى المكان الذى يفزعون إليه إذا نزلت نازلة فيأمنون عنده، وهاج هيج: نارت نائرة وقام حرب، والمعضلات: الأمور الشداد التى لا يعرف وجه الخلاص منها.

(٣) ولاتسمى: أى ولا تسامى.

(٤) الراعى العشيرة: معناه الحافظ لها القائم بأمورها. والحجيج: اسم جماعة الحجاج.

(٥) الفياض: الكثير العطاء.

(٦) أبطحى: أى منسوب إلى قريش البطاح، والبطحاء: المكان السهل منها.

(٧) ليس له كفاء: أى لانظير له ولا مثل.

(٨) شيظمى: فصيح.

أقب الكشــح، أروع ذى فضول ... له المجـــد المقـــدم والســناء[1]

أبـــىٍّ الضيـم، بلـــج هِبْرِزِى ... قديم المجـــد ليــس بـــه خـفاء[2]

ومعقـــل مـــالك، وربيـــع فهر ... وفاصلـها إذا التـمس القضـــاء

وكان هـــو الفتـــى كــرما وجودا ... وبأســـا حـــين تنسكب الدماء[2]

إذا هـــاب الكـماة المــوت حتى ... كأن قلـــوب أكثـــرهم هـــواء[3]

مضى قدمـا بـــذى رُبَد خشبب ... عـليه ـ حـين تبصره ـ البهـــاء[3]

إعجاب عبد المطلب بالرثاء: قال ابن إسحاق: فزعم لى محمد بن سعيد بن المسيب أنه أشار برأسه، وقد أصمت: أن هكذا فابكينني.

نسب المسيب بن حزن: قال ابن هشام: المسيب بن حزن بن أبى وهب ابن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم.

رثاء حذيفة بن غانم لعبد المطلب: قال ابن إسحاق: وقال حذيفة بن غانم أخو بنى عدى بن كعب بن لؤى يبكى عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، ويذكر فضله، وفضل قصى على قريش، وفضل ولده من بعده عليهم، وذلك أنه أخذ بغُرْم أربعة آلاف درهم بمكة، فوقف بها فمر به أبو لهب عبدالعزى بن عبد المطلب، فافتكه:

أعينى جودا بالدموع على الصدر ... ولا تسأما أسقيتما سبل القطر

وجودا بدمع، واسفحا كل شارق ... بكاء امرئ لم يشوه نائب الدهر[6]

وسُحًّا، وجما، واسجما ما بقيتما ... على ذى حياء من قريش، وذى ستر

على رجل جلد القوى، ذى حفيظة ... جميل المحيا غير نكس ولا هذر

على الماجد البهلول ذى الباع واللهى ... ربيع لؤى فى القحوط وفى العَسْر[7]

على خير حاف من معد وناعل ... كريم المساعى، طيب الخيم والنجر[8]

وخيرهم أصلا وفرعا ومعدنا ... وأحظاهم بالمكرمات وبالذكر

---

(١) أقب: من القبب، وهو دقة الخصر، والأروع من يعجبك بحسنه وجهارة منظره أو بشجاعته كالرائع.
(٢) أبى الضيم: أى لا يقبل الذل ولايرضاه، والأبلج: الواضح.
(٣) تنكسب الدماء: أى تسيل، وأرادت وقت الهيجاء وحين اشتداد الخطوب .
(٤) الكماة: الشجعان.
(٥) قولها بذى ربد تريد سيفاً ذا طرائق. والربد الطرائق. والخشيب: الصقيل .والبهاء: أى حسن الهيئة.
(٦) قوله: كل شارق: أراد عند طلوع شمس كل يوم .وأشوى: أصاب الشوى ولم يصب المقتل..
(٧) البهلول: السيد الجامع لكل خير. (٨) النجر: الأصل والطبع.

وأولادهم بالمجد والحلم والنهى ... وبالفضل عند المجحفات من الغبر[١]

على شيبة الحمد الذى كان وجهه ... يضىء سواد الليل كالقمر البدر

وساقى الحجيج ثم للخبز هاشم ... وعبد مناف، ذلك السيد الفهرى

طوى زمزما عند المقام، فأصبحت ... سقايته فخرا على كل ذى فخر

ليبك عليه كل عان بكربة ... وآل قصى من مقل وذى وفر[٢]

بنوه سراة، كهلهم وشبابهم ... تفلق عنهم بيضة الطائر الصقر

قصى الذى عادى كنانة كلها ... ورابط ببيت الله فى العسر واليسر

فإن تك غالته المنايا وصرفها ... فقد عاش ميمون النقيبة والأمر[٣]

وأبقى رجالا سادة غير عُزَّل ... مصاليت، أمثال الرُّدينيَّة السمر[٤]

أبو عتبة الملقى إلى حباءَه ... أغر، هجان اللون من نفر غر[٥]

وحمزة مثل البدر، يهتز للندى ... نقى الثياب والذمام من الغدر

وعبد مناف ماجد ذو حفيظة ... وصول لذى القربى رحيم بذى الصهر

كهولهم خير الكهول، ونسلهم ... كنسل الملوك، لا تبور ولا تحرى[٦]

متى ما تلاقى منهم الدهر ناشئا ... تجده بإجريًّا أوائله يجرى[٧]

هم ملئوا البطحاء مجدا وعزة ... إذا استبق الخيرات فى سالف العصر

وفيهم بناة للعلا وعمارة ... وعبد مناف جدهم، جابر الكسر

بإنكاح عوف بنته ليجيرنا ... من أعدائنا إذ أسلمتنا بنو فهر

فسرنا تهامى البلاد ونجدها ... بأمنه حتى خاضت العير فى البحر[٨]

وهم حضروا والناس باد فريقهم ... وليس بها إلا شيوخ بنى عمرو

بنوها ديارا جمة، وطووا بها ... بئار تسح الماء من ثبج البحر

لكى يشرب الحجاج منها، وغيرهم ... إذا ابتدروها صبح تابعة النحر

ثلاثة أيام تظل ركابهم ... مُخَيَّسَةً بين الأخاشب والحجر[٩]

---

(١) المجحفات: جمع مجحفة، وهى السنة التى تذهب بالأموال، والغبر: جمع غبراء وهى السنة المجدبة.
(٢) العانى: الأسير، وذوا الوفر، صاحب المال الوفير.
(٣) غالته المنايا: أى ذهبت به وأهلكته، وميمون النقيبة: أى منجح الفعال مظفر المطالب، وأصل النقيبة: النفس.
(٤) عزل: ضعاف لا سلاح معهم ومصاليت: جمع مصلات وهو الرجل الماضى فى الحوائج، والردينية: الرماح.
(٥) الحباء: العطاء، وهجان اللون: أبيض، وغر جمع أعز.
(٦) لاتبور ولا تحرى: أى تهلك ولا تنقص.
(٧) الإجريا: العادة والطريقة، ومايجرى عليه من أفعال آبائه ويتعوده.
(٨) ثبج البحر: معظمه.
(٩) مخيسة: مذللة، والأخاشب: جبال مكة.

وقدمـــا غنينا قبل ذلـك حـــقبة ... ولا نستقــى إلا بخـــم أو الحفر

وهـــم يغفرون الذنـب ينقـم دونه ... ويعفون عـــن قول السفاهة والهجر [(١)]

وهم جمعوا حلف الأحـابيش كلها ... وهم نكلوا عـنا غـــواة بنـى بكر [(٢)]

فخارج إما أهلكن، فلا تزل ... لهم شاكرا حتى تغيّب فى القبر [(٣)]

ولا تنس ما أسدى ابن لبنى؛ فإنه ... قد أسدى يدا محقوقة منك بالشكر [(٤)]

وأنت ابن لبنى من قصى إذا انتموا ... بحيث انتهى قصد الفؤاد من الصدر

وأنت تناولـت العـــلا، فجمعتها ... إلى محتد للمجد ذى ثبج جسر [(٥)]

سبقت وفـت القـــوم بذلا ونائلا ... وسدت وليدا كل ذى سؤدد غمر

وأمك سـر مـــن خزاعة جوهر ... إذا حصل الأنساب يوما ذوو الخبر [(٦)]

إلى سبأ الأبطال تنمـــى، وتنتمى ... فأكرم بها منسوبة فى ذرا الزهر

أبو شمر منهـم، وعمرو بن مالك ... وذو جدن من قومها وأبو الجبر [(٧)]

وأسعد قــــاد الناس عشرين حـجة ... يؤيد فـــى تـلك المـــواطن بالنصر [(٨)]

قال ابن هشام: «أمك سر من خزاعة»، يعنى: أبا لهب، أمه: لبنى بنت هاجر الخزاعى. وقوله: «بإجريا أوائله» عن غير ابن إسحاق.

رثاء مطرود الخزاعى لعبد المطلب: قال ابن إسحاق: وقال مطرود بن كعب الخزاعى يبكى عبد المطلب وبنى عبد مناف:

يا أيها الرجـــل المحـول رحله ... هلا سألت عـــن آل عـــبد مناف

هبلتك أمك، لو حـللت بدارهـــم ... ضمنوك مـــن جـــرم ومن إقراف [(٩)]

الخـــالطين غنيهــــــم بفقيرهـــــم ... حتى يعـــود فقيرهم كالكافى

المنعمـــين إذا النجـــوم تغيرت ... والظاعـنين لرحـــلة الإيـــلاف [(١٠)]

والمنعمـين إذا الريـــــاح تناوحـت ... حتـى تغيب الشـمس فى الرجاف

---

(١) الهجر: القبيح من الكلام. (٢) الأحابيش من حالفوا قريشًا من القبائل ودخلوا فى عقدها وذمتها.

(٣) فخارج: أراد ياخارجة فخذف حرف النداء ورخم. (٤) محقوقة: يريد أنها تستحق الشكر.

(٥) جسر: ماض فى أموره قوى عليها (٦) وأمك سر: أى خالصة النسب، والخبر: أى العلم.

(٧) قال السهيلى: «أسعد: هو أسعد أبو حسان بن أسعد، وقد تقدم فى التبابعة وكذلك أبو شمر، وشمر هو الذى بنى سمرقند، وأبوه مالك، يقال له الأملوك ويحتمل أن يكون أراد أبا شمر الغسانى والد الحارث وعمرو بن مالك الذى ذكره أحسبه عمراً ذا الأذعار، وأبو جبر: ملك من جلوك اليمن » أهـ «الروض » (١/ ٢٠٢).

(٨) قال السهيلى: «وإنما جعلهم مفخراً لأبى لهب لأن أمه خزاعية من سبأ، والتبابعة كلهم من حمير بن سبأ» أ هـ «الروض» (١/ ٢٠٢).

(٩) أى منعوك من أن تُنكح بناتك أو أخواتك من لئيم فيكون الابن مقرفا للؤم أبيه وكرم أمه فيلحقك وصْم من ذلك . ومعنى هبلتك أمك: أى ثكلتك .

(١٠) تناوحت تقابلت : والرجاف: البحر سمى بذلك لأنه يرجف أى: يضطرب .

إما هلكت أبا الفعال فما جرى من فوق مثلك عقد ذات نطاف[١]

إلا أبيك أخى المكــارم وحــده والفيض مطّلب أبــى الأضياف[٢]

قال ابن إسحاق: فلما هلك عبد المطلب بن هاشم ولى زمزم والسقاية عليها بعده العباس بن عبد المطلب، وهو يومئذ من أحدث إخوته سنا، فلم تزل إليه، حتى قام الإسلام وهى بيده. فأقرها رسول الله ـ ﷺ ـ له على ما مضى من ولايته، فهى إلى آل العباس، بولاية العباس إياها، إلى اليوم.

****

كفالة أبى طالب لرسول الله ﷺ

وكان رسول الله ﷺ بعد عبدالمطلب مع عمه أبى طالب، وكان عبدالمطلب ـ فيما يزعمون ـ يوصى به عمه أبا طالب، وذلك لأن عبد الله أبا رسول الله ﷺ وأبا طالب أخوان لأب وأم. أمهما: فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم.

قال ابن هشام: عائذ بن عمران بن مخزوم.

قال ابن إسحاق: وكان أبو طالب هو الذى يلى أمر رسول الله ﷺ بعد جده، فكان إليه ومعه.

اللهبى العائف: قال ابن إسحاق: وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، أن أباه حدثه: أن رجلا من لهب ـ قال ابن هشام: ولهب: من أزد شنوءة ـ كان عائفا[٣]، فكان إذا قدم مكة أتاه رجال قريش بغلمانهم ينظر إليهم، ويعتاف لهم فيهم. قال. فأتى به أبو طالب، وهو غلام مع من يأتيه، فنظر إلى رسول الله ﷺ ثم شغله عنه شىء، فلما فرغ قال: الغلام. علىّ به، فلما رأى أبو طالب حرصه عليه غيبه عنه، فجعل يقول: ويلكم! ردوا على الغلام الذى رأيت آنفا، فوالله ليكونن له شأن. قال: فانطلق أبو طالب.

*****

قصة بحيرى

محمد (ﷺ) يخرج مع عمه إلى الشام: قال ابن إسحاق: ثم إن أبا طالب خرج

(١) النطاف: جمع نطفة وهى القرط الذى يعلق فى الأذن.
(٢) أبى الأضياف: يريد أنه كالأب لهم والعرب تقول لكل جواد أبو الأضياف.
(٣) يريد أنه كان صادق الحدس والظن.

فى ركب تاجرا إلى الشام، فلما تهيأ للرحيل، وأجمع المسير صبّ به[1] رسول الله ﷺ فيما يزعمون - فرق له، وقال: والله لأخرجن به معى، ولا يفارقنى، ولا أفارقه أبدا، أو كما قال. فخرج به معه.

بحيرى يحتفى بتجار قريش: فلما نزل الركب بصرى من أرض الشام، وبها راهب يقال له. بحيرى فى صومعة له، وكان إليه علم أهل النصرانية، ولم يزل فى تلك الصومعة منذ قط راهب، إليه يصير علمهم عن كتاب فيها - فيما يزعمون - يتوارثونه كابرا عن كابر. فلما نزلوا ذلك العام ببحيرى، وكانوا كثيرا ما يمرون به قبل ذلك، فلا يكلمهم، ولايعرض لهم، حتى كان ذلك العام. فلما نزلوا به قريبا من صومعته صنع لهم طعاما كثيرا، وذلك - فيما يزعمون - عن شىء رآه وهو فى صومعته، يزعمون أنه رأى رسول الله ﷺ وهو فى صومعته فى الركب حين أقبلوا، وغمامة تظله من بين القوم. قال: ثم أقبلوا فنزلوا فى ظل شجرة قريبا منه، فنظر إلى الغمامة حين أظلت الشجرة، وتهصرت أغصان الشجرة على رسول الله ﷺ حتى استظل تحتها، فلما رأى ذلك بحيرى نزل من صومعته وقد أمر بذلك الطعام فصنع، ثم أرسل إليهم، فقال: إنى قد صنعت لكم طعاما يا معشر قريش، فأنا أحب أن تحضروا كلكم، صغيركم وكبيركم، وعبدكم وحركم، فقال له رجل منهم: والله يا بحيرى إن لك لشأنا اليوم! ما كنت تصنع هذا بنا، وقد كنا نمر بك كثيرا، فما شأنك اليوم؟!

قال له بحيرى: صدقت، قد كان ما تقول، ولكنكم ضيف، وقد أحببت أن أكرمكم، وأصنع لكم طعاما، فتأكلوا منه كلكم. فاجتمعوا إليه وتخلف رسول الله ﷺ من بين القوم، لحداثة سنه، فى رحال القوم تحت الشجرة، فلما نظر بحيرى فى القوم لم ير الصفة التى يعرف ويجد عنده، فقال: يا معشر قريش! لايتخلفن أحد منكم عن طعامى، قالوا له: يا بحيرى، ما تخلف عنك أحد ينبغى له أن يأتيك إلا غلام، وهو أحدث القوم سنا، فتخلف فى رحالهم، فقال: لا تفعلوا، ادعوه، فليحضر هذا الطعام معكم. قال: فقال رجل من قريش مع القوم: واللات والعزى، إن كان للؤم بنا أن يتخلف ابن عبد الله بن عبد المطلب عن طعام من بيننا، ثم قام إليه فاحتضنه، وأجلسه مع القوم.

بحيرى يتثبت من محمد (ﷺ): فلما رآه بحيرى، جعل يلحظه لحظا شديدا، وينظر إلى أشياء من جسده، قد كان يجدها عنده من صفته، حتى إذا فرغ القوم من

(١) محقوقة: يريد أنها تستحق الشكر.

طعامهم وتفرقوا، قام إليه بحيرى، فقال: يا غلام، أسألك بحق اللات والعزى إلا ما أخبرتنى عما أسألك عنه، وإنما قال له بحيرى ذلك؛ لأنه سمع قومه يحلفون بهما، فزعموا أن رسول الله ﷺ قال: لا تسألنى باللات والعزى شيئا، فوالله ما أبغضت شيئا قط بغضهما، فقال له بحيرى: فبالله إلا ما أخبرتنى عما أسألك عنه، فقال له سلنى عما بدا لك. فجعل يسأله عن أشياء من حاله: من نومه وهيئته وأموره، فجعل رســول الله ﷺ يخبره، فيوافق ذلك ما عند بحيرى من صفته، ثم نظر إلى ظهره؛ فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التى عنده.

قال ابن هشام: وكان مثل أثر المحجم[1].

بحيرى يوصى أبا طالب بمحمد (ﷺ): قال ابن إسحاق: فلما فرغ، أقبل على عمه أبى طالب، فقال له: ما هذا الغلام منك؟ قال: ابنى. قال له بحيرى: ما هو بابنك، وما ينبغى لهذا الغلام أن يكون أبوه حيا، قال: فإنه ابن أخى، قال: فما فعل أبوه؟ قال: مات وأمه حبلى به، قال: صدقت، فارجع بابن أخيك إلى بلده، واحذر عليه يهود، فوالله لئن رأوه، وعرفوا منه ما عرفت ليبغنّه شرا، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم، فأسرع به إلى بلاده.

بعض من أهل الكتاب يريدون بمحمد (ﷺ) الشر: فخرج به عمه أبو طالب سريعا، حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام فزعموا فيما روى الناس: أن زُرَيْرا وتمّاما ودريسا ـ وهم نفر من أهل الكتاب ـ قد كانوا رأوا من رسول الله ﷺ مثل ما رآه بحيرى فى ذلك السفر الذى كان فيه مع عمه أبى طالب، فأرادوه، فردهم عنه بحيرى، وذكرهم الله وما يجدون فى الكتاب من ذكره وصفته، وأنهم إن أجمعوا لما أرادوا به لم يخلصوا إليه، ولم يزل بهم، حتى عرفوا ما قال لهم، وصدقوه بما قال، فتركوه وانصرفوا عنه.

محمد (ﷺ) يشب على مكارم الأخلاق: فشب رسول الله ﷺ والله تعالى يكلؤه ويحفظه ويحوطه من أقدار الجاهلية، لما يريد به من كرامته ورسالته، حتى بلغ أن كان رجلا أفضل قومه مروءة، وأحسنهم خلقا، وأكرمهم حسبا، وأحسنهم جوارا، وأعظمهم حلما، وأصدقهم حديثا، وأعظمهم أمانة، وأبعدهم من الفحش والأخلاق التى تدنس الرجال، تنزها وتكرما، حتى ما اسمه فى قومه إلا الأمين، لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة.

(١) يعنى أثر المحجمة القابضة على اللحم حتى يكون ناتئاً.

رسول الله (ﷺ) يحدث عن حفظ الله له: وكان رسول الله ﷺ فيما ذكر لى يحدث عما كان الله يحفظه به فى صغره وأمر جاهليته، أنه قال:

لقد رأيتنى فى غلمان قريش ننقل حجارة لبعض ما يلعب به الغلمان، كلنا قد تعرى وأخذ إزاره، فجعله على رقبته، يحمل عليه الحجارة، فإنى لأقبل معهم كذلك وأدبر، إذ لكمنى لاكم ما أراه، لكمة وجيعة ثم قال: شد عليك إزارك. قال: فأخذته وشدته علىّ، ثم جعلت أحمل الحجارة على رقبتى وإزارى علىّ من بين أصحابى[1].

حرب الفجار

قال ابن هشام: فلما بلغ رسول الله ﷺ أربع عشرة سنة أو خمس عشرة سنة - فيما حدثنى أبو عبيدة النحوى، عن أبى عمرو بن العلاء - هاجت حرب الفجار[2] بين قريش ومن معها من كنانة، وبين قيس عيلان.

سببها: وكان الذى هاجها أن عُروة الرحال بن عتبة بن جعفر بن كلاب بن ربيعة ابن عامر بن صعصعة بن معاوية بن هوازن، أجار لطيمة[3] للنعمان بن المنذر، فقال

---

(١) رواه الحاكم(٤/ ٢٤٥) من طريق ابن إسحاق، حدثنى محمد بن عبد الله بن مخرمة عن الحسن بن محمد بن على عن جده على بن أبى طالب رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول فذكره. (قلت) وقع فى المستدرك «عن الحسن بن محمد بن على عن جده» والصواب: «عن أبيه عن جده على بن أبى طالب» فقد رواه البيهقى من طريق الحاكم فقال: عن الحسن بن محمد بن على عن أبيه عن جده على بن أبى طالب «الدلائل»(٢/ ٣٣)، ورواه ابن حبان(٦٢٧٢) الإحسان، وأبو نعيم فى «دلائل النبوة»(١٢٨) وعلقه البخارى فى «تاريخه»(١/ ١٣٠) باختصار فقال: قال لى شهاب: حدثنا بكر بن سليمان، عن ابن إسحاق، ووصله البزار(٢٤٠٣) حدثنا موسى بن عبد الله أبو طلحة الخزاعى، حدثنا بكر بن سليمان عن ابن إسحاق، وذكره الهيثمى فى «المجمع»(٨/ ٢٢٦) وقال: رواه البزار ورجاله ثقات.
وأشار ابن كثير رحمه الله إلى ضعف الحديث بقوله: هذا حديث غريب جدًا وقد يكون عن على نفسه... وشيخ ابن إسحاق هذا ذكره ابن حبان فى الثقات. وزعم بعضهم أنه من رجال الصحيح. قال شيخنا فى تهذيبه ولم أقف على ذلك والله أعلم. اهـ «البداية والنهاية»(٢/ ٢٨٧).
وضعفه الشيخ الألبانى حفظه الله فى تعليقه على «فقه السيرة» للغزالى (ص٧٤) وقال بعد أن ذكر كلام ابن كثير الآنف الذكر: «ثم وجدت الحديث فى «تاريخ مكة»(ص٧)للفاكهى، وتاريخ ابن جرير(٢/ ٣٤) من الطريق المذكور. ورواه الطبرانى فى«المعجم الصغير»(ص١٩٠)من حديث عمار بن ياسر وفى سنده جماعة لم أعرفهم، وذكر نحو هذا الحديث الهيثمى فى «مجمع الزوائد» (٨/ ٢٢٦) اهـ. وانظر أيضًا «دفاع عن الحديث النبوى والسيرة» للألبانى ص١٤ - والحديث أورده السيوطى فى «الخصائص الكبرى» (١/ ٨٨ - ٨٩) وعزاه لابن راهويه فى مسنده وابن عساكر وقال: قال ابن حجر: إسناده حسن متصل ورجاله ثقات. اهـ. قلت: ولعل القول بضعفه هو الصواب فإن مداره على محمد بن عبد الله بن مخرمة وهو لم يوثقه إلا ابن حبان والله أعلم.

(٢) الفجار بكسر الفاء بمعنى: المفاجرة كالقتال والمقاتلة، وذلك أنه كان قتالاً فى الشهر الحرام ففجروا فيه جميعاً، فسمى الفجار..

(٣) اللطيمة: عير تحمل البز و العطر، وإجارتها: أن يكون لها جاراً يمنع التعدى عليها.

له البرّاض بن قيس أحد بنى ضمرة بن بكر بن عبد مناة ابن كنانة: أتجيرها على كنانة؟ قال: نعم، وعلى الخلق، فخرج فيها عروة الرحال، وخرج البراض يطلب غفلته، حتى إذا كان بتيمن ذى طلال بالعالية، غفل عروة، فوثب عليه البراض، فقتله فى الشهر الحرام، فلذلك سمي: الفجار. وقال البراض فى ذلك:

وداهيــــة تهـــم الناس قبلــــى	شددت لها - بنى بكر - ضلوعى
هدمـــت بهـــا بيوت بنى كـــلاب	وأرضعــت الموالــى بالضــروع[1]
رفعت لــــه بذى طلاّل كفىٍّ	فخــــر يميــد كالجذع الصريع[2]

وقّال لبيد بن مالك بن جعفر بن كلاب:

أبلغ - إن عرضت - بنى كلاب	وعامــر والـخطوب لـها موالــى
وبلغ - إن عرضــت - بنــى نُمير	وأخـــوال القتيل بنــــى هـــلال
بـــأن الوافــــد الرحـــال أمســـى	مقيما عنـــد تـــيمن ذى طـــلال

وهذه الأبيات فى أبيات له فيما ذكر ابن هشام.

قتال هوازن لقريش: قال ابن هشام: فأتى آت قريشا، فقال: إن البراض قد قتل عروة، وهم فى الشهر الحرام بعكاظ، وهوازن لا تشعر، ثم بلغهم الخبر فأتبعوهم، فأدركوهم قبل أن يدخلوا الحرم، فاقتتلوا حتى جاء الليل، ودخلوا الحرم، فأمسكت عنهم هوازن، ثم التقوا بعد هذا اليوم أياما، والقوم متساندون، على كل قبيل من قريش وكنانة رئيس منهم، وعلى كل قبيل من قيس رئيس منهم.

الرسول ﷺ يشهد القتال وهو صغير: وشهد رسول الله ﷺ بعض أيامهم، أخرجه أعمامه معهم، وقال رسول الله ﷺ: كنت أنبِّل على أعمامى، أى: أرد عنهم، نبل عدوهم، إذا رموهم بها.

سن رسول الله ﷺ فى هذه الحرب: قال ابن إسحاق: هاجت حرب الفجار، ورسول الله - ﷺ- ابن عشرين سنة.

---

(١) الضروع: جمع ضرع وهو فى معنى قولهم: لئيم راضع، أى: ألحقت الموالى بمنزلتهم من اللؤم ورضاع الضروع، وأظهرت رذالتهم وهتكت بيوت أشراف بني كلاب وصرحائهم.

(٢) قال السهيلى: « وقول البراض: رفعت له بذى طلال كفى فلم يصرفه يجوز أن يكون جعله اسم بقعة فترك إجراء الاسم للتأنيث والتعريف، فإن قلت: كان يجب أن يقول: بذات طلال أى: ذات هذا الاسم للمؤنث كما قالوا: ذو عمرو، أى: صاحب هذا الاسم، ولو كانت أنثى لقالوا: ذات هند (مثلا) فالجواب أن قوله بذى يجوز أن يكون وصفاً لطريق أو جانب مضاف إلى طلال اسم البقعة. وأحسن من هذا كله أن يكون طلال اسماً مذكراً علماً، والاسم العلم يجوز ترك حرفه فى الشعر كثيراً» ا هـ من«الروض»(١/ ٢٠٩ _ ٢١٠).

سبب تسمية هذا اليوم بالفجار: وإنما سمى يوم الفجار، بما استحل هذان الحيان: كنانة وقيس عيلان فيه من المحارم بينهم.

قائد قريش وكنانة: وكان قائد قريش وكنانة حرب بن أمية بن عبد شمس، وكان الظفر فى أول النهار لقيس على كنانة، حتى إذا كان فى وسط النهار كان الظفر لكنانة على قيس:

قال ابن هشام: وحديث الفجار أطول مما ذكرت، وإنما منعنى من استصائه قطعه حديث رسول الله ﷺ.

حديث تزويج رسول الله ﷺ خديجة رضى الله عنها

سنه ﷺ حين زواجه: قال ابن هشام: فلما بلغ رسول الله ﷺ خمسا وعشرين سنة، تزوج خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب، فيما حدثنى غير واحد من أهل العلم عن أبى عمرو المدنى.

خروجه (ﷺ) إلى التجارة بمال خديجة: قال ابن إسحاق: وكانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة، ذات شرف ومال، تستأجر الرجال فى مالها، وتضاربهم إياه، بشىء تجعله لهم، وكانت قريش قوما تجارا، فلما بلغها عن رسول الله ﷺ ما بلغها: من صدق حديثه، وعظم أمانته، وكرم أخلاقه، بعثت إليه، فعرضت عليه أن يخرج فى مال لها إلى الشام تاجرا، وتعطيه أفضل ما كانت تعطى غيره من التجار، مع غلام لها يقال له: ميسرة، فقبله رسول الله ﷺ منها، وخرج فى مالها ذلك، وخرج معه غلامها ميسرة، حتى قدم الشام.

حديثه (ﷺ) مع الراهب: فنزل رسول الله ﷺ فى ظل شجرة قريبا من صومعة راهب من الرهبان، فاطلع الراهب إلى ميسرة، فقال له: من هذا الرجل الذى نزل تحت هذه الشجرة؟ قال له ميسرة: هذا رجل من قريش من أهل الحرم، فقال له الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبى.

ثم باع رسول الله ﷺ سلعته التى خرج بها، واشترى ما أراد أن يشترى، ثم أقبل قافلا إلى مكة، ومعه ميسرة - فيما يزعمون - إذا كانت الهاجرة، واشتد الحر، يرى ملكين يُظلاّنه من الشمس - وهو يسير على بعيره - فلما قدم مكة على خديجة بمالها، باعت ما جاء به، فأضعف أو قريبا. وحدثها ميسرة عن قول الراهب، وعما كان يرى من إظلال الملكين إياه.

خديجة ترغب فى الزواج منه (ﷺ): وكانت خديجة امرأة حازمة شريفة لبيبة، مع ما أراد الله بها من كرامته، فلما أخبرها ميسرة بما أخبرها به، بعثت إلى رسول الله ﷺ فقالت له فما يزعمون: يابن عم، إنى قد رغبت فيك لقرابتك، وسطتك[1] فى قومك وأمانتك، وحسن خلقك، وصدق حديثك، ثم عرضت عليه نفسها، وكانت خديجة يومئذ أوسط نساء قريش نسبا، وأعظمهن شرفا، وأكثرهن مالا، كل قومها كان حريصا على ذلك منها لو يقدر عليه.

نسب خديجة رضى الله عنها: وهى خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر، وأمها: فاطمة بنت زائدة بن الأصم بن رواحة بن حجر بن عبد بن معيض بن عامر بن لؤى بن غالب ابن فهر، وأم فاطمة: هالة بنت عبد مناف بن الحارث بن عمرو بن منقذ بن عمرو بن معيض بن عامر بن لؤى ابن غالب ابن فهر. وأم هالة: قلابة بنت سعيد بن سعد بن سهم بن عمرو بن معيض ابن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر.

الرسول (ﷺ) يتزوج من خديجة بعد استشارة أعمامه: فلما قالت ذلك لرسول الله ﷺ ذكر ذلك لأعمامه، فخرج معه عمه حمزة بن عبدالمطلب ـ رحمه الله ـ حتى دخل على خويلد بن أسد فخطبها إليه، فتزوجها.

صداق خديجة: قال ابن هشام: وأصدقها رسول الله ﷺ عشرين بكرة، وكانت أول امرأة تزوجها رسول الله ﷺولم يتزوج عليها غيرها حتى ماتت، رضى الله عنها.

أولاده ﷺ من خديجة: قال ابن إسحاق: فولدت لرسول الله ﷺ ولده كلهم إلا إبراهيم: القاسم، وبه يكنى ﷺ، والطاهر، والطيب، وزينب، وأم كلثوم، وفاطمة عليهم السلام.

ترتيب ولادتهم: قال ابن هشام: أكبر بنيه القاسم، ثم الطيب، ثم الطاهر، وأكبر بناته: رقية، ثم زينب، ثم أم كلثوم، ثم فاطمة.

قال ابن إسحاق: فأما القاسم، والطيب، والطاهر فهلكوا فى الجاهلية.

وأما بناته فكلهن أدركن الإسلام، فأسلمن وهاجرن معه ﷺ.

إبراهيم وأمه: قال ابن هشام: وأما إبراهيم فأمه: مارية القبطية. حدثنا عبد الله ابن وهب عن ابن لهيعة، قال: أم إبراهيم: مارية سرية النبى ﷺ التى أهداها إليه المقوقس من حفن من كورة أنصنا.

(١) سطتك: أى شرفك وسامى منزلتك.

ورقة يتنبأ له (ﷺ) بالنبوة: قال ابن إسحاق: وكانت خديجة بنت خويلد قد ذكرت لورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ـ وكان ابن عمها، وكان نصرانيا[1] قد تتبع الكتب، وعلم من علم الناس ـ ماذكر لها غلامها ميسرة من قول الراهب، وما كان يرى منه إذ كان الملكان يظلانه، فقال ورقة: لئن كان هذا حقا يا خديجة، إن محمدا لنبى هذه الأمة، وقد عرفت أنه كائن لهذه الأمة نبى ينتظر، هذا زمانه، أو كما قال.

شعر لورقة: فجعل ورقة يستبطئ الأمر ويقول: حتى متى؟ فقال ورقة فى ذلك:

لججت وكنت فى الذكرى لجوجا ... لهم طالما بعث النشيجا[2]
ووصف من خديجة بعد وصف ... فقد طال انتظارى يا خديجا
ببطن المكتين على رجائى ... حديثك أن أرى منه خروجا[3]
بما خبرتنا من قول قس ... من الرهبان أكره أن يعوجا[4]
بأن محمدا سيسود فينا ... ويخصم من يكون له حجيجا[5]
ويظهر فى البلاد ضياء نور ... يقيم به البرية أن تموجا[6]
فيلقى من يحاربه خسارا ... ويلقى من يساله فلوجا[7]
فياليتى إذا ما كان ذاكم ... شهدت فكنت أولهم ولوجا[8]
ولوجا فى الذى كرهت قريش ... ولو عجت بمكتها عجيجا[9]
أرجى بالذى كرهوا جميعا ... إلى ذى العرش إن سفلوا عروجا[10]
وهل أمر السَّفالة غير كفر ... بمن يختار من سمك البروجا[11]
فإن يبقوا وأبق تكن أمور ... يضج الكافرون لها ضجيجا
وإن أهلك فكل فتى سيلقى ... من الأقدار متلفة حروجا[12]

---

(١) كان ورقة من النصارى الذين لم يتلوثوا بالعقائد الفاسدة كعقيدة التثليث ولذا قال النبى ﷺ: «لاتسبوا ورقة ابن نوفل فإني رأيت له جنة أو جنتين» رواه الحاكم (٢/ ٦٠٩) وصححه ووافقه الذهبى وصححه الألبانى فى «الصحيحة» (٤٠٥).

٢) النشيج: البكاء مع صوت.

٢) قال السهيلى: «ثنى مكة وهى واحدة لأن لها بطاحاً وظواهر».

٤) القس: عابد النصارى. ويعوج: يقف أو يرجع يريد يخشى تأخره.

(٥) يخصم: يغلب فى الخصومة والحجيج المناظر.

(٦) تموج: يضطرب بعضها فى بعض.

(٧) الفلوج: الظهور على العدو والخصم.

(٨) ليتى: يريد ليتنى.

(٩) عجت عجيجاً: ارتفعت أصواتها.

(١٠) العروج: الصعود والعلو.

(١١) سمك: بنى ورفع.

(١٢) المتلفة: المهلكة. والحروج: الكثيرة التصرف.

حديث بنيان الكعبة وحكم رسول الله ﷺ بين قريش فى وضع الحجر

سبب هذا البنيان: قال ابن إسحاق: فلما بلغ رسول الله ﷺ خمسا وثلاثين سنة اجتمعت قريش لبنيان الكعبة، وكانوا يهمون بذلك، ليسقفوها ويهابون هدمها، وإنما كانت رضما[1] فوق القامة، فأرادوا رفعها وتسقيفها، وذلك أن نفرا سرقوا كنزا للكعبة، وإنما كان يكون فى بئر فى جوف الكعبة، وكان الذى وجد عنده الكنز دويكا مولى لبنى مليح بن عمرو من خزاعة. قال ابن هشام: فقطعت قريش يده. وتزعم قريش أن الذين سرقوه وضعوه عند دويك، وكان البحر قد رمى بسفينة إلى جدة لرجل من تجار الروم، فتحطمت خشبها فأعدوه لتسقيفها، وكان بمكة رجل قبطى نجار، فتهيأ لهم فى أنفسهم بعض ما يصلحها، وكانت حية تخرج من بئر الكعبة التى كان يطرح فيها ما يهدى لها كل يوم ، فتتشرق[2] على جدار الكعبة، وكانت مما يهابون، وذلك أنه كان لا يدنو منها أحد إلا احزالت وكشت[3]، وفتحت فاها، وكانوا يهابونها، فبينما هى ذات يوم تتشرق على جدار الكعبة، كما كانت تصنع، بعث الله إليها طائرا فاختطفها، فذهب بها، فقالت قريش: إنا لنرجو أن يكون الله قد رضى ما أردنا، عندنا عامل رقيق، وعندنا خشب، وقد كفانا الله الحية.

أبو وهب ـ خال رسول الله ـ وما حدث له عند بناء الكعبة: فلما أجمعوا أمرهم فى هدمها وبنائها، قام أبو وهب بن عمرو بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم.

قال ابن هشام: عائذ بن عمران بن مخزوم، فتناول من الكعبة حجرا، فوثب من يده، حتى رجع إلى موضعه. فقال: يا معشر قريش، لا تدخلوا فى بنائها من كسبكم إلا طيبا، لا يدخل فيها مهر بغى، ولا بيع ربا، ولا مظلمة أحد من الناس. والناس ينحلون هذا الكلام الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم.

قال ابن إسحاق: وقد حدثنى عبد الله بن أبى نجيح المكى أنه حدث عن عبد الله ابن صفوان بن أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح بن عمرو ابن هصيص بن كعب بن لؤى، أنه رأى ابنا لجعدة بن هبيرة بن أبى وهب بن عمرو يطوف بالبيت، فسأل عنه، فقيل: هذا ابن لجعدة بن هبيرة، فقال عبد الله بن صفوان عند ذلك: جد هذا، يعنى: أبا وهب الذى أخذ حجرا من الكعبة حين أجمعت قريش لهدمها،

(١) الرضم: وضع الحجارة بعضها على بعض من غير ملاط.
(٢) تتشرق: أى تبرز للشمس. (٣) احزالت: أى رفعت ذنبها .وكشت: صوتت.

فوثب من يده، حتى رجع إلى موضعه، فقال عند ذلك: يامعشر قريش: لا تدخلوا فى بنائها من كسبكم إلا طيبا. لا تدخلوا فيها مهر بغى ولا بيع ربا، ولا مظلمة أحد من الناس.

شعر فى أبى وهب: قال ابن إسحاق: وأبو وهب: خال أبى رسول الله ﷺ وكان شريفا، وله يقول شاعر من العرب:

ولو بأبى وهب أنخت مطيتى ... غدت من نداه رحلها غير خائب
بأبيض من فرعى لؤى بن غالب ... إذا حصلت أنسابها فى الذوائب[1]
أبى أخذ الضيم يرتاح الندى ... توسط جداه فروع الأطايب
عظيم رماد القدر يملأ جفانه ... من الخبز يعلوهن مثل السبائب[2]

نصيب قبائل قريش فى تجزئة الكعبة: ثم إن قريشا تجزأت الكعبة، فكان شق الباب لبنى عبد مناف وزهرة، وكان ما بين الركن الأسود والركن اليمانى لبنى مخزوم، وقبائل من قريش انضموا إليهم، وكان ظهر الكعبة لبنى جمح وسهم، ابنى عمرو ابن هصيص بن كعب بن لؤى وكان شق الحجر لبنى عبد الدار بن قصى، ولبنى أسد بن العزى بن قصى، ولبنى عدى بن كعب بن لؤى وهو الحطيم.

الوليد بن المغيرة يبدأ بهدم الكعبة: ثم إن الناس هابوا هدمها وفرقوا منه. قال الوليد بن المغيرة: أنا أبدؤكم فى هدمها، فأخذ المعول[3]، ثم قام عليها، وهو يقول: اللهم لم ترع[4] - قال ابن هشام: ويقال: لم نزغ - اللهم إنا لا نريد إلا الخير، ثم هدم من ناحية الركنين، فتربص الناس تلك الليلة، وقالوا: ننظر، فإن أصيب لم نهدم منها شيئا ورددناها كما كانت، وإن لم يصبه شىء، فقد رضى الله صنعنا، فهدمنا!! فأصبح الوليد من ليلته غاديا على عمله، فهدم وهدم الناس معه، حتى إذا انتهى الهدم بهم إلى الأساس: أساس إبراهيم عليه السلام أفضوا إلى حجارة خضر كالأسنمة[5] آخذ بعضها بعضا.

---

(١) الذوائب: الاعلى، واحدها ذؤابة وأراد بها ههنا الأنساب الكريمة.
(٢) السبائب: جمع سبيبة، وهى فى الأصل ثياب رقيقة بيضاء فشبه الشحم الذى يعلو الجفان بها.
(٣) المعول: الفأس التى تكسر بها الحجارة.
(٤) اللهم لم تُرع: هى كلمة تقال عند تسكين الرَّوع وإظهار اللين والبر فى القول. ولاروع فى هذا الموطن فينفى: ولكن الكلمة تقتضى إظهار قصد البر فلذلك تكلموا بها.
(٥) أى كأسنمة الإبل والمعنى أن الحجارة دخل بعضها فى بعض فشبهها بها.

امتناع قريش عن هدم الأساس وسببه: قال ابن إسحاق: فحدثنى بعض من يروى الحديث: أن رجلا من قريش، ممن كان يهدمها، أدخل عتلة بين حجرين منها ليقلع بها أحدهما، فلما تحرك الحجر تنقضت مكة بأسرها، فانتهوا عن ذلك الأساس.

الكتاب الذى وجد فى الركن: قال ابن إسحاق: وحدثت أن قريشا وجدوا فى الركن كتابا بالسريانية، فلم يدروا ما هو، حتى قرأه لهم رجل من يهود، فإذا هو: «أنا الله ذو بكة، خلقتها يوم خلقت السموات والأرض، وصورت الشمس والقمر، وحففتها بسبعة أملاك حنفاء، لا تزول حتى يزول أخشباها، مبارك لأهلها فى الماء واللبن»[1].

قال ابن هشام: أخشباها: جبلاها.

الكتاب الذى وجد فى المقام: قال ابن إسحاق: وحدثت أنهم وجدوا فى المقام كتابا فيه: «مكة بيت الله يأتيها رزقها من ثلاثة سبل، لا يحلها أول من أهلها».

حجر الكعبة المكتوب عليه العظة: قال ابن إسحاق: وزعم ليث بن أبى سليم أنهم وجدوا حجرا فى الكعبة قبل مبعث النبى ﷺ بأربعين سنة - إن كان ما ذكر حقا - مكتوبا فيه: «من يزرع خير غبطة، ومن يزرع شرا، يحصد ندامة، تعملون السيئات، وتجزون الحسنات؟! أجل، كما لا يجتنى من الشوك العنب»[2].

الاختلاف بين قريش فى وضع الحجر: قال ابن إسحاق: ثم إن القبائل من قريش جمعت الحجارة لبنائها، كل قبيلة تجمع على حدة، ثم بنوها، حتى بلغ البنيان موضع الركن[3]، فاختصموا فيه، كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى، حتى تحاوروا[4] وتحالفوا؛ وأعدوا للقتال.

لعقة الدم: فقربت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دما، ثم تعاقدوا هم وبنو عدى بن كعب بن لؤى على الموت، وأدخلوا أيديهم فى ذلك الدم فى تلك الجفنة، فسموا: لعقة الدم، فمكثت قريش على ذلك أربع ليال أو خمسا، ثم إنهم اجتمعوا فى المسجد، وتشاوروا وتناصفوا.

أبو أمية بن المغيرة يجد حلا: فزعم بعض أهل الرواية: أن أبا أمية بن المغيرة بن

---

(١) هذه الرواية لا تصح لجهالة من حدَّث بها.

(٢) إسناد منقطع، وليث بن أبى سليم قال عنه الحافظ فى «التقريب» (٢/١٣٨): «صدوق اختلط أخيراً ولم يتميز حديثه فترك».

(٣) يعنى بالركن هنا الحجر الأسود وسمى ركناً لأنه مبنى فى الركن.

(٤) تحاوروا: أى تجادلوا وكثر الكلام والحوار بينهم.

عبد الله بن عمر بن مخزوم، وكان عامئذ أسن قريش كلها، قال: يا معشر قريش! اجعلوا بينكم - فيما تختلفون فيه - أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضى بينكم فيه، ففعلوا.

الرسول (ﷺ) يضع الحجر: فكان أول داخل عليهم رسول الله ﷺ فلما رأوه قالوا: هذا الأمين، رضينا، هذا محمد، فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر، قال ﷺ: هلُم إلى ثوبا، فأتى به، فأخذ الركن فوضعه فيه بيده، ثم قال: لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب، ثم ارفعوه جميعا، ففعلوا: حتى إذا بلغوا به موضعه، وضعه هو بيده، ثم بنى عليه.

وكانت قريش تسمى رسول الله ﷺ قبل أن ينزل عليه الوحى: الأمين.

شعر الزبير فى الحية التى كانت تمنع قريش من بنيان الكعبة: فلما فرغوا من البنيان، وبنوها على ما أرادوا، قال الزبير بن عبد المطلب، فيما كان من أمر الحية التى كانت قريش تهاب بنيان الكعبة لها:

عجبت لما تصوبت العقاب ... إلى الثعبان وَهْىَ لها اضطراب
وقد كانت يكون لها كشيش ... وأحيانا يكون لها وثاب[1]
إذا قمنا إلى التأسيس شدت ... تهيبنا البناء وقد تهاب
فلما أن خشينا الرجز جاءت ... عقاب تَتْلئِبُّ لها انصباب[2]
فضمتها إليها ثم خلت ... لنا البنيان ليس له حجاب
فقمنا حاشدين إلى بناء ... لنا منه القواعد والتراب
غداة نرفع التأسيس منه ... وليس على مُسَوِّينا ثياب
أعز به المليك بنى لؤى ... فليس لأصله منهم ذهاب
وقد حشدت هناك بنو عدى ... ومرة قد تقدمها كلاب
فبوأنا المليك بذاك عزا ... وعند الله يلتمس الثواب

قال ابن هشام: ويروى:

وليس على مساوينا ثياب

ارتفاع الكعبة وكونها: وكانت الكعبة على عهد رسول الله ﷺ ثمانى عشرة

(١) الكشيش: الصوت. والثواب: المواثبة والوثوب.
(٢) الرجز: العذاب وتتلئب: تتابع فى سيرها فلا تعوج يمنة ولايسرة.

ذراعا، وكانت تكسى القباطى[١]، ثم كسيت البرود[٢]، وأول من كساها الديباج: الحجاج ابن يوسف.

****

حديث الحمس

قريش تبتدع الحمس: قال ابن إسحاق: وقد كانت قريش - لا أدرى أقبل الفيل أم بعده - ابتدعت رأى الحمس[٣] رأيا رأوه وأداروه، فقالوا: نحن بنو إبراهيم، وأهل الحرمة، وولاة البيت، وقطان مكة وساكنها، فليس لأحد من العرب مثل حقنا، ولا مثل منزلتنا، ولا تعرف له العرب مثل ما تعرف لنا، فلا تعظموا شيئا من الحل كما تعظمون الحرم، فإنكم إن فعلتم ذلك استخفت العرب بحرمتكم، وقالوا: قد عظموا من الحل مثل ما عظموا من الحرم. فتركوا الوقوف على عرفة، والإفاضة منها، وهم يعرفون ويقرون أنها من المشاعر والحج ودين إبراهيم ﷺ ويرون لسائر العرب أن يفيضوا منها، إلا أنهم قالوا: نحن أهل الحرم، فليس ينبغى لنا أن نخرج من الحرمة، ولا نعظم غيرها، كما نعظمها نحن الحمس، والحمس: أهل الحرم، ثم جعلوا لمن ولدوا من العرب من ساكن الحل والحرم مثل الذى لهم، بولادتهم إياهم، يحل لهم ما يحل لهم، ويحرم عليهم ما يحرم عليهم.

القبائل التى آمنت مع قريش بالحمس: وكانت كنانة وخزاعة قد دخلوا معهم فى ذلك.

قال ابن هشام: وحدثنى أبو عبيدة النحوى: أن بنى عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن دخلوا معهم فى ذلك، وأنشدنى لعمرو بن معد يكرب:

أعباس لو كانت شيارا جيادنا ... بتثليث ما ناصيت بعدى الأحامسا[٤]

قال ابن هشام: تثليث: موضع من بلادهم. والشيار: الحسان. يعنى بالأحامس: بنى عامر بن صعصعة. وبعباس: عباس بن مرداس السلمى، وكان أغار على بنى زبيد بتثليث.

---

(١) القباطى: ثياب بيض كانت تصنع بمصر.

(٢) البرود: ضرب من ثياب اليمن.

(٣) الحمس: جمع أحمس وهو الشديد الصلب مأخوذ من الحماسة التى هى الشدة، وإنما سموا الحمس لأنهم اشتدوا فى دينهم فكانت نساؤهم لا ينسجن الشعر ولا الوبر.

(٤) ناصيت: أى أخذت بناصيتهم ونازعتهم.

وهذا البيت فى قصيدة لعمرو.

وأنشدنى للقيط بن زرارة الدارمى فى يوم جبلة[١]:

أجذم إليك إنها بنو عبس ... المعشر الجلة فى القوم الحمس[٢]

لأن بنى عبس كانوا يوم جبلة حلفاء فى بنى عامر بن صعصعة.

يوم جبلة: ويوم جبلة: يوم كان بين بنى حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، وبين بنى عامر بن صعصعة، فكان الظفر فيه لبنى عامر بن صعصعة على بنى حنظلة، وقتل يومئذ لقيط بن زرارة بن عدس، وأسرحاجب بن زرارة بن عدس، وانهزم عمرو بن عمرو بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم بن مالك بن حنظلة. ففيه يقول جرير للفرزدق:

كأنك لم تشهد لقيطا وحاجبا ... وعمرو بن عمرو إذ دعوا: يالدارم

وهذا البيت فى قصيدة له:

يوم ذى نجب: ثم التقوا يوم ذى نجب فكان الظفر لحنظلة على بنى عامر، وقتل يومئذ حسان بن معاوية الكندى، وهو أبو كبشة. وأسر يزيد بن الصعق الكلابى، وانهزم الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب، أبو عامر بن الطفيل ففيه يقول الفرزدق:

ومنهن إذ نجى طفيل بن مالك ... على قرزل رجلا ركوض الهزائم[٣]

ونحن ضربنا هامة ابن خويلد ... نزيد على أم الفراخ الجوائم[٤]

وهذان البيتان فى قصيدة له:

فقال جرير:

ونحن خضبنا لابن كبشة تاجه ... ولاقى امرءا فى ضمة الخيل مصقعا[٥]

وهذا البيت فى قصيدة له:

وحديث يوم جبلة، ويوم ذى نجب أطول مما ذكرنا. وإنما منعنى من استقصائه ما

---

(١) جبلة: هضبة عالية كانوا قد أحرزوا فيها عيالهم وأموالهم.

(٢) أجذم: زجرٌ معروف للخيل. والمعشر الجلة: أى العظماء. (٣) قرزل: اسم فرسه.

(٤) على أم الفراخ الجوائم: يعنى الهامة، وهى البوم. وكانوا يعتقدون أن الرجل إذا قتل خرجت من رأسه هامة تصيح: اسقونى اسقونى حتى يؤخذ بثأره.

(٥) المصقع: مأخوذ من صقعه إذا ضربه على شىء مصمت يابس.

ذكرت فى حديث يوم الفجار.

ما زادته قريش فى الحمس: قال ابن إسحاق: ثم ابتدعوا فى ذلك أمورا لم تكن لهم، حتى قالوا: لا ينبغى للحمس أن يأتقطوا الأقط، ولا يسلئوا السمن وهم حرم، ولا يدخلوا بيتا من شعر، ولا يستظلوا - إن استظلوا - إلا فى بيوت الأدم ما كانوا حرما. ثم رفعوا فى ذلك، فقالوا: لا ينبغى لأهل الحل أن يأكلوا من طعام جاءوا به معهم من الحل إلى الحرم إذا جاءوا حجاجا أو عمارا، ولا يطوفوا بالبيت إذا قدموا أول طوافهم إلا فى ثياب الحمس. فإن لم يجدوا منها شيئا طافوا بالبيت عراه.

اللقى عند الحمس: فإن تكرم منهم متكرم من رجل أو امرأة، ولم يجد ثياب الحمس؛ فطاف فى ثيابه التى جاء بها من الحل، ألقاها إذا فرغ من طوافه، ثم لم ينتفع بها، ولم يمسها هو، ولا أحد غيره أبدا.

وكانت العرب تسمى تلك الثياب: اللقى[1]، فحملوا على ذلك العرب. فدانت به، ووقفوا على عرفات، وأفاضوا منها، وطافوا بالبيت عراة، أما الرجال فيطوفون عراة.

وأما النساء فتضع إحداهن ثيابها كلها إلا درعا مفرجا[2] عليها، ثم تطوف فيه، فقالت امرأة من العرب، وهى كذلك تطوف بالبيت:

اليوم يبدو بعضه، أو كله ... وما بدا منه فلا أحله

ومن طاف منهم فى ثيابه التى جاء فيها الحل ألقاها، فلم ينتفع بها هو ولا غيره.

فقال قائل من العرب يذكر شيئا تركه من ثيابه، فلا يقربه - وهو يحبه:

كفى حزنا كرى عليها كأنها ... لقى بين أيدى الطائفين حريم

يقول: لا تمس.

الإسلام يبطل عادات الحمس: فكانوا كذلك حتى بعث الله تعالى محمدا ﷺ فأنزل عليه حين أحكم له دينه، وشرع له سنن حجه: ﴿**ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله إن الله غفور رحيم**﴾[3] يعنى قريشا، والناس: العرب، فرفعهم فى سنة الحج إلى عرفات، والوقوف عليها والإفاضة منها.

وأنزل الله عليه فيما كانوا حرموا على الناس من طعامهم ولبوسهم عند البيت،

---

(١) اللقى: هو الشىء الملقى، ويقال هو الشى المتروك.

(٢) درعاً مفرجاً: مشقوقاً من قدام أو من خلف. (٣) البقرة: ١٩٩.

حين طافوا عراة، وحرموا ما جاءوا به من الحل من الطعام: **﴿يا بنى آدم خذوا زينتكم[1] عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين. قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون﴾[2]** فوضع الله تعالى أمر الحمس ـ وما كانت قريش ابتدعت منه ـ عن الناس بالإسلام، حين بعث الله به رسوله ﷺ.

الرسول (ﷺ) يخالف الحمس قبل الرسالة: قال ابن إسحاق: حدثنى عبد الله ابن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، عن عثمان بن أبى سليمان بن جبير بن مطعم، عن عمه نافع بن جبير عن أبيه جبير بن مطعم. قال: لقد رأيت رسول الله ﷺ قبل أن ينزل عليه الوحى، وإنه لواقف على بعير له بعرفات مع الناس من بين قومه حتى يدفع معهم منها توفيقا من الله له، ﷺ تسليما كثيرا[3].

****

إخبار الكهان من العرب، والأحبار من يهود والرهبان من النصارى

الكهان والأحبار والرهبان يتحدثون بمبعثه: قال ابن إسحاق: وكانت الأحبار من يهود، والرهبان من النصارى، والكهان من العرب، قد تحدثوا بأمر رسول الله ﷺ قبل مبعثه، لما تقارب من زمانه.

أما الأحبار من يهود، والرهبان من النصارى، فعما وجدوا فى كتبهم من صفته وصفة زمانه، وما كان من عهد أنبيائهم إليهم فيه. وأما الكهان من العرب: فأتتهم به الشياطين من الجن فيما تسترق من السمع إذ كانت هى لا تحجب عن ذلك بالقذف بالنجوم، وكان الكاهن والكاهنة لا يزال يقع منهما ذكر بعض أموره، لا تلقى العرب لذلك فيه بالا، حتى بعثه الله تعالى، ووقعت تلك الأمور التى كانوا يذكرون؛ فعرفوها.

قذف الجن بالشهب دلالة على مبعثه (ﷺ): فلما تقارب أمر رسول الله ﷺ وحضر مبعثه. حجبت الشياطين عن السمع، وحيل بينها وبين المقاعد التى كانت

(١) المراد بالزينة اللباس وعدم التعرى، ومما تنزل فى ذلك قوله تعالى: **﴿وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاءً وتصدية﴾** لأنهم كانوا يطوفون عراة ويصفقون بأيديهم ويصفرون».

(٢) الأعراف: ٣١، ٣٢.

(٣) إسناده صحيح.

تقعد لاستراق السمع فيها فرموا بالنجوم، فعرفت الجن أن ذلك الأمر حدث من أمر الله فى العباد يقول الله تبارك وتعالى لنبيه محمد ﷺ حين بعثه، وهو يقص عليه خبر الجن إذ حجبوا عن السمع، فعرفوا ما عرفوا، وما أنكروا من ذلك حين رأوا ما رأوا: **﴿قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا. يهدى إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا. وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا. وأنه كان يقول سفيهنا على الله شططا. وأنا ظننا أن لن تقول الإنس والجن على الله كذبا. وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا﴾**.. إلى قوله: **﴿وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا. وأنا لا ندرى أشر أريد بمن فى الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا﴾**[(١)].

فلما سمعت الجن القرآن عرفت أنها إنما منعت من السمع قبل ذلك، لئلا يشكل الوحى بشىء من خبر السماء، فيلتبس على أهل الأرض ماجاءهم من الله فيه، لوقوع الحجة، وقطع الشبهة. فآمنوا وصدقوا، ثم: **﴿ولوا إلى قومهم منذرين. قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم﴾**... الآية[(٢)].

وكان قول الجن: **﴿وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا﴾**[(٣)]. أنه كان الرجل من العرب من قريش وغيرهم إذا سافر فنزل بطن واد من الأرض ليبيت فيه: إنى أعوذ بعزيز هذا الوادى من الجن الليلة من شر ما فيه.

قال ابن هشام: الرهق: الطغيان والسفه. قال رؤبة بن العجاج.

إذ تستبى الهيَّامـــــة المُـــــرهَّقـــا[(٤)]

وهذا البيت فى أرجوزة له. والرهق أيضا: طلبك الشىء حتى تدنو منه، فتأخذه، أو لا تأخذه. قال رؤبة بن العجاج يصف حمير وحش:

بصبصن واقشعررن من خوف الرهق[(٥)]

وهذا البيت فى أرجوزة له. والرهق أيضا: مصدر لقول الرجل: رهقت الإثم أو العسر الذى أرهقتنى رهقا شديدا، أى: حملت الإثم أو العسر الذى حملتنى حملا شديدا، وفى كتاب الله تعالى: **﴿فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا﴾**[(٦)] وقوله:

(١) الجن: ١ ـ ١٠.
(٢) الأحقاف: ٢٩ ـ ٣٠.
(٣) الجن: ٦.
(٤) تستبى: أى تذهب بعقله، والهيامة: الكثير الهيام.
(٥) بصبصن: معناه حركن أذنابهن.
(٦) الكهف: ٨٠.

﴿ولا ترهقني من أمري عسرا﴾[1].

ثقيف أول من فزعت برمى الجن: قال ابن إسحاق: وحدثنى يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس أنه حدث أن أول العرب فزع للرمى بالنجوم - حين رمى بها - هذا الحى من ثقيف، وأنهم جاءوا إلى رجل منهم يقال له: عمرو بن أمية أحد بنى علاج - قال: وكان أدهى العرب وأنكرها رأيا - فقالوا له: يا عمرو: ألم تر ماحدث فى السماء من القذف بهذه النجوم. قال: بلى فانظروا، فإن كانت معالم النجوم التى يهتدى بها فى البر والبحر، وتعرف بها الأنواء من الصيف والشتاء لما يصلح الناس فى معايشهم، هى التى يرمى بها، فهو والله طى الدنيا، وهلاك هذا الخلق الذى فيها، وإن كانت نجوما غيرها، وهى ثابتة على حالها، فهذا لأمر أراد الله به هذا الخلق، فما هو؟

الرسول يسأل الأنصار عن قولهم فى رجم الجن بالشهب وتوضيحه للأمر: قال ابن إسحاق: وذكر محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى، عن على بن الحسين بن على بن أبى طالب، عن عبد الله بن العباس، عن نفر من الأنصار: أن رسول الله ﷺ، قال لهم: «**ماذا كنتم تقولون فى هذا النجم الذى يرمى به**» قالوا: يا نبى الله كنا نقول حين رأيناها يرمى بها: مات ملك، ملك ملك، ولد مولود، مات مولود، فقال رسول الله ﷺ: «**ليس ذلك كذلك، ولكن الله تبارك وتعالى كان إذا قضى فى خلقه أمرا سمعه حملة العرش، فسبحوا، فسبح لتسبيحهم من تحت ذلك، فلا يزال التسبيح يهبط حتى ينتهى إلى السماء الدنيا، فيسبحوا ثم يقول بعضهم لبعض: مم سبحتم؟ فيقولون: سبح من فوقنا فسبحنا لتسبيحهم، فيقولون: ألا تسألون من فوقكم: مم سبحوا؟ فيقولون مثل ذلك، حتى ينتهوا إلى حملة العرش، فيقال لهم: مم سبحتم؟ فيقولن: قضى الله فى خلقه كذا وكذا، للأمر الذى كان، فيهبط به الخبر من سماء إلى سماء حتى ينتهى إلى السماء الدنيا، فيتحدثوا به، فتسترقه الشياطين بالسمع، على توهم واختلاف، ثم يأتوا به الكهان من أهل الأرض فيحدثوهم به فيخطئون ويصيبون، فيتحدث به الكهان فيصيبون بعضا ويخطئون بعضا. ثم إن الله عز وجل حجب الشياطين بهذه النجوم التى يقذفون بها، فانقطعت الكهانة اليوم، فلا كهانة**»[2].

قال ابن إسحاق: وحدثنى عمرو بن أبى جعفر، عن محمد بن عبدالرحمن بن أبى لبيبة، عن على بن الحسين بن على رضى الله عنهم بمثل حديث ابن شهاب عنه.

(1) الكهف: ٧٣. (2) رواه مسلم (٥٧١١) وأحمد (٢١٨/١) والترمذى (٣٢٢٤).

الغيطلة وصاحبها: قال ابن إسحاق: وحدثنى بعض أهل العلم: أن امرأة من بنى سهم يقال لها الغيطلة كانت كاهنة فى الجاهلية، فلما جاءها صاحبها فى ليلة من الليالى، فأنقض تحتها، ثم قال: أدر ما أدر، . يوم عقر ونحر، فقالت قريش حين بلغها ذلك: ما يريد؟

ثم جاءها ليلة أخرى، فأنقض تحتها، ثم قال: شعوب، ما شعوب، تصرع فيه كعب لجنوب: فلما بلغ ذلك قريشا، قالوا: ماذا يريد؟ إن هذا لأمر هو كائن، فانظروا ما هو؟ فما عرفوه حتى كانت وقعة بدر وأحد بالشعب، فعرفوا أنه الذى كان جاء به إلى صاحبته.

نسب الغيطلة: قال ابن هشام: الغيطلة: من بنى مرة بن عبد مناة بن كنانة، إخوة مدلج بن مرة، وهى أم الغياطل الذين ذكر أبو طالب فى قوله

لقد سفهت أحـــلام قـــوم تبدلوا بنـــى خـــلف قيـظًا بنـــا والغياطـل

فقيل لولدها: الغياطل، وهم من بنى سهم بن عمرو بن هصيص، . وهذا البيت فى قصيدة له، سأذكرها فى موضعها إن شاء الله تعالى.

كاهن جنب يذكر خبر الرسول (ﷺ): قال ابن إسحاق: وحدثنى على ابن نافع الجرشى: أن جنبا بطنا من اليمن، كان لهم كاهن فى الجاهلية، فلما ذكر أمر رسول الله ﷺ وانتشر فى العرب، قالت له جنب: انظر لنا فى أمر هذا الرجل، واجتمعوا له فى أسفل جبله، فنزل عليهم حين طلعت الشمس، فوقف لهم قائما متكئا على قوس له، فرفع رأسه إلى السماء طويلا، ثم جعل ينزو، ثم قال: أيها الناس، إن الله أكرم محمدا واصطفاه، وطهر قلبه وحشاه، ومكثه فيكم أيها الناس قليل، ثم اشتد فى جبله راجعا من حيث جاء.

سواد بن قارب يحدث عمر بن الخطاب عن صاحبه من الجن: قال ابن إسحاق: وحدثنى من لا أتهم عن عبد الله بن كعب، مولى عثمان بن عفان، أنه حدث: أن عمر بن الخطاب، بينا هو جالس فى مسجد رسول الله ﷺ، إذ أقبل رجل[1] من العرب داخلا المسجد، يريد عمر بن الخطاب، فلما نظر إليه عمر رضى الله عنه، قال: إن هذا الرجل لعلى شركه ما فارقه بعد، ولقد كان كاهنا فى الجاهلية. فسلم عليه الرجل، ثم جلس، فقال له عمر رضى الله عنه: هل أسلمت؟ قال: نعم يا أمير

(١) وهذا الرجل هو سواد بن قارب، كان كاهناً فى الجاهلية ثم: أسلم.

المؤمنين، قال له: فهل كنت كاهنا فى الجاهلية؟ فقال الرجل: سبحان الله يا أمير المؤمنين! لقد خلت فىّ، واستقبلتنى بأمر ما أراك قلته لأحد من رعيتك منذ وليت ما وليت، فقال عمر: اللهم غفرا[1]، قد كنا فى الجاهلية على شر من هذا، نعبد الأصنام، ونعتنق الأوثان، حتى أكرمنا الله برسوله وبالإسلام، قال: نعم، والله يا أمير المؤمنين، لقد كنت كاهنا فى الجاهلية، قال: فأخبرنى ما جاءك به صاحبك، قال: جاءنى قبل الإسلام بشهر أو شيعه[2]، فقال: ألم تر إلى الجن وإبلاسها، وإياسها من دينها، ولحوقها بالقلاص وأحلاسها[3].

قال ابن هشام: هذا الكلام سجع، وليس بشعر.

قال عبد الله بن كعب: فقال عمر بن الخطاب عند ذلك يحدث الناس: والله إنى لعند وثن من أوثان الجاهلية فى نفر من قريش، قد ذبح له رجل من العرب عجلا، فنحن ننتظر قسمه ليقسم لنا منه، إذ سمعت من جوف العجل صوتا ما سمعت صوتا قط أنفذ منه، وذلك قبيل الإسلام بشهر أو شيعه، يقول: يا ذريح، أمر نجيح، رجل يصيح، يقول: لا إله إلا الله.

قال ابن هشام: ويقال: رجل يصيح، بلسان فصيح، يقول: لا إله إلا الله. وأنشدنى بعض أهل العلم بالشعر:

عجبت للجن وإبلاسها ... وشدها العيس بأحلاسها
تهوى إلى مكة تبغى الهدى ... ما مؤمنو الجن كأنجاسها

قال ابن إسحاق: فهذا ما بلغنا من الكهان من العرب.

إنذار يهود برسول الله ﷺ

اليهود ـ لعنهم الله ـ يعرفونه ويكفرون به: قال ابن إسحاق: وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة، عن رجال من قومه، قالوا: إن مما دعانا الإسلام، مع رحمة الله تعالى وهداه، لما كنا نسمع من رجال يهود، كنا أهل شرك أصحاب أوثان، وكانوا أهل كتاب، عندهم علم ليس لنا، وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور، فإذا نلنا منهم بعض ما يكرهون، قالوا لنا: إنه تقارب زمان نبى يبعث الآن نقتلكم معه قتل عاد وإرم،

(١) اللهم غفرًا: كلمة تقولها العرب إذا أخطأ الرجل على الرجل ومعناها اللهم اغفر لى.
(٢) أو شيعه: يعنى أو دونه بقليل.
(٣) إبلاسها: تقول أبلس الرجل، إذا سكت ذليلاً أو مغلوبًا، والإياس واليأس واحد. والقلاص: الإبل الفتية. والأحلاس: جمع حلس وهو كساء جلد يوضع على ظهر البعير ثم يوضع عليه الرحل ليقيه من الدبر.

فكنا كثيرا ما نسمع ذلك منهم.

فلما بعث الله رسوله ﷺ أجبناه، حين دعانا إلى الله تعالى، وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به، فبادرناهم إليه، فآمنا به، وكفروا به، ففينا وفيهم نزل هؤلاء الآيات من البقرة: **﴿ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين﴾**(1).

قال ابن هشام: يستفتحون: يستنصرون، ويستفتحون أيضا: يتحاكمون، وفى كتاب الله تعالى: **﴿ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين﴾**(2).

سلمة يذكر حديث اليهودى الذى أنذر بالرسول (ﷺ): قال ابن إسحاق. وحدثنى صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن محمود بن لبيد أخى بنى عبد الأشهل عن سلمة بن سلامة بن وقش - وكان سلمة من أصحاب بدر - قال: كان لنا جار من يهود فى بنى عبد الأشهل، قال: فخرج علينا يوما من بيته، حتى وقف على بنى عبد الأشهل - قال سلمة: وأنا يومئذ أحدث من فيه سنا، علىّ بردة لى، مضطجع فيها بفناء أهلى - فذكر القيامة والبعث والحساب والميزان والجنة والنار، قال: فقال ذلك لقوم أهل شرك أصحاب أوثان، لا يرون أن بعثا كائن بعد الموت، فقالوا له: ويحك يا فلان!! أو ترى هذا كائنا، أن الناس يبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار، يجزون فيها بأعمالهم؟ قال: نعم، والذى يحلف به، ويود أن له بحظه من تلك النار أعظم تنور فى الدار، يحمونه ثم يدخلونه إياه فيطينونه عليه، بأن ينجو من تلك النار غدا، فقالوا له: ويحك يا فلان! فما آية ذلك؟ قال: نبى مبعوث من نحو هذه البلاد - وأشار بيده إلى مكة واليمن - فقالوا: ومتى تراه؟ قال: فنظر إلى، وأنا من أحدثهم سنا، فقال: إن يستنفد هذا الغلام عمره يدركه. قال سلمة: فوالله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله محمدا رسوله - ﷺ - وهو حى بين أظهرنا، فآمنا به، وكفر به بغيا وحسدا قال: فقلنا له. ويحك يا فلان!! ألست الذى قلت لنا فيه ما قلت؟ قال: بلى ولكن ليس به(3).

ابن الهيبان اليهودى يتسبب فى إسلام ثعلبة وأسيد ابنى سعية وأسد بن عبيد: قال ابن إسحاق: وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة عن شيخ من بنى قريظة قال: قال لى: هل تدرى عم كان إسلام ثعلبة بن سعية وأسيد بن سعية وأسد بن عبيد نفر من بنى هدل، إخوة بنى قريظة، كانوا معهم فى جاهليتهم ثم كانوا ساداتهم فى

(1) البقرة: 89. (2) الأعراف: 89. (3) إسناده ضعيف إلى سلمة بن وقش.

الإسلام. قال: قلت: لا، قال: فإن رجلا من يهود من أهل الشام، يقال له: ابن الهيبان، قدم علينا قبيل الإسلام بسنين، فحل بين أظهرنا، لا والله ما رأينا رجلا قط لا يصلى الخمس أفضل منه، فأقام عندنا فكنا إذا قحط عنا المطر قلنا له اخرج يا ابن الهيبان فاستسق لنا، فيقول. لا والله، حتى تقدموا بين يدى مخرجكم صدقة، فنقول له: كم؟ فيقول: صاعا من تمر: أو مدين من شعير. قال: فنخرجها، ثم يخرج بنا إلى ظاهر حرتنا؛ فيستسقى الله لنا، فوالله ما يبرح مجلسه، حتى تمر السحابة ونسقى، قد فعل ذلك غير مرة ولا مرتين ولا ثلاث. قال: ثم حضرته الوفاة عندنا، فلما عرف أنه ميت، قال: يا معشر يهود، ما ترونه أخرجنى من أرض الخمر والخمير إلى أرض البؤس والجوع؟ قال: قلنا: إنك أعلم، قال: فإنى إنما قدمت هذه البلدة أتوكف خروج نبى قد أظل زمانه، وهذا البلدة مهاجره، فكنت أرجو أن يبعث، فأتبعه، وقد أظلكم زمانه، فلا تسبقن إليه يا معشر يهود، فإنه يبعث بسفك الدماء، وسبى الذرارى والنساء ممن خالفه، فلا يمنعكم ذلك منه.

فلما بعث رسول الله ﷺ وحاصر بنى قريظة، قال هؤلاء الفتية، وكانوا شبابا أحداثا: يا بنى قريظة، والله إنه للنبى الذى كان عهد إليكم فيه ابن الهيبان، قالوا: ليس به، قالوا: بلى والله، إنه لهو بصفته، فنزلوا وأسلموا، وأحرزوا دماءهم وأموالهم وأهليهم[١].

قال ابن إسحاق: فهذا ما بلغنا عن أخبار يهود.

حديث إسلام سلمان رضى الله عنه

سلمان ـ رضى الله عنه ـ يتشوف إلى النصرانية بعد المجوسية: قال ابن إسحاق: وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة الأنصارى. عن محمود بن لبيد. عن عبد الله بن عباس، قال: حدثنى سلمان الفارسى من فيه قال: كنت رجلا فارسيا من أهل إصبهان من أهل قرية يقال لها: جى[٢]، وكان أبى دهقان[٣] قريته، وكنت أحب خلق الله إليه، لم يزل به حبه إياى حتى حبسنى فى بيته كما تحبس الجارية، واجتهدت فى المجوسية حتى كنت قطن النار[٤] الذى يوقدها لا يتركها تخبو ساعة. قال: وكانت لأبى ضيعة عظيمة، قال: فشغل فى بنيان له يوما، فقال لى: يا بنى، إنى قد شغلت فى بنيانى هذا اليوم عن ضيعتى فاذهب إليها، فاطلعها ـ وأمرنى فيها

---

(١) إسناده ضعيف لجهالة شيخ بنى قريظة. (٢) مدينة ناحية أصبهان القديمة.

(٣) الدهقان: شيخ القرية العارف بالفلاحة وما يصلح بالأرض من الشجر، يلجأ إليه فى معرفة ذلك.

(٤) قطن النار: هو خادمها الذى يخدمها ويمنعها من أن تنطفئ. والفرس كانوا مجوسًا يعظمون النار ويعبدونها.

ببعض ما يريد - ثم قال لى: ولا تحتبس عنى؛ فإنك إن احتبست عنى كنت أهم من ضيعتى، وشغلتنى عن كل شىء من أمرى. قال: فخرجت أريد ضيعته التى بعثنى إليها، فمررت بكنيسة من كنائس النصارى، فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلون، وكنت لا أدرى ما أمر الناس، لحبس أبى إياى فى بيته، فلما سمعت أصواتهم دخلت عليهم، انظر ما يصنعون، فلما رأيتهم، أعجبتنى صلاتهم، ورغبت فى أمرهم، وقلت: هذا والله خير من الدين الذى نحن عليه، فوالله ما برحتهم حتى غربت الشمس، وتركت ضيعة أبى فلم آتها، ثم قلت لهم: أين أصل هذا الدين؟ قالوا: بالشام.

فرجعت إلى أبى، وقد بعث فى طلبى، وشغلته عن عمله كله، فلما جئته قال: أى بنى أين كنت؟ أو لم أكن عهدت إليك ما عهدت؟ قال: قلت له: يا أبت، مررت بأناس يصلون فى كنيسة لهم، فأعجبنى ما رأيت من دينهم، فوالله ما زلت عندهم حتى غربت الشمس، قال: أى بنى، ليس فى ذلك الدين خير، دينك ودين آبائك خير منه، قال: كلا والله، إنه لخير من ديننا. قال: فخافنى، فجعل فى رجلى قيدا؛ ثم حبسنى فى بيته.

سلمان يهرب إلى الشام: قال: وبعثت إلى النصارى فقلت لهم: إذا قدم عليكم ركب من الشام فأخبرونى بهم. قال: فقدم عليهم ركب من الشام تجار من النصارى، فأخبرونى بهم فقلت لهم: إذا قضوا حوائجهم، وأرادوا الرجعة إلى بلادهم، فآذنونى بهم: قال: فلما أرادوا الرجعة إلى بلادهم، أخبرونى بهم، فألقيت الحديد من رجلى، ثم خرجت معهم، حتى قدمت الشام فلما قدمتها قلت: من أفضل أهل هذا الدين علما؟ قالوا: الأسقف فى الكنيسة.

سلمان مع أسقف النصارى السئ: قال: فجئته، فقلت له: إنى قد رغبت فى هذا الدين، فأحببت أن أكون معك، وأخدمك فى كنيستك، فأتعلم منك، وأصلى معك، قال: ادخل، فدخلت معه، قال: وكان رجل سوء، يأمرهم بالصدقة، ويرغبهم فيها، فإذا جمعوا إليه شيئا منها اكتنزه لنفسه، ولم يعطه المساكين، حتى جمع سبع قلال من ذهب وورق. قال. فأبغضته بغضا شديدا، لما رأيته يصنع، ثم مات، فاجتمعت إليه النصارى، ليدفنوه، فقلت لهم: إن هذا كان رجل سوء، يأمركم بالصدقة، ويرغبكم فيها، فإذا جئتموه بها، اكتنزها لنفسه، ولم يعط المساكين منها شيئا. قال: فقالوا لى: وما علمك بذلك؟ قال: قلت لهم: أنا أدلكم على

كنزه، قالوا: فدلنا عليه، قال: فأريتهم موضعه، فاستخرجوا سبع قلال مملوءة ذهبا وورق. قال: فلما رأوها قالوا: والله لا ندفنه أبدا. قال: فصلبوه، ورجموه بالحجارة، وجاءوا برجل آخر، فجعلوه مكانه.

سلمان مع أسقف النصارى الصالح: قال: يقول سلمان: فما رأيت رجلا لا يصلى الخمس، أرى أنه كان أفضل منه، وأزهد فى الدنيا، ولا أرغب فى الآخرة، ولا أدأب ليلا ولا نهارا منه. قال: فأحببته حبا لم أحبه شيئا قبله مثله. قال: فأقمت معه زمانا، ثم حضرته الوفاة، فقلت له: يا فلان، إنى قد كنت معك، وأحببتك حبا لم أحبه شيئا قبلك، وقد حضرك ما ترى من أمر الله تعالى، فإلى من توصى بى؟ وبم تأمرنى؟ قال: أى بنى، والله ما أعلم اليوم أحدا على ما كنت عليه، فقد هلك الناس، وبدلوا وتركوا أكثر ما كانوا عليه، إلا رجلا بالموصل، وهو على ما كنت عليه فالحق به.

سلمان يلحق بأسقف الموصل: فلما مات وغيب لحقت بصاحب الموصل، فقلت له: يا فلان، إن فلانا أوصانى عند موته أن ألحق بك، وأخبرنى أنك على أمره، قال: فقال لى: أقم عندى، فأقمت عنده، فوجدته خير رجل على أمر صاحبه، فلم يلبث أن مات، فلما حضرته الوفاة، قلت له يا فلان. إن فلانا أوصى بى إليك، وأمرنى باللحوق بك، وقد حضرك من أمر الله ما نرى، فإلى من توصى بى؟ وبم تأمرنى؟ قال: يا بنى، والله ما أعلم رجلا على مثل ما كنا عليه، إلا رجلا بنصيبين، وهو فلان، فالحق به.

سلمان يلحق بأسقف نصيبين: فلما مات وغيب لحقت بصاحب نصيبين، فأخبرته خبرى، وما أمرنى به صاحباى، فقال: أقم عندى، فأقمت عنده فوجدته على أمر صاحبيه، فأقمت مع خير رجل، فوالله ما لبث أن نزل به الموت، فلما حضر، قلت له: يا فلان! إن فلانا كان أوصى بى إلى فلان، ثم أوصى بى فلان إليك، فإن من توصى بى؟ وبم تأمرنى؟ قال: يا بنى، والله ما أعلمه بقى أحد على أمرنا آمرك أن تأتيه إلا رجلا بعمورية من أرض الروم، فإنه على مثل ما نحن عليه، فإن أحببت فأته، فإنه على أمرنا.

سلمان يلحق بصاحب عمورية: فلما مات وغيب لحقت بصاحب عمورية، فأخبرته خبرى، فقال: أقم عندى، فأقمت عند خير رجل.، على هدى أصحابه وأمرهم. قال: واكتسبت حتى كانت لى بقرات وغنيمة، قال: ثم نزل به أمر الله،

فلما حضر، قلت له: يا فلان، إنى كنت مع فلان، فأوصى بى إلى فلان، ثم أوصى بى فلان إلى فلان، ثم أوصى بى فلان إليك، فإلى من توصى بى؟ وبم تأمرنى؟ قال: أى بنى، والله ما أعلمه أصبح اليوم أحد على مثل ما كنا عليه من الناس آمرك به أن تأتيه، ولكنه قد أظل زمان نبى، وهو مبعوث بدين إبراهيم عليه السلام، يخرج بأرض العرب، مهاجره إلى أرض بين حرتين[1]، بينهما نخل، به علامات لا تخفى، يأكل الهدية، ولا يأكل الصدقة، وبين كتفيه خاتم النبوة، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل.

سلمان يذهب إلى وادى القرى: قال: ثم مات وغيب، ومكثت بعمورية ما شاء الله أن أمكث، ثم مر بى نفر من كلب تجار، فقلت لهم: احملونى إلى أرض العرب، وأعطيكم بقراتى هذه وغنيمتى هذه، قالوا: نعم فأعطيتهموها، وحملونى معهم، حتى إذا بلغوا وادى القرى ظلمونى، فباعنى من رجل يهودى عبدا، فكنت عنده، ورأيت النخل، فرجوت أن يكون البلد الذى وصف لى صاحبى ولم يحق فى نفسى.

سلمان يذهب إلى المدينة: فبينا أنا عنده، إذ قدم عليه ابن عم له من بنى قريظة من المدينة، فابتاعنى منه، فاحتملنى إلى المدينة، فوالله ما هو إلا أن رأيتها، فعرفتها بصفة صاحبى، فأقمت بها، وبعث رسول الله ﷺ فأقام بمكة ما أقام، لا أسمع له بذكر مع ما أنا فيه من شغل الرق، ثم هاجر إلى المدينة.

سلمان يسمع بهجرة النبى (ﷺ) إلى المدينة: فوالله إنى لفى رأس« عذق لسيدى أعمل له فيه بعض العمل وسيدى جالس تحتى، إذ أقبل ابن عم له، حتى وقف عليه، فقال: يا فلان، قاتل الله بنى قيلة، والله إنهم الآن لمجتمعون بقباء على رجل قدم عليهم من مكة اليوم، يزعمون أنه نبى.

نسب قيلة: قال ابن هشام: قيلة: بنت كاهل بن عذرة بن سعد بن زيد ابن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة، أم الأوس والخزرج.

بهاليل من أولاد قيلة لم يجـــــد ... عليهم خليط فى مخـالطة عتبا[2]

مساميح أبطال يراحـــون للندى ... يرون عليهم فعل آبائهم نحبا[3]

قال النعمان بن بشير الأنصارى يمدح الأوس والخزرج:

وهذان البيتان فى قصيدة له.

---

(١) الحرة: كل أرض ذات حجارة سود. (٢) البهاليل: جمع بهلول وهو السيد.

(٣) مساميح: هم الأجواد الكرام. وأبطال: شجعان. ويراحون: يهتزون. والنحب: النذر.

قال ابن إسحاق: وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة الأنصارى، عن محمود بن لبيد، عن عبد الله بن عباس، قال سلمان: **فلما سمعتها أخذتنى العرواء**. قال ابن هشام: العرواء: الرعدة من البرد والانتفاض، فإن كان مع ذلك عرق فهى الرخصاء، وكلاهما ممدود ـ حتى ظننت أنى سأسقط على سيدى، فنزلت عن النخلة، فجعلت أقول لابن عمه ذلك: ماذا تقول؟ فغضب سيدى، فلكمنى لكمة شديدة، ثم قال: مالك ولهذا؟ أقبل على عملك، قال: قلت: لا شىء، إنما أردت أن أستثبته عما قال.

سلمان يستوثق من رسالة محمد (ﷺ): قال: وقد كان عندى شىء قد جمعته، فلما أمسيت أخذته، ثم ذهبت به إلى رسول الله ﷺ وهو بقباء، فدخلت عليه، فقلت له: إنه قد بلغنى أنك رجل صالح، ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة، وهذا شىء كان عندى للصدقة. فرأيتكم أحق به من غيركم، قال: فقربته إليه، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: كلوا، وأمسك يده، فلم يأكل. قال: فقلت فى نفسى: هذه واحدة. قال: ثم انصرفت عنه، فجمعت شيئا، وتحول رسول الله ﷺ إلى المدينة، ثم جئته به، فقلت له: إنى قد رأيتك لا تأكل الصدقة، فهذه هدية أكرمتك بها.

قال: فأكل رسول الله ﷺ منها، وأمر أصحابه، فأكلوا معه. قال: فقلت فى نفسى: هاتان ثنتان، قال: ثم جئت رسول الله ﷺ وهو ببقيع الغرقد، قد تبع جنازة رجل من أصحابه، علىّ شملتان[1] لى، وهو جالس فى أصحابه، فسلمت عليه ثم استدرت أنظر إلى ظهره، هل أرى الخاتم الذى وصف لى صاحبى، فلما رآنى رسول الله ﷺ استدبرته، عرف أنى استثبت فى شىء وصف لى، فألقى رداءه عن ظهره فنظرت إلى الخاتم فعرفته، فأكببت عليه أقبله، وأبكى، فقال لى رسول الله ـ ﷺ: «**تحول**» فتحولت فجلست بين يديه، فقصصت عليه حديثى، كما حدثتك يابن عباس، فأعجب رسول الله ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ أن يسمع ذلك أصحابه. ثم شغل سلمان الرق حتى فاته مع رسول الله ﷺ بدر وأحد.

سلمان يفتك نفسه من الرق بأمر رسول الله ومساعدته (ﷺ): قال سلمان: ثم قال لى رسول الله ﷺ: «**كاتب يا سلمان**» فكاتبت صاحبى على ثلثمائة نخلة أحييها له بالفقير[2]، وأربعين أوقية. فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «**أعينوا أخاكم**» فأعانونى بالنخل، الرجل بثلاثين ودية، والرجل بعشرين ودية. والرجل بخمس عشرة ودية، والرجل بعشر، يعين الرجل بقدر ما عنده، حتى اجتمعت لى ثلثمائة

(١) الشملة: الكساء الغليظ الذى يشتمل به الإنسان، أى يلتحف به. (٢) بالفقير: أى بالحفر والغرس.

ودية، فقال لى رسول الله ـ ﷺ: **«اذهب يا سلمان ففقِّر لها، فإذا فرغت فأتنى، أكن أنا أضعها بيدى»** قال: ففقرت، وأعاننى أصحابى، حتى إذا فرغت جئته، فأخبرته، فخرج رسول الله ﷺ معى إليها، فجعلنا نقرب إليه الودى، ويضعه رسول الله ﷺ ـ بيده، حتى فرغنا. فوالذى نفس سلمان بيده، ما ماتت منها ودية واحدة.

قال: فأديت النخل، وبقى على المال. فأتى رسول الله ﷺ بمثل بيضة الدجاجة من ذهب، من بعض المعادن، فقال: **«ما فعل الفارسى المكاتب؟»** قال: فدعيت له، فقال: **«خذ هذه فأدها مما عليك يا سلمان»** قال: قلت: وأين تقع هذه يا رسول الله مما على؟ فقال: **«خذها، فإن الله سيؤدى بها عنك»** قال: فأخذتها، فوزنت لهم منها ـ والذى نفس سلمان بيده ـ أربعين أوقية، فأوفيتهم حقهم منها، وعتق سلمان. فشهدت مع رسول الله ﷺ الخندق حرا، ثم لم يفتنى معه مشهد[1].

قال ابن إسحاق: وحدثنى يزيد بن أبى حبيب، عن رجل من عبد القيس عن سلمان: أنه قال: لما قلت: وأين تقع هذه من الذى على يا رسول الله؟ أخذها رسول الله ﷺ فقلبها على لسانه، ثم قال: خذها فأوفهم منها، فأخذتها، فأوفيتهم منها حقهم كله، أربعين أوقية[2].

حديث سلمان مع الرجل الذى بعمورية: قال ابن إسحاق: وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة، قال: حدثنى من لا أتهم عن عمر بن عبد العزيز ابن مروان، قال: حدثت عن سلمان الفارسى: أنه قال لرسول الله ﷺ حين أخبره خبره: إن صاحب عمورية قال له: ائت كذا وكذا من أرض الشام، فإن بها رجلا بين غيضتين، يخرج فى كل سنة من هذه الغيضة إلى هذه الغيضة مستجيزا، يعترضه ذوو الأسقام، فلا يدعو لأحد منهم إلا شفى، فاسأله عن هذا الدين الذى تبتغى، فهو يخبرك عنه، قال سلمان: فخرجت حتى أتيت حيث وصف لى، فوجدت الناس قد اجتمعوا بمرضاهم هنالك، حتى خرج لهم تلك الليلة مستجيزا من إحدى الغيضتين إلى الأخرى، فغشيه الناس بمرضاهم، لا يدعو لمريض إلا شفى، وغلبونى عليه، فلم أخلص إليه حتى دخل الغيضة التى يريد أن يدخل، إلا منكبه. قال: فتناولته.

فقال: من هذا؟ والتفت إلى، فقلت: يرحمك الله، أخبرنى عن الحنيفية دين إبراهيم. قال: إنك لتسألنى عن شىء ما يسأل عنه الناس اليوم، قد أظلك زمان نبى

---

(١) إسناده صحيح. ورواه أحمد (٥/ ٤٤١ ـ ٤٤٤) وابن سعد (٤/ ١/ ٥٣ ـ ٥٧). وابن الأثير فى «أسد الغابة» (٢/ ٤١٧ ـ ٤١٩) والطبرانى فى«الكبير»برقم(٦٠٦٥)والخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد»(١/ ١٦٤ ـ ١٦٩).

(٢) فى سنده جهالة .ورواه أحمد (٥/ ٤٤٤).

يبعث بهذا الدين من أهل الحرم، **فأته فهو يحملك عليه**. قال: ثم دخل. قال: فقال رسول الله ﷺ لسلمان: «**لئن كنت صدقتنى يا سلمان، لقد لقيت عيسى ابن مريم**» على نبينا وعليه السلام[1].

ذكر ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى وعبيد الله ابن جحش وعثمان بن الحويرث وزيد بن عمرو بن نفيل

تشككهم فى الوثنية: قال ابن إسحاق: واجتمعت قريش يوما فى عيد لهم عند صنم من أصنامهم، كانوا يعظمونه وينحرون له، ويعكفون عنده، ويديرون به، وكان ذلك عيدا لهم، فى كل سنة يوما، فخلص منهم أربعة نفر نجيا، ثم قال بعضهم لبعض: تصادقوا، وليكتم بعضكم على بعض، قالوا: أجل، وهم: ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى. وعبيد الله بن جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة، وكانت أمه أميمة بنت عبد المطلب. وعثمان بن الحويرث بن أسد بن عبد العزى بن قصى. وزيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن عبد الله بن قرط بن رياح بن رزاح بن عدى ابن كعب بن لؤى. فقال بعضهم لبعض: تعلموا والله ما قومكم على شىء! لقد أخطئوا دين أبيهم إبراهيم، ما حجر نطيف به، لا يسمع ولا يبصر، ولا يضر ولا ينفع؟! يا قوم التمسوا لأنفسكم، فإنكم والله ما أنتم على شىء، فتفرقوا فى البلدان يلتمسون الحنيفية، دين إبراهيم.

تنصر ورقة وابن جحش: فأما ورقة بن نوفل فاستحكم فى النصرانية، واتبع الكتب من أهلها، حتى علم علما من أهل الكتاب. وأما عبيد الله بن جحش، فأقام على ما هو عليه من الالتباس حتى أسلم، ثم هاجر مع المسلمين إلى الحبشة، ومعه امرأته أم حبيبة بنت أبى سفيان مسلمة، فلما قدمها تنصر، وفارق الإسلام، حتى هلك هنالك نصرانيا.

ابن جحش يغرى مهاجرى الحبشة على التنصر: قال ابن إسحاق: فحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير، قال: كان عبيد الله بن جحش - حين تنصر - يمر بأصحاب رسول الله ﷺ وهم هنالك من أرض الحبشة فيقول: فقحنا وصأصأتم، أى: أبصرنا وأنتم تلتمسون البصر، ولم تبصروا بعد، وذلك أن ولد الكلب، إذا أراد أن يفتح عينيه لينظر، صأصأ؛ لينظر. وقوله: فقح: فتح عينيه.

(١) فى سنده جهالة. ورواه ابن سعد (٤/ ١/ ٥٧).

رسول الله (ﷺ) يخلف على زوجة ابن جحش بعد وفاته: قال ابن إسحاق: وخلف رسول الله ﷺ بعده على امرأته أم حبيبة بنت أبى سفيان ابن حرب.

قال ابن إسحاق: وحدثنى محمد بن على بن حسين: أن رسول الله ﷺ بعث فيها إلى النجاشى عمرو بن أمية الضَّمْرِى، فخطبها عليه النجاشى؛ فزوجه إياها، وأصدقها عن رسول الله ﷺ أربعمائة دينار. فقال محمد بن على: ما نرى عبد الملك بن مروان وقف صداق النساء على أربعمائة دينار إلا عن ذلك. وكان الذى أملكها للنبى ﷺ خالد بن سعيد ابن العاص.

تنصر ابن الحويرث وقدومه على قيصر: قال ابن إسحاق: وأما عثمان بن الحويرث، فقدم على قيصر ملك الروم فتنصر، وحسنت منزلته عنده. قال ابن هشام: ولعثمان بن الحويرث عند قيصر حديث، منعنى من ذكره ما ذكرت فى حديث حرب الفجار.

زيد يتوقف عن جميع الأديان: قال ابن إسحاق: وأما زيد بن عمرو بن نفيل فوقف، فلم يدخل فى يهودية ولا نصرانية، وفارق دين قومه، فاعتزل الأوثان والميتة والدم والذبائح التى تذبح على الأوثان.

ونهى عن قتل الموءودة، وقال: أعبد رب إبراهيم، وبادى قومه بعيب ماهم عليه.

قال ابن إسحاق: وحدثنى هشام بن عروة عن أبيه، عن أمه أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما، قال: لقد رأيت زيد بن عمرو بن نفيل شيخا كبيرا مسندا ظهره إلى الكعبة، وهو يقول: يا معشر قريش، والذى نفس زيد بن عمرو بيده: ما أصبح منكم أحد على دين إبراهيم غيرى، ثم يقول: اللهم لو أنى أعلم أى الوجوه أحب إليك عبدتك به، ولكنى لا أعلمه، ثم يسجد على راحته[1].

قال ابن إسحاق: وحدثت أن ابنه سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وعمر ابن الخطاب وهو ابن عمه، قالا لرسول الله ﷺ: أنستغفر لزيد بن عمرو؟ قال: نعم، فإنه يبعث أمة وحده[2].

شعر زيد فى فراق الوثنية: وقال زيد بن عمرو بن نفيل فى فراق دين قومه، وما

(١) إسناده صحيح ورواه البخارى تعليقاً (٧/ ١٤٣) كتاب مناقب الأنصار، باب: حديث زيد بن عمرو بن نفيل.

(٢) إسناده ضعيف للجهالة. وروى عثمان بن أبى شيبة عن جابر قال: سئل رسول الله ﷺ عن زيد بن عمرو بن نفيل أنه كان يستقبل القبلة فى الجاهلية ويقول: إلهى إله إبراهيم ودينى دين إبراهيم ويسجد فقال رسول الله ﷺ: «**يحشر ذاك أمة وحده بينى وبين عيسى ابن مريم**». قال ابن كثير: إسناده جيد حسن «البداية والنهاية» (٢/ ٢٤١).

كان لقى منهم فى ذلك:

أربّـا واحـدا، أم ألـف رب ... أدين إذا تُقسِّمت الأمـور
عزلت اللات والعـزى جـميعا ... كـذلك يفعل الجـلد الصبور
فَلا العـزى أديـن ولا ابنتيـها ... ولا صنمى بنـى عمـرو أزور
ولا هـبلا أدين، وكـان ربـا ... لنا فى الدهر إذ حـلمى يسير
عجبت وفـى الليالى معجبات ... وفـى الأيـام يعرفها البصير
بأن الله قـد أفنـى رجالا ... كثيرا كـان شأنهـم الفجور
وأبقى آخـرين ببـر قـوم ... فيربل منهـم الطفل الصغير[1]
وبينا المرء يعـثر ثـاب يوما ... كمـا يتروح الغـصن المطير[2]
ولكن أعـبد الرحـمن ربـى ... ليغـفر ذنبـى الـرب الغفور
فتقوى الله ربكـم احفظوها ... متى مـا تحـفظوها لا تبـوروا[3]
ترى الأبـرار دارهـم جنان ... وللكـفار حـامية سـعير
وخزى فى الحياة وإن يموتوا ... يـلاقـوا مـا تضيق به الصدور

وقال زيد بن عمرو بن نفيل أيضا ـ قال ابن هشام: هى لأمية بن أبى الصلت فى قصيدة له إلا البيتين الأولين والبيت الخامس وآخرها بيتا. وعجز البيت الأول عن غير ابن إسحاق:

إلى الله أهدى مدحتى وثنائيا ... وقولا رصينا لا ينى الدهر باقيا[4]
إلى الملك الأعلى الذى ليس فوقه ... إله ولا رب يكون مدانيا
ألا أيها الإنسان إياك والردى ... فإنك لا تخفى من الله خافيا
وإياك لا تجعل مع الله غيره ... فإن سبيل الرشد أصبح باديا
حنانيك إن الجن كانت رجاءهم ... وأنـت إلهـى ربنـا ورجـائيا[5]
رضيت بك ـ اللهم ـ ربا فلن أرى ... أدين إلها غـيرك الله ثانيـا[6]
وأنت الذى من فضل من ورحمة ... بعثت إلى موسـى رسـولا مناديا
فقلت له يا اذهب وهارون فادعوا ... إلى الله فرعون الذى كان طاغيا
وقولا له: آأنت سويـت هذه ... بلا وتد، حـتى اطمأنت كما هيا

---

(١) ربل الطفل يربل إذا شب وكبر. (٢) يتروح الغصن: يهتز ويخضر.
(٣) لاتبوروا: أى لا تهلكوا. (٤) القول الرصين: الثابت المحكم. ولاينى: أى لايفتر ولا يضعف.
(٥) حنانيك: مثنى حنان، وأريد بتثنيته تكرير معناه، والمراد حناناً بعد حنان. والحنان: العطف والرحمة.
(٦) أدين إلهاً: أى أعبد إلهاً.

وقــولا لــه: آأنت رفعــت هذه
بلا عمد، أرفق - إذا - بك بانيا[1]

وقــولا لــه: آأنت سويت وسطها
منيرا، إذ ما جنه الليل هاديا

وقولا له: من يرسل الشمس غدوة
فيصبح مامست من الأرض ضاحيا[2]

وقولا له: من ينبت الحب فى الثرى
فيصبح منه البقل يهتز رابيا[3]

ويخرج منه حبه فى رءوسه
وفى ذاك آيات لمن كان واعيا

وأنت بفضل منك نجيت يونسا
وقد بات فى أضعاف حوت لياليا

وإنى ولو سبحت باسمك ربنا
لأكثر - إلا ما غفرت - خطائيا

فرب العباد ألق سيبا ورحـــمة
على، وبـارك فى بنـــى وماليا[4]

وقال زيد بن عمرو يعاتب امرأته صفية بنت الحضرمى -

نسب الحضرمى: قال ابن هشام: واسم الحضرمى: عبد الله بن عباد أحد الصدف، واسم الصدف: عمرو بن مالك أحد السكون بن أشرس بن كندى، ويقال: كندة بن ثور بن مرتع بن عفير بن عدى ابن الحارث بن مرة بن أدد ابن زيد بن مهسع بن عمرو بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ، ويقال: مرتع بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ.

زيد يعاتب زوجته لمنعها له عن البحث فى الحنيفية: قال ابن إسحاق: وكان زيد بن عمرو قد أجمع الخروج من مكة، ليضرب فى الأرض يطلب الحنيفية دين إبراهيم ﷺ فكانت صفية بنت الحضرمى كلما رأته قد تهيأ للخروج، وأراده، آذنت به الخطاب بن نفيل، وكان الخطاب بن نفيل عمه وأخاه لأمه، وكان يعاتبه على فراق دين قومه، وكان الخطاب قد وكل صفية به. وقال: إذا رأيتيه قد هم بأمر فآذنينى به - فقال زيد:

لا تحـبسينى فـــى الهـــوا
ن صَفّى مـــا دابـــى ودابه[5]

إنـــــى إذا خـــفت الهـــوا
ن مشيـــع ذلـــل ركـــابه[6]

دعمـــوص أبـــواب الملـــو
ك وجـائب للخـــرق نابـــه[7]

---

(١) أرفق إذاً بك بانياً: هذا على على التعجب، أى ما أرفقك بانياً.
(٢) ضاحياً: بارزاً للشمس.
(٣) رابياً: ظاهراً على وجه الأرض.
(٤) السيب: العطاء والرحمة.
(٥) صفى: أصله ياصفية، فحذف حرف النداء ورخم. والدأب: العادة وسهل همزته لضرورة الشعر.
(٦) المشيع: الجرئ الشجاع. والذلل جمع ذلول وهو السهل.
(٧) الدعموص فى الأصل: دويبة تغوص فى الماء مرة بعد مرة، يشبه بها الرجل إذا كان يكثر الدخول فى الأمور. وجائب: قاطع، تقول جاب الأرض يجوبها إذا قطعها، والخرق: الفلاة الواسعة.

قطـــاع أســـباب تـــذل بغيـــر أقـــران صعـــابه[١]
وإنمـــا أخـــذ الهـــوا ن العـــير إذ يوهـــى إهابـــه[٢]
ويقـــول: إنـــى لا أذل بصـــك جـــنبيه صـــلابه[٣]
وأخـــى ابن أمـــى ثم عمـــى لا يواتينـــى خـــطابه[٤]
وإذا يعـــاتبنـــى بســـو ء قلت: أعيانـــى جـــوابه
ولـــو أشـــاء لقلـــت مـــا عـــندى مفاتحه وبـابه

قول زيد حين يستقبل الكعبة: قال ابن إسحاق: وحدثت عن بعض أهل زيد بن عمرو بن نفيل أن: أن زيدا كان إذا استقبل الكعبة داخل المسجد، قال: لبيك حقا حقا، تعبدا ورقا.

عذت بمـــا عـــاذ به إبراهيـــم مستقـبل القبلـــة، وهـــو قائـــم

إذ قال:

أنفـــى لك اللهم عـــان راغـــم مهما تُجشِّمنى فإنـــى جـــاشـم
البر أبغى لا الخـــال، ليس مهجـــر كمن قال[٥]

قال ابن هشام: ويقال: البر أبقى لا الخال، ليس مهجِّر كمن قال. قال وقوله: «مستقبل الكعبة» عن بعض أهل العلم.

قال ابن إسحاق: وقال زيد بن عمرو بن نفيل:

وأسلمت وجهى لمن أسلمت له الأرض تحمل صخرا ثقالا
دحاها فلما رآها استوت على الماء، أرسى عليها الجبالا[٦]
وأسلمت وجهى لمن أسلمت له المزن تحمل عذبا زلالا[٧]
إذا هى سيقت إلى بلدة أطاعت، فصبت عليها سجالا[٨]

---

(١) الأقران: جمع قرن وهو الجبل. (٢) يوهى: يشق، والإهاب: الجلد.
(٣) إنى لا أذل: أى يقول العير ذلك، بصك جنبيه صلابة: أى صلاب مايوضع عليه، وأضافها إلى العير لأنها عبؤه وحمله.
(٤) لا يواتينى: أى لايوافقنى.
(٥) الخال: الخيلاء والكبر، والمهجر الذى يسير فى الهاجرة وهى منتصف النهار حين يشتد الحر، وقال: من القيلولة وهى النوم فى ذلك الوقت.
(٦) دحاها: بسطها. (٧) المزن: السحاب.
(٨) السجال: جمع سجل وهو الدلو المملوءة بالماء، استعارها للمطر الكثير.

الخطاب يؤذى زيدا ويحاصره: وكان الخطاب قد آذى زيدا، حتى أخرجه إلى أعلى مكة، فنزل حراء مقابل مكة، ووكل به الخطاب شبابا من شباب قريش وسفهاء من سفهائهم، فقال لهم: لا تتركوه يدخل مكة، فكان لا يدخلها إلا سرا منهم، فإذا علموا بذلك، آذنوا به الخطاب، فأخرجوه، وآذوه كراهية أن يفسد عليهم دينهم، وأن يتابعه أحد منهم على فراقه. فقال ـ وهو يعظم حرمته على من استحل منه ما استحل من قومه:

لا هـــم إنـى محـــرم لا حـــلة ... وإن بيتـــــى أوســـط المحـــلة[1]

عند الصفا ليس بذى مضلة

زيد يرحل إلى الشام وموته: ثم خرج يطلب دين إبراهيم عليه السلام، ويسأل الرهبان والأحبار، حتى بلغ الموصل والجزيرة كلها، ثم أقبل فجال الشام كله، حتى انتهى إلى راهب بميفعة[2] من أرض البلقاء[3]، كان ينتهى إليه علم أهل النصرانية فيما يزعمون، فسأله عن الحنيفية دين إبراهيم، فقال: إنك لتطلب دينا ما أنت بواجد من يحملك عليه اليوم، ولكن قد أظل زمان نبى يخرج من بلادك التى خرجت منها، يبعث بدين إبراهيم الحنيفية، فالحق بها، فإنه مبعوث الآن، هذا زمانه، وقد كان شامّ اليهودية والنصرانية، فلم يرض شيئا منهما، فخرج سريعا، حين قال له ذلك الراهب ما قال، يريد مكة، حتى إذا توسط بلاد لخم، عدوا عليه فقتلوه.

ورقة يرثى زيدا: فقال ورقة بن نوفل بن أسد يبكيه:

رشدت، وأنعمت ابن عمرو، وإنما ... تجنبت تنورا من النار حاميا[4]

بدينك ربا ليس رب كمثله ... وتركك أوثان الطواغى كما هيا[5]

وإدراكك الدين الذى قد طلبته ... ولم تك عن توحيد ربك ساهيا

فأصبحت فى دار كريم مقامها ... تعلل فيها بالكرامـــــــــة لاهيا

تلاقى خليل الله فيها، ولم تكن ... من الناس جبارا إلى النار هاويا

وقد تدرك الإنسان رحمة ربه ... ولو كان تحت الأرض سبعين واديا

---

(١) محرم: أى ساكن الحرم، ولاحله: أراد ساكن الحل والحل ماخرج عن دائرة الحرم.

(٢) الميفعة: اسم موضع وهو مأخوذ من اليفاع وهو المرتفع من الأرض.

(٣) البلقاء: كورة من أعمال دمشق قصبتها عمان وفيها قرى كثيرة ومزارع واسعة قاله ياقوت.

(٤) رشدت وأنعمت ابن عمرو: أى رشدت وبالغت فى الرشد.

(٥) الطواغى: جمع طاغية وهو هنا ماعبد من دون الله.

قال ابن هشام: يروى لأمية بن أبى الصلت البيتان الأولان منها، وآخرها بيتا فى قصيدة له. وقوله: «أوثان الطواغى» من غير ابن إسحاق.

****

صفة رسول الله ﷺ من الإنجيل

يحنس الحوارى يثبت بعثة الرسول (ﷺ) من الإنجيل: قال ابن إسحاق: وقد كان - فيما بلغنى عما كان وضع عيسى ابن مريم فيما جاءه من الله فى الإنجيل لأهل الإنجيل - من صفة رسول الله ﷺ مما أثبت يُحنّس الحوارى لهم، حين نسخ لهم الإنجيل عن عهد عيسى ابن مريم عليه السلام فى رسول الله ﷺ إليهم أنه قال: من أبغضنى فقد أبغض الرب، ولولا أنى صنعت بحضرتهم صنائع لم يصنعها أحد قبلى، ما كانت لهم خطيئة، ولكن من الآن بطروا وظنوا أنهم يعزوننى[1]، وأيضا للرب، ولكن لابد من أن تتم الكلمة التى فى الناموس: أنهم أبغضونى مجانا[2]، أى: باطلا. فلو قد جاء المنحمنّا هذا الذى يرسله الله إليكم من عند الرب، وروح القدس هذا الذى من عند الرب خرج، فهو شهيد علىّ وأنتم أيضا؛ لأنكم قديما كنتم معى فى هذا، قلت لكم: لكيما لا تشكوا.

والمنحمنا بالسريانية: محمد: وهى بالرومية: البرقليطس، صلى الله عليه وآله وسلم.

****

مبعث النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما

أخذ الله الميثاق على الرسل بالايمان به (ﷺ): قال: حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام، قال: حدثنا زياد بن عبد الله البكائى عن محمد بن إسحاق المطلبى قال: فلما بلغ محمد رسول الله ﷺ أربعين سنة بعثه الله تعالى رحمة للعالمين، وكافة للناس بشيرا، وكان الله تبارك وتعالى قد أخذ الميثاق على كل نبى بعثه قبله بالإيمان به، والتصديق له، والنصر له على من خالفه، وأخذ عليهم أن يؤدوا ذلك إلى كل من آمن بهم وصدقهم، فأدّوا من ذلك ما كان عليهم من الحق فيه. يقول الله تعالى

---

(١) يعزوننى: أى يغلبوننى..

(٢) مجانًا: أى باطلاً.

لمحمد ﷺ: ﴿وإذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى﴾: أى ثقل ما حملتكم من عهدى: ﴿قالوا أقررنا، قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين﴾[1] فأخذ الله ميثاق النبيين جميعا بالتصديق له، والنصر له ممن خالفه، وأدوا ذلك إلى من آمن بهم، وصدقهم من أهل هذين الكتابين.

الرؤية الصادقة أول ما بدئ به رسول الله (ﷺ) قال ابن إسحاق: فذكر الزهرى عن عروة بن الزبير، عن عائشة رضى الله عنها أنها حدثته: أن أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من النبوة، حين أراد الله كرامته ورحمة العباد به: الرؤيا الصادقة، لا يرى رسول الله ﷺ رؤيا فى نومه إلا جاءت كفلق الصبح قالت: وحبب الله تعالى إليه الخلوة، فلم يكن شىء أحب إليه من أن يخلو وحده[2].

سلام الحجر والشجر عليه (ص): قال ابن إسحاق: وحدثنى عبد الملك بن عبيد الله بن أبى سفيان بن العلاء بن جارية الثقفى، وكان واعية، عن بعض أهل العلم: أن رسول الله ﷺ حين أراده الله بكرامته، وابتدأه بالنبوة، كان إذا خرج لحاجته أبعد تحسر عنه البيوت، ويفضى إلى شعاب مكة وبطون أوديتها، فلا يمر رسول الله ﷺ بحجر ولا شجر، إلا قال: السلام عليك يا رسول الله. قال: فيلتفت رسول الله ﷺ حوله، وعن يمينه وشماله وخلفه، فلا يرى إلا الشجر والحجارة. فمكث رسول الله ﷺ كذلك يرى ويسمع، ما شاء الله أن يمكث، ثم جاءه جبريل عليه السلام بما جاءه من كرامة الله، وهو بحراء فى شهر رمضان[3].

نزول جبريل عليه(ﷺ): قال ابن إسحاق: وحدثنى وهب بن كيسان، مولى آل الزبير. قال: سمعت عبد الله بن الزبير وهو يقول لعبيد بن عمير ابن قتادة الليثى. حدثنا يا عبيد، كيف كان بدء ما ابتدئ به رسول الله ﷺ من النبوة، حين جاءه جبريل عليه السلام؟ قال: فقال عبيد ـ وأنا حاضر يحدث عبد الله بن الزبير، ومن عنده من الناس: كان رسول الله ﷺ يجاور فى حراء من كل سنة شهرا، وكان ذلك مما تحنث به قريش فى الجاهلية. والتحنث: التبرر[4].

قال ابن إسحاق: وقال أبو طالب:

(١) آل عمران: ٨١. (٢) رواه البخارى(١/ ٢٢) كتاب بدء الوحى. (٣) فى إسناده جهالة.
(٤) إسناده صحيح، عبيد بن عمير الليثى ولد على عهد النبى ﷺ وحديثه هذا من مراسيل الصحابة وهى صحيحة. والحديث رواه الطبرى فى «تاريخه»(٢/ ٣٠٠).

وثــور ومــن أرســى ثبيرا مكانــه　　وراق ليرقــى فــى حــراء ونــازل

التحنث والتحنف: قال ابن هشام: تقول العرب: التحنث والتحنف، يريدون الحنيفية فيبدلون الفاء من الثاء، كما قالوا: جدف وجدث. يريدون: القبر. قال رؤبة بن العجاج:

لو كان أحجارى مع الأجداف

يريد: الأجداث: وهذا البيت فى أرجوزة له. وبيت أبى طالب فى قصيدة له، سأذكرها إن شاء الله فى موضعها.

قال ابن هشام: وحدثنى أبو عبيدة أن العرب تقول: فم، فى موضع: ثم يبدلون الفاء من الثاء.

قال ابن إسحاق: حدثنى وهب بن كيسان قال: قال عبيد: فكان رسول الله ﷺ يجاور ذلك الشهر من كل سنة، يطعم من جاءه من المساكين، فإذا قضى رسول الله ﷺ جواره، من شهره ذلك، كان أول ما يبدأ به - إذا انصرف من جواره - الكعبة، قبل أن يدخل بيته، فيطوف بها سبعا، أو ماشاء الله من ذلك، ثم يرجع إلى بيته.

حتى إذا كان الشهر الذى أراد الله تعالى به فيه ما أراد من كرامته، من السنة التى بعثه الله تعالى فيها، وذلك الشهر: شهر رمضان، خرج رسول الله ﷺ إلى حراء، كما كان يخرج لجواره ومعه أهله، حتى إذا كانت الليلة التى أكرمه الله فيها برسالته ورحم العباد بها، جاءه جبريل - عليه السلام - بأمر الله تعالى.

قال رسول الله ﷺ: «**فجاءنى جبريل، وأنا نائم، بنمط من ديباج فيه كتاب، فقال: اقرأ، قال: قلت: ما أقرأ؟ قال فغتنى به، حتى ظننت أنه الموت، ثم أرسلنى، فقال: اقرأ، قال: قلت: ما أقرأ؟ قال: فغتنى به، حتى ظننت أنه الموت، ثم أرسلنى، فقال: اقرأ، قال: قلت: ماذا أقرأ؟ قال: فغتنى به، حتى ظننت أنه الموت، ثم أرسلنى، فقال: اقرأ، قال: فقلت: ماذا أقرأ؟ ما أقول ذلك إلا افتداء منه أن يعود لى بمثل ما صنع بى، فقال: ﴿اقرأ باسم ربك الذى خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذى علم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم﴾**[1]. قال: فقرأتها، ثم انتهى، فانصرف عنى، وهببت من نومى، فكأنما كتبت فى قلبى كتابا: قال: فخرجت حتى إذا كنت فى وسط من الجبل سمعت صوتا من السماء يقول: يا محمد أنت رسول

(١) العلق: ١ -٥.

الله، وأنا جبريل، قال: فرفعت رأسى إلى السماء أنظر، فإذا جبريل فى صورة رجل صاف قدميه فى أفق السماء يقول: يا محمد، أنت رسول الله وأنا جبريل. قال: فوقفت أنظر إليه فما أتقدم وما أتأخر، وجعلت أصرف وجهى عنه فى آفاق السماء، قال: فلا أنظر فى ناحية منها إلا رأيته كذلك، فما زلت واقفا ما أتقدم أمامى، وما أرجع ورائى، حتى بعثت خديجة رسلها فى طلبى، فبلغوا أعلى مكة، ورجعوا إليها، وأنا واقف فى مكانى ذلك، ثم انصرف عنى.

الرسول(ﷺ) يخبر خديجة رضى الله عنها بنزول جبريل عليه: «وانصرفت راجعا إلى أهلى، حتى أتيت خديجة، فجلست إلى فخذها مضيفا إليها» فقالت: يا أبا القاسم، أين كنت؟ فوالله لقد بعثت رسلى فى طلبك، حتى بلغوا مكة ورجعوا لى، «**ثم حدثتها بالذى رأيت**»، فقالت أبشر يا ابن عم واثبت فوالذى نفس خديجة بيده إنى لأرجو أن تكون نبى هذه الأمة.

خديجة رضى الله عنها تخبر ورقة بن نوفل: ثم قامت فجمعت عليها ثيابها، ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصى، وهو ابن عمها، وكان ورقة قد تنصر، وقرأ الكتب، وسمع من أهل التوراة والإنجيل، فأخبرته بما أخبرها به رسول الله ﷺ أنه رأى وسمع، فقال ورقة بن نوفل: قدوس قدوس، والذى نفس ورقة بيده، لئن كنت صدقتينى يا خديجة لقد جاءه الناموس الأكبر الذى كان يأتى موسى، وإنه لنبى هذه الأمة، فقولى له: فليثبت.

فرجعت خديجة إلى رسول الله ﷺ، فأخبرته بقول ورقة بن نوفل، فلما قضى رسول الله ﷺ جواره وانصرف، صنع كما كان يصنع: بدأ بالكعبة، فطاف بها، فلقيه ورقة بن نوفل، وهو يطوف بالكعبة، فقال: يا ابن أخى أخبرنى بما رأيت وسمعت، فأخبره رسول الله ﷺ، فقال له ورقة: والذى نفسى بيده، إنك لنبى هذه الأمة، ولقد جاءك الناموس الأكبر الذى جاء موسى، ولتكذبنه، ولتؤذينه، ولتخرجنه، ولتقاتلنه، ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لأنصرن الله نصرا يعلمه، ثم أدنى رأسه منه، فقبل يا فوخه، ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى منزله[1].

تثبت خديجة رضى الله عنها من الوحى: قال ابن إسحاق: وحدثنى إسماعيل بن أبى حكيم مولى آل الزبير: أنه حدث عن خديجة رضى الله عنها أنها قالت لرسول الله ﷺ أى ابن عم، أتستطيع أن تخبرنى بصاحبك هذا الذى يأتيك إذا جاءك؟ قال:

(١) إسناد صحيح.

«**نعم**»، قالت: فإذا جاءك فأخبرنى به. فجاءه جبريل عليه السلام، كما كان يصنع، فقال رسول الله ﷺ لخديجة: «**يا خديجة، هذا جبريل قد جاءنى**» قالت: قم يا ابن عم فاجلس على فخذى اليسرى، قال: فقام رسول الله ﷺ فجلس عليها، قالت: هل تراه؟ قال: «**نعم**»، قالت: فتحول، فاجلس على فخذى اليمنى، قالت: فتحول رسول الله ﷺ فجلس على فخذها اليمنى، فقالت: هل تراه؟ قال: «**نعم**»، قالت: فتحول فاجلس فى حجرى، قالت: فتحول رسول الله ﷺ فجلس فى حجرها، قالت: هل تراه؟ قال: «**نعم**»: قال: فتحسرت وألقت خمارها ورسول الله ﷺ جالس فى حجرها ثم قالت له: هل تراه؟ قال: «**لا**» قالت يا ابن عم، اثبت وأبشر، فوالله إنه لملك وما هذا بشيطان[1].

قال ابن إسحاق: ولقد حدثت عبد الله بن حسن هذا الحديث، فقال: قد سمعت أمى فاطمة بنت حسين تحدث بهذا الحديث عن خديجة، إلا أنى سمعتها تقول: أدخلت رسول الله ﷺ بينها وبين درعها، فذهب عند ذلك جبريل، فقالت لرسول الله ـ ﷺ: إن هذا لملك، وماهو بشيطان.

****

ابتداء تنزيل القرآن

متى نزل القرآن: قال ابن إسحاق: فابتدئ رسول الله ﷺ بالتنزيل فى شهر رمضان، بقول الله عز وجل: ﴿**شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان**﴾[2] وقال الله تعالى: ﴿**إنا أنزلناه فى ليلة القدر. وما أدراك ما ليلة القدر. ليلة القدر خير من ألف شهر. تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر. سلام هى حتى مطلع الفجر**﴾[3]. وقال الله تعالى: ﴿**حم. والكتاب المبين. إنا أنزلناه فى ليلة مباركة إنا كنا منذرين. فيها يفرق كل أمر حكيم. أمرا من عندنا إنا كنا مرسلين**﴾[4]. وقال تعالى: ﴿**إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان**﴾[5]. وذلك ملتقى رسول الله ﷺ والمشركين ببدر.

تاريخ وقعة بدر: قال ابن إسحاق: وحدثنى أبو جعفر محمد بن على بن

---

(١) إسناده ضعيف، إسماعيل بن أبى حكيم لم يدرك خديجة رضى الله عنها. وفاطمة بنت الحسين أيضًا لم تدرك خديجة رضى الله عنها.

(٢) البقرة: ١٨٥.

(٣) القدر: ١ ـ٥.

(٤) الدخان: ١ ـ ٥

(٥) الأنفال: ٤١.

حسين: أن رسول الله ﷺ، التقى هو والمشركون ببدر يوم الجمعة، صبيحة سبع عشرة من رمضان[1].

قال ابن إسحاق: ثم تنامّ الوحى إلى رسول الله ﷺ وهو مؤمن بالله مصدق بما جاءه منه، قد قبله بقبوله، وتحمل منه ما حُمّله على رضا العباد وسخطهم، والنبوة أثقال ومؤنة، لا يحملها، ولا يستطيع بها إلا أهل القوة والعزم من الرسل بعون الله تعالى وتوفيقه، لما يلقون من الناس، وما يرد عليهم مما جاءوا به عن الله سبحانه وتعالى.

قال: فمضى رسول الله ﷺ على أمر الله، على ما يلقى من قومه من الخلاف والأذى.

إسلام خديجة بنت خويلد

وقوفها بجانبه (ﷺ): وآمنت به خديجة بنت خويلد، وصدقت بما جاءه من الله ووازرته على أمره، وكانت أول من آمن بالله وبرسوله، وصدق بما جاء منه، فخفف الله بذلك على نبيه ﷺ لا يسمع شيئا مما يكرهه من رد عليه وتكذيب له، فيحزنه ذلك، إلا فرج الله عنها بها إذا رجع إليها، تثبته وتخفف عليه، وتصدقه وتهون عليه أمر الناس، رحمها الله تعالى.

تبشير خديجة ببيت من قصب: قال ابن إسحاق: وحدثنى هشام بن عروة، عن أبيه عروة بن الزبير، عن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**أمرت أن أبشر خديجة ببيت من قصب، لا صخب فيه ولا نصب**»[2].

قال ابن هشام: القصب: اللؤلؤ المجوف.

جبريل يقرئ خديجة السلام من ربها: قال ابن هشام: وحدثنى من أثق به، أن جبريل عليه السلام أتى رسول الله ﷺ؛ فقال: اقرئ خديجة السلام من ربها؛ فقال رسول الله ﷺ: «**يا خديجة، هذا جبريل يقرئك السلام من ربك**» فقالت خديجة: الله السلام، ومنه السلام، وعلى جبريل السلام[3].

(١) إسناده مرسل وهذا التاريخ هو المشهور عند أغلب أهل السير.
(٢) إسناده صحيح. ورواه البخارى(٧/ ١٣٣) ومسلم(٦١٥٧) من حديث أبى هريرة وعبد الله بن أبى أوفى.
(٣) إسناده فيه جهالة. وروى البخارى(٧/ ١٣٣) ومسلم(٦١٥٦) عن أبى هريرة قال: أتى جبريل النبى ﷺ فقال: «يارسول الله هذه خديجة قد أتتك معها إناء فيه إدام أو طعام وشراب فإذا هى أتتك فاقرأ عليها الإسلام من ربها عز وجل ومنى وبشرها ببيت فى الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب».

فترة الوحى ونزول سورة الضحى: قال ابن إسحاق: ثم فتر الوحى عن رسول الله ﷺ فترة من ذلك، حتى شق ذلك عليه فأحزنه، فجاءه جبريل بسورة الضحى، يقسم له ربه، وهو الذى أكرمه بما أكرمه به، ما ودعه وما قلاه، فقال تعالى: ﴿**والضحى والليل إذا سجى. ما ودعك ربك وما قلى**﴾. يقول: ما صرمك فتركك، وما أبغضك منذ أحبك. ﴿**وللآخرة خير لك من الأولى**﴾: أى لما عندى من مرجعك إلى، خير لك مما عجلت لك من الكرامة فى الدنيا. ﴿**ولسوف يعطيك ربك فترضى**﴾ من الفُلح فى الدنيا، والثواب فى الآخرة. ﴿**ألم يجدك يتيما فآوى. ووجدك ضالا فهدى. ووجدك عائلا فأغنى**﴾[1] يعرفه الله ما ابتدأه به من كرامته فى عاجل أمره، ومنّه عليه فى يتمه وعيله وضلالته، واستنقاذه من ذلك كله برحمته.

تفسير مفردات سورة الضحى: قال ابن هشام: سجى سكن. قال أمية بن أبى الصلت الثقفى:

إذ أتى موهنا وقد نام صحبى وسجا الليل بالظلام البهيم[2]

وهذا البيت فى قصيدة له، ويقال للعين إذا سكن طرفها: ساجية، وسجا طرفها.

قال جرير:

ولقد رمينك حين رحن بأعين يقتلن من خلل الستور سواجى[3]

وهذا البيت فى قصيدة له. والعائل: الفقير. قال أبو خراش الهذلى:

إلى بيته يأوى الضريك إذا شتا ومستنبح بالى الدريسين عائل[4]

وجمعه: عالة وعيل. وهذا البيت فى قصيدة له سأذكرها فى موضعها إن شاء الله: والعائل أيضا: الذى يعول العيال. والعائل أيضا: الخائف. وفى كتاب الله تعالى: ﴿**ذلك أدنى ألا تعولوا**﴾. وقال أبو طالب:

بميزان قسط لا يخس شعيرة له شاهد من نفسه غير عائل

وهذا البيت فى قصيدة له سأذكرها إن شاء الله فى موضعها. والعائل أيضا: الشىء المثقل المعيى. يقول الرجل: قد عالنى هذا الأمر: أى أثقلنى وأعيانى. قال الفرزدق:

---

(١) الضحى: ١ ـ ٨. (٢) الموهن: ساعة من الليل. وسجا: دام وسكن. والهيم: شديد السواد.

(٣) خلل الستور: الشق الذى يكون بينهما، يعنى ستور الهوادج.

(٤) الضريك: أى الفقير وإذا شتا: أى أجدب فى الشتاء، والمستنبح: الذى يضل الطريق فينبح فتجاوبه الكلاب فيعرف مكان العمران والدريس: الثوب الخلق. وثناه لأنه أراد إزاره ورداءه وهى أقل مايكون للرجل من اللباس.

ترى الغر الجحاجح من قريش إذا ما الأمر في الحدثان عالا[1]

وهذا البيت في قصيدة له.

﴿**فأما اليتيم فلا تقهر. وأما السائل فلا تنهر**﴾: أي لا تكن جبارا ولا متكبرا، ولا فحاشا فظا على الضعفاء من عباد الله. ﴿**وأما بنعمة ربك فحدث**﴾[2] : أي بما جاءك من الله من نعمته وكرامته من النبوة فحدث، أي اذكرها وادع إليها، فجعل رسول الله ﷺ يذكر ما أنعم الله به عليه وعلى العباد به من النبوة سرا إلى من يطمئن إليه من أهله.

****

ابتداء ما افترض الله سبحانه وتعالى على النبي ﷺ من الصلاة وأوقاتها

وافترضت الصلاة عليه فصلى رسول الله ﷺ وآله، والسلام عليه وعليهم ورحمة الله وبركاته.

افترضت الصلاة ركعتين ثم زيدت: قال ابن إسحاق: وحدثني صالح بن كيسان عن عروة بن الزبير، عن عائشة رضي الله عنها قالت: افترضت الصلاة على رسول الله ﷺ أول ما افترضت عليه ركعتين ركعتين، كل صلاة؛ ثم إن الله تعالى أتمها في الحضر أربعا وأقرها في السفر على فرضها الأول ركعتين[3].

جبريل يعلم الرسول (ﷺ) الوضوء والصلاة: قال ابن إسحاق: وحدثني بعض أهل العلم: أن الصلاة حين افترضت على رسول الله ﷺ، أتاه جبريل وهو بأعلى مكة، فهمز له بعقبه في ناحية الوادي، فانفجرت منه عين، فتوضأ جبريل عليه السلام، ورسول الله ﷺ ينظر إليه، ليريه كيف الطهور للصلاة، ثم توضأ رسول الله ﷺ كما رأى جبريل توضأ، ثم قام به جبريل فصلى به، وصلى رسول الله ﷺ بصلاته، ثم انصرف جبريل عليه السلام.

الرسول (ﷺ) يعلم خديجة الوضوء والصلاة: فجاء رسول الله ﷺ خديجة،

---

(١) الغر: المشهورون: والجحاجح: السادة وأصلها الجحاجيح فحذف الياء لإقامة وزن الشعر. والحدثان: حوادث: حوادث الدهر.

(٢) الضحى: ٩ - ١١.

(٣) إسناده صحيح. ورواه البخاري (١/ ٤٦٤) ومسلم (١٥٤٢) وأبو داود (١١٩٨) والنسائي (١/ ٢٢٥).

فتوضأ لها ليريها كيف الطهور للصلاة كما أراه جبريل، فتوضأت كما توضأ لها رسول الله عليه الصلاة والسلام، ثم صلى بها رسول الله عليه الصلاة والسلام كما صلى به جبريل فصلت بصلاته[1].

جبريل يعين للرسول (ﷺ) أوقات الصلاة: قال ابن إسحاق: وحدثنى عتبة بن مسلم مولى بنى تميم، عن نافع بن جبير بن مطعم، وكان نافع كثير الرواية، عن ابن عباس قال: لما افترضت الصلاة على رسول الله ﷺ أتاه جبريل عليه السلام، فصلى به الظهر حين مالت الشمس، ثم صلى به العصر حين كان ظله مثله، ثم صلى به المغرب حين غابت الشمس، ثم صلى به العشاء الآخرة حين ذهب الشفق، ثم صلى به الصبح حين طلع الفجر، ثم جاءه فصلى به الظهر من غد حين كان ظله مثله، ثم صلى به العصر حين كان ظله مثليه، ثم صلى به المغرب حين غابت الشمس لوقتها بالأمس، ثم صلى به العشاء الآخرة حين ذهب ثلث الليل الأول، ثم صلى به الصبح مسفرا غير مشرق، ثم قال: يا محمد، الصلاة فيما بين صلاتك اليوم وصلاتك بالأمس[2].

****

ذكر أن على بن أبى طالب رضى الله عنه أول ذكر أسلم

قال ابن اسحاق: ثم كان أول ذكر من الناس آمن برسول الله ﷺ، وصلى معه وصدق بما جاءه من الله تعالى: على بن أبى طالب بن عبدالمطلب ابن هاشم، رضوان الله وسلامه عليه، وهو يومئذ ابن عشر سنين.

نعمة الله على علىّ بنشأته فى كنف الرسول: وكان مما أنعم الله به على على بن أبى طالب رضى الله عنه، أنه كان فى حجر رسول الله ﷺ قبل الإسلام.

سبب هذه النشأة: قال ابن إسحاق: وحدثنى عبد الله بن أبى نجيح، عن مجاهد بن جبر بن أبى الحجاج، قال: كان من نعمة الله على على بن أبى طالب، ومما صنع الله له، وأراده به من الخير، أن قريشا أصابتهم أزمة شديدة، وكان أبو طالب ذا عيال

(١) إسناده ضعيف للجهالة التى فيه وقد روى هذا الحديث عن زيد بن حارثة يرفعه ولكن مداره على ابن لهيعة وهو ضعيف انظر «الروض الأنف» (١/ ٢٨٣ ـ ٢٨٤).

(٢) إسناده صحيح إلى ابن عباس وقال السهيلى: «هذا الحديث لم يكن ينبغى له أن يذكره فى هذا الموضع، لأن أهل الصحيح متفقون على أن هذه القصة كانت فى الغد من ليلة الإسراء، وذلك بعد مانبىء بخمسة أعوام وقد قيل إن الإسراء كان قبل الهجرة بعام ونصف، وقيل: بعام، فذكره ابن إسحاق فى بدء نزول الوحى، وأول أحوال الصلاة» أ هـ «الروض» (١/ ٢٨٤).

كثير؛ فقال رسول الله ﷺ للعباس عمه، وكان من أيسر بنى هاشم. «**يا عباس: إن أخاك أبا طالب كثير العيال، وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة، فانطلق بنا إليه، فلنخفف عنه من عياله: آخذ من بنيه رجلا، وتأخذ أنت رجلا، فنكلهما عنه**» فقال العباس: نعم. فانطلقا حتى أتيا أبا طلب، فقالا له: إنا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى يتكشف عن الناس ما هم فيه، فقال لهما أبو طالب: إن تركتما لى عقيلا فاصنعا ما شئتما ـ قال ابن هشام: ويقال: عقيلا وطالبا.

فأخذ رسول الله ﷺ عليا، فضمه إليه، وأخذ العباس جعفرا فضمه إليه، فلم يزل علىّ مع رسول الله ﷺ حتى بعثه الله تبارك وتعالى نبيا، فاتبعه علىّ رضى الله عنه، وآمن به وصدقه؛ ولم يزل جعفر عند العباس حتى أسلم واستغنى عنه.[1]

الرسول (ﷺ) وعلى يخرجان إلى الصلاة فى شعب مكة واكتشاف أبى طالب لهما:

قال ابن إسحاق: وذكر بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ كان إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكة، وخرج معه على بن أبى طالب مستخفيا من أبيه أبى طالب ومن جميع أعمامه وسائر قومه، فيصليان الصلوات فيها، فإذا أمسيا رجعا. فمكثا كذلك ما شاء الله أن يمكثا. ثم إن أبا طالب عثر عليهما يوما وهما يصليان، فقال لرسول الله ﷺ: يابن أخى! ما هذا الدين الذى أراك تدين به؟ قال: «**أى عم! هذا دين الله ودين ملائكته، ودين رسله، ودين أبينا إبراهيم**» ـ أو كما قال ﷺ ـ «**بعثنى الله به رسولا إلى العباد، وأنت أى عم، أحق من بذلت له النصيحة، ودعوته إلى الهدى، وأحق من أجابنى إليه وأعاننى عليه**» أو كما قال؛ فقال أبو طالب: أى ابن أخى! إنى لا أستطيع أن أفارق دين آبائى وما كانوا عليه، ولكن والله لا يخلص إليك بشىء تكرهه ما بقيت.

وذكروا أنه قال لعلى: أى بنى! ما هذا الدين الذى أنت عليه؟ فقال: يا أبت، آمنت بالله وبرسول الله، وصدقته بما جاء به وصليت معه لله واتبعته. فزعموا أنه قال له: أما إنه لم يدعك إلا إلى خير فالزمه.

****

إسلام زيد بن حارثة ثانيا

قال ابن إسحاق: ثم أسلم زيد بن حارثة بن شرحبيل بن كعب بن عبد العزى

(١) إسناده مرسل.

بن امرىء القيس الكلبى، مولى رسول الله ﷺ، وكان أول ذكر أسلم، وصلى بعد على بن أبى طالب

نسب زيد: قال ابن هشام: زيد بن حارثة بن شراحيل بن كعب بن عبد العزى ابن مرئ القيس بن عامر بن النعمان بن عامر بن عبد بن عوف بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة. وكان حكيم بن حزام بن خويلد قدم من الشام برقيق، فيهم زيد بن حارثة وصيف. فدخلت عليه عمته خديجة بنت خويلد وهى يومئذ عند رسول الله ﷺ، فقال لها: اختارى يا عمة أى هؤلاء الغلمان شئت فهو لك، فاختارت زيدا فأخذته، فرآه رسول الله ﷺ عندها، فاستوهبه منها، فوهبته له، فأعتقه رسول الله ﷺ وتبناه، وذلك قبل أن يوحى إليه.

شعر حارثة أبى زيد عندما فقده: وكان أبوه حارثة قد جزع عليه جزعا شديدا، وبكى عليه حين فقده، فقال:

بكيت على زيد ولم أدر ما فعل ... أحى فيرجى أم أتى دونه الأجل

فوالله ماأدرى وإنى لسائـــل ... أغالك بعدى السهل أم غالك الجبل[1]

ويا ليت شعرى هـل لك الدهر أوبة ... فحسبى من الدنيا رجوعك لى بجل[2]

تذكرنيـه الشمـس عنـد طلوعها ... وتعرض ذكراه إذا غربها أفل

وإن هبت الأرواح هيجـن ذكره ... فيا طول ما حزنى عليه وما وجل[3]

سأعمل نص العيس فى الأرض جاهدا ... ولا أسأم التطواف أو تسأم الإبل[4]

حـياتى أو تأتـى علـى منيتـى ... فكل امرئ فان وإن غره الأمل

ثم قدم عليه وهو عند رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: «**إن شئت فأقم عندى، وإن شئت فانطلق مع أبيك**» فقال: بل أقيم عندك. فلم يزل عند رسول الله ﷺ حتى بعثه الله فصدقه وأسلم، وصلى معه؛ فلما أنزل الله عز وجل: ﴿**ادعوهم لآبائهم**﴾.[5] قال: أنا زيد بن حارثة

****

(١) يقال: غال الشىء إذا أهلكه.

(٢) الأوبة: الرجوع، وبجل: كلمة بمعنى حسب ومعناهما جميعاً الاكتفاء بالشىء.

(٣) الأرواح: جمع ريح. والوجل: الخوف.

(٤) النص: السير السريع. والعيس: الإبل البيضاء الكرام.

(٥) الأحزاب: ٥.

إسلام أبى بكر الصديق رضى الله عنه وشأنه

نسبه: قال ابن إسحاق: ثم أسلم أبو بكر بن أبى قحافة، واسمه عتيق، واسم أبى قحافة عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب ابن لؤى بن غالب بن فهر.

اسمه ولقبه: قال ابن هشام: واسم أبى بكر: عبد الله، وعتيق: لقب لحسن وجهه وعتقه.

إسلامه: قال ابن إسحاق: فلما أسلم أبو بكر رضى الله عنه: أظهر إسلامه، ودعا إلى الله وإلى رسوله.

إيلاف قريش له ودعوته للإسلام: وكان أبو بكر رجلا مألفا لقومه، محببا سهلا وكان أنسب قريش لقريش، وأعلم قريش بها، وبما كان فيها من خير وشر؛ وكان رجلا تاجرا، ذا خلق، ومعروف، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر: لعله وتجارته وحسن مجالسته، فجعل يدعو إلى الله وإلى الإسلام من وثق به من قومه، ممن يغشاه ويجلس إليه.

****

ذكر من أسلم من الصحابة بدعوة أبى بكر رضى الله عنه

عثمان: قال فأسلم بدعائه - فيما بلغنى - عثمان بن عفان بن أبى العاص ابن أمية ابن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب ابن لؤى بن غالب.

الزبير: والزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب ابن مرة بن كعب بن لؤى.

عبد الرحمن بن عوف: وعبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن مرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى.

سعد بن أبى وقاص: وسعد بن أبى وقاص، واسم أبى وقاص مالك بن أهيب ابن عبد مناف بن زهرة بن مرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى.

طلحة: وطلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤى، فجاء بهم إلى رسول الله ﷺ حين استجابوا له فأسلموا

وصلوا. وكان رسول الله ﷺ يقول، فيما بلغني: ما دعوت أحدا إلى الإسلام إلا كانت فيه عنده كبوة، ونظر وتردد، إلا ما كان من أبي بكر بن أبي قحافة، ماعكم عنه حين ذكرته له، وما تردد فيه[1].

قال ابن هشام: قوله: «بدعائه» عن غير ابن إسحاق.

قال ابن هشام: قوله: عكم: تلبث. قال رؤبة بن العجاج:

وانصاع وثاب بها وما عكم

قال ابن إسحاق: فكان هؤلاء النفر الثمانية الذين سبقوا الناس بالإسلام فصلوا وصدقوا رسول الله ﷺ بما جاءه من الله.

إسلام أبي عبيدة: ثم أسلم أبو عبيدة بن الجراح، واسمه عامر بن عبدالله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر، .

اسلام أبي سلمة: وأبو سلمة، واسمه عبد الله بن عبد الأسد بن هلال ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى.

إسلام الأرقم: والأرقم بن أبي الأرقم. واسم أبي الأرقم عبد مناف بن أسد ـ وكان أسد يكنى أبا جندب ـ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة ابن مرة بن كعب بن لؤى.

إسلام عثمان بن مظعون وأخويه: وعثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى. وأخواه قدامة وعبد الله ابنا مظعون بن حبيب.

إسلام عبيدة بن الحارث: وعبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف بن قصى ابن كلاب ابن مرة بن كعب بن لؤى.

إسلام سعيد بن زيد وامرأته: وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى ابن عبد الله بن قرط بن رياح بن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤى؛ وامرأته فاطمة بنت الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن عبد الله بن قرط بن رياح بن رزاح بن عدى ابن كعب بن لؤى، أخت عمر بن الخطاب.

إسلام أسماء وعائشة ابنتي أبي بكر وخباب بن الأرت: وأسماء بنت أبي بكر.

---

(١) ذكر ابن كثير في «البداية» (٣/ ٢٧) إسناد ابن إسحاق لهذه الرواية وهو مرسل .

وعائشة بنت أبى بكر، وهى يومئذ صغيرة. وخباب بن الأرت، حليف بنى زهرة.

قال ابن هشام. خباب بن الأرت من بنى تميم، ويقال: هو من خزاعة.

إسلام عمير وابن مسعود وابن القارى: قال ابن إسحاق: وعمير بن أبى وقاص، أخو سعد بن أبى وقاص. وعبد الله بن مسعود بن الحارث بن شمخ ابن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل. ومسعود بن القارى، وهو مسعود بن ربيعة بن عمرو بن سعد بن عبد العزى ابن حمالة بن غالب بن مُحَلِّم بن عائذة بن سبيع بن الهون بن خزيمة من القارة.

قال ابن هشام: والقارة. لقب، ولهم يقال:

قد أنصف القارة من راماها

وكانوا قوما رماة

إسلام سليط وأخيه، وعياش وامرأته، وخنيس، وعامر: قال ابن إسحاق: وسليط ابن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى بن غالب بن فهر؛ وأخوه حاطب بن عمرو وعياش بن ربيعة ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى؛ وامرأته أسماء بنت سلامة بن مخربة التميمية. وخنيس بن حذافة بن عدى بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص ابن كعب بن لؤى. وعامر بن ربيعة، من عنز بن وائل، حليف آل الخطاب بن نفيل بن عبد العزى.

قال ابن هشام عنز بن وائل أخو بكر بن وائل، من ربيعة بن نزار.

إسلام ابنى جحش، وجعفر وامرأته، وحاطب وأخوته، ونسائهم، والسائب، والمطلب وامرأته : قال ابن إسحاق: وعبد الله بن جحش بن رئاب ابن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة. وأخوه أبو أحمد بن جحش، حليفا بنى أمية بن عبد شمس، وجعفر بن أبى طالب؛ وامرأته أسماء بنت عميس بن النعمان بن كعب بن مالك بن قحافة، من خثعم. وحاطب بن الحارث بن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافه بن جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى، وامرأته فاطمة بنت المجلل بن عبد الله بن أبى قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى بن غالب بن فهر وأخوه حطاب بن الحارث؛ وامرأته فكيهة بنت يسار. ومعمر بن الحارث بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح

ابن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى. والسائب بن عثمان بن مظعون بن حبيب ابن وهب. والمطلب بن أزهر بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى، وامرأته: رملة بنت أبى عوف بن صبيرة بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى.

إسلام نعيم: وا لنحام، اسمه نعيم عبد بن الله بن أسد، أخو بنى كعب ابن لؤى.

نسب نعيم: قال ابن هشام: هو نعيم بن عبد الله بن أسيد بن عبد عوف بن عبيد بن عويج بن عدى بن كعب بن لؤى، وإنما سمى النحام؛ لأن رسول الله ﷺ، قال: «**لقد سمعت نحمه فى الجنة**»[1].

قال ابن هشام نحمه: صوته. أو حسه.

إسلام عامر بن فهيرة: قال ابن اسحاق: وعامر بن فهيرة، مولى أبى بكر الصديق رضى الله عنه.

نسبه: قال ابن هشام: عامر بن فهيرة مولد من مولدى الأسد، أسود اشتراه أبو بكر رضى الله عنه منهم.

إسلام خالد بن سعيد ونسبه واسلام امرأته: قال ابن إسحاق: وخالد بن سعيد ابن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى بن مرة بن كعب بن لؤى؛ وامرأته أمينة بنت خلف بن أسعد بن عامر بن بياضة بن سبيع بن جعثمة بن سعد بن مُليح بن عمرو، من خزاعة.

قال ابن هشام: ويقال: همينة بنت خلف.

إسلام حاطب وأبى حذيفة: قال ابن إسحاق: وحاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لؤى بن غالب بن فهر. وأبو حذيفة، واسمه مهشم ـ فيما قال ابن هشام ـ بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب ابن لؤى.

إسلام واقد وشىء من خبره: وواقد بن عبد الله بن عبد مناف بن عرين ابن ثعلبة بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، حليف بنى عدى بن كعب.

---

(١) رواه ابن سعد عن أبى بكر العدوى مرسلاً كما فى «كنز العمال» (١١/ ٧٥٠) (ح٣٣٦٦١).

قال ابن هشام: جاءت به باهلة، فباعوه من الخطاب بن نفيل، فتبناه، قال الله تعالى له فلما أنزل الله تعالى: ﴿ادعوهم لآبائهم﴾ قال: أنا واقد بن عبد الله، فيما قال أبو عمر المدنى.

إسلام بنى البكير: قال ابن إسحاق: وخالد وعامر وعاقل وإياس بنو البكير بن عبد ياليل بن ناشب بن غيرة بن سعد بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة حلفاء بنى عدى ابن كعب.

إسلام عمار: بن ياسر، حليف بنى مخزوم بن يقظة.

قال ابن هشام: عمار بن ياسر عنسى من مذحج.

إسلام صهيب: قال ابن اسحاق: صهيب بن سنان، أحد النمر بن قاسط، حليف بنى تيم بن مرة.

نسب صهيب: قال ابن هشام: النمر بن قاسط بن هنب بن أفصى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار، ويقال: أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد؛ ويقال: صهيب: مولى عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم.

ويقال: إنه رومى. فقال بعض من ذكر أنه من النمر بن قاسط، إنما كان أسيرا فى أرض الروم، فاشترى منهم. وجاء فى الحديث عن النبى ﷺ: **«صهيب سابق الروم»**(١).

****

مباداة رسول الله ﷺ قومه، وما كان منهم

أمر الله له ﷺ بمباداة قومه: قال ابن إسحاق: ثم دخل الناس فى الإسلام أرسالا من الرجال والنساء، حتى فشا ذكر الإسلام بمكه، وتحدث به. ثم إن الله عز وجل أمر رسول الله ﷺ أن يصدع بما جاءه منه، وأن يبادى الناس بأمره، وأن يدعو إليه، وكان بين ما أخفى رسول الله ﷺ أمره واستتر به الى أن أمره الله تعالى بإظهار دينه ثلاث سنين - فيما بلغنى - من مبعثه؛ ثم قال الله تعالى له: **﴿فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين﴾**(٢). وقال تعالى: **﴿وأنذر عشيرتك الأقربين. واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وقل إنى أنا النذير المبين﴾**(٣).

(١) رواه ابن سعد فى «الطبقات»(٣/ ٢٢٦) بإسناد مرسل.
(٢) الحجر: ٩٤.
(٣) الشعراء: ٢١٤ - ٢١٦.

معنى: ﴿اصدع بما تؤمر﴾: قال ابن هشام: اصدع: افرق بين الحق والباطل. قال أبو ذؤيب الهذلى، واسمه خويلد بن خالد، يصف أتن [1] وحش وفحلها:

وكأنهن ربابة وكأنه يسر يفيض على القداح ويصدع [2]

أى يفرق على القداح ويبين أنصباءها. وهذا البيت فى قصيدة له. وقال رؤبة بن العجاج:

أنت الحليم والأمير المنتقم تصدع بالحق وتنفى من ظلم

وهذان البيتان فى أرجوزة له.

خروج الرسول ﷺ بأصحابه للصلاة فى الشعب: قال ابن إسحاق: وكان أصحاب رسول الله ﷺ إذا صلوا، ذهبوا فى الشعاب، فاستخفوا بصلاتهم من قومهم، فبينا سعد بن أبى وقاص فى نفر من أصحاب رسول الله ﷺ فى شعب من شعاب مكة، إذ ظهر عليهم نفر من المشركين وهم يصلون، فناكروهم، وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم، فضرب سعد بن أبى وقاص يومئذ رجلا من المشركين بلحى بعير ف [3] شجه، فكان أول دم أهريق فى الإسلام.

عداوة قومه ومساندة أبى طالب له: قال ابن إسحاق: فلما بادى رسول الله ﷺ قومه بالإسلام وصدع به كما أمره الله، لم يبعد منه قومه، ولم يردوا عليه - فيما بلغنى - حتى ذكر آلهتهم وعابها؛ فلما فعل ذلك أعظموه وناكروه، وأجمعوا خلافه وعداوته، إلا من عصم الله تعالى منهم بالإسلام، وهم قليل مستخفون، وحدب [4] على رسول الله ﷺ عمه أبو طالب، ومنعه وقام دونه، ومضى رسول الله ﷺ على أمر الله، مظهرا لأمره، لا يرده عنه شىء. فلما رأت قريش، أن رسول الله ﷺ لا يعتبهم [5] من شىء أنكروه عليه، من فراقهم وعيب آلهتهم، ورأوا أن عمه أبا طالب قد حدب عليه، وقام دونه، فلم يسلمه لهم، مشى رجال من أشراف قريش إلى أبى طالب، عتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب. وأبو سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر.

---

(١) الاتن: جمع أتان وهى الأنثى من الحمار.
(٢) الربابة جلدة تلف فيها قداح الميسر، واليسر الذى يدخل فى الميسر والقداح: جمع قدح وهو السهم.
(٣) لحى البعير: العظم الذى على فخذه.
(٤) حدب: أى عطف.
(٥) لايعتبهم: أى لايرضيهم.

قال ابن هشام: واسم أبى سفيان: صخر.

قال ابن إسحاق: وأبو البخترى، واسمه العاص بن هشام بن الحارث بن أسد بن عبد العزى ابن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى.

قال ابن هشام: أبو البخترى: العاص بن هاشم.

قال ابن إسحاق: والأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصى ابن كلاب ابن مرة بن كعب بن لؤى. وأبو جهل - واسمه عمرو، وكان يكنى أبا الحكم - بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى. والوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج بن عامر بن حذيفة بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى، والعاص بن وائل.

قال ابن هشام: العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو ابن هصيص بن كعب بن لؤى.

وفد قريش يعاتب أبا طالب: قال ابن إسحاق: أو من مشى منهم. فقالوا: يا أبا طالب، إن ابن أخيك قد سب آلهتنا، وعاب ديننا وسفه أحلامنا، وضلل آبائنا؛ فإما أن تكفه عنا، وإما أن تخلى بيننا وبينه، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه، فنكفيكه فقال لهم أبو طالب قولا رفيقا، وردهم ردا جميلا، فانصرفوا عنه.

الرسول (ﷺ) يستمر فى دعوته: ومضى رسول الله ﷺ على ما هو عليه يظهر دين الله، ويدعو إليه، ثم شرى الأمر بينه وبينهم حتى تباعد الرجال وتضاغنوا، وأكثرت قريش ذكر رسول الله ﷺ بينها، فتذامروا فيه، وحض بعضهم بعضا عليه.

رجوع الوفد إلى أبى طالب مرة ثانية: ثم إنهم مشوا إلى أبى طالب مرة أخرى، فقالوا له: يا أبا طالب، إن لك سنا وشرفا ومنزلة فينا، وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا، وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وعيب آلهتنا، حتى تكفه عنا، أو تنازله وإياك فى ذلك، حتى يهلك أحد الفريقين - أو كما قالوا له - ثم انصرفوا عنه، فعظم على أبى طالب فراق قومه وعداوتهم، ولم يطب نفسا بإسلام رسول الله ﷺ لهم ولا خذلانه.

ما دار بين الرسول (ﷺ) وأبى طالب: قال ابن إسحاق: وحدثنى يعقوب ابن عتبة بن المغيرة بن الأخنس أنه حدث: أن قريشا حين قالوا لأبى طالب هذه المقالة،

بعث إلى رسول الله ﷺ، فقال له: يا ابن أخى، إن قومك قد جاءونى، فقالوا لى كذا وكذا، للذى كانوا قالوا له، فابق على وعلى نفسك، ولا تحملنى من الأمر ما لا أطيق؛ قال: فظن رسول الله ﷺ أنه قد بدا لعمه فيه بداء أنه خاذله ومسلمه، وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه. قال: فقال رسول الله ﷺ: **«يا عم، والله لو وضعوا الشمس فى يمينى، والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله، أو أهلك فيه ما تركته»**. قال: ثم استعبر رسول الله ﷺ، فبكى ثم قام؛ فلما ولى ناداه أبو طالب، فقال: أقبل يا بن أخى؛ قال: فأقبل عليه رسول الله ﷺ، فقال: اذهب يا بن أخى، فقل ما أحببت، فوالله لا أسلمك لشىء أبدا[١].

قريش تعرض عمارة بن الوليد على أبى طالب: قال ابن إسحاق: ثم إن قريشا حين عرفوا أن أبا طالب قد أبى خذلان رسول الله ﷺ وإسلامه، وإجماعه لفراقهم فى ذلك وعداوتهم، مشوا إليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة، فقالوا له ـ فيما بلغنى ـ يا أبا طالب، هذا عمارة بن الوليد، أنهد فتى[٢] فى قريش وأجمله، فخذه فلك عقله[٣] ونصره، واتخذه ولدا فهو لك، وأسلم إلينا ابن أخيك هذا، الذى قد خالف دينك ودين آبائك، وفرق جماعة قومك وسفه أحلامهم، فنقتله، فإنما هو رجل برجل؛ فقال: والله لبئس ما تسوموننى، أتعطوننى ابنكم أغذوه لكم، وأعطيكم ابنى تقتلونه؟! هذا والله ما لا يكون أبدا. قال: فقال المطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف بن قصى: والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومك، وجهدوا على التخلص مما تكرهه، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئا؛ فقال أبو طالب للمطعم: والله ما أنصفونى، ولكنك قد أجمعت خذلانى ومظاهرة القوم[٤] على، فاصنع ما بدا لك، أو كما قال. فحقب الأمر،[٥] وحميت الحرب، وتنابذ القوم، وبادى بعضهم بعضا.

شعر أبى طالب فى المطعم ومن خذله: فقال أبو طالب عند ذلك، يعرض بالمطعم بن عدى، ويعم من خذله من بنى عبد مناف، ومن عاداه من قبائل قريش، ويذكر ما سألوه، وما تباعد من أمرهم:

---

(١) قال الألبانى فى «الضعيفة» (٢/ ٣١١) هذا إسناد ضعيف معضل، يعقوب بن عتبة هذا من ثقات أتباع التابعين مات سنة ثمان وعشرين ومائة وقد وجدت للحديث طريقاً أخرى بسند حسن لكن بلفظ: «ماأنا بأقدر على أن أدع لكم ذلك، على أن تستشعلوا لى منها شعلة» يعنى الشمس، وقد خرجته فى «الأحاديث الصحيحة» (٩٢).

(٢) أنهد فتى: أى أشد فتى.

(٣) أى ديته إذا قتل.

(٤) مظاهرة القوم: أى إعانتهم.

(٥) حقب الأمر: زاد واشتد.

ألا قل لعمرو والوليد ومطعم ... ألا ليت حظى من حياطتكم بكر[(١)]
من الخور حبحاب كثير رغاؤه ... يرش على الساقين من بوله قطر[(٢)]
تخلف خلف الورد ليس بلاحق ... إذا ما علا الفيفاء قيل له وبر[(٣)]
أرى أخوينا من أبينا وأمنا ... إذا سئلا قالا إلى غيرنا الأمر
بلى لهما أمر ولكن تجرجما ... جرجمت من رأس ذى علق صخر[(٤)]
أخص خصوصا عبد شمس ونوفلا ... هما نبذانا مثل ما ينبذ الجمر
هما أغمزا للقوم فى أخويهما ... فقد أصبحا منهم أكفهما صفر[(٥)]
هما أشركا فى المجد من لا أبا له ... من الناس إلا أن يرس له ذكر[(٦)]
وتيم ومخزوم وزهرة منهم ... وكانوا لنا مولى إذا بغى النصر
فوالله لا تنفك منا عداوة ... ولا منهم ما كان من نسلنا شفر[(٧)]
فقد أسفهت أحلامهم وعقولهم ... وكانوا كجفر بئس ما صنعت جفر

قال ابن هشام: تركنا منها بيتين أقذع فيهما.

قريش تظهر عداوتها للمسلمين: قال ابن إسحاق: ثم إن قريشا تذامروا بينهم على من فى القبائل منهم من أصحاب رسول الله ﷺ الذين أسلموا معه، فوثبت كل قبيلة على من فيهم من المسلمين يعذبونهم، ويفتنونهم عن دينهم، ومنع الله ورسوله ﷺ منهم بعمه أبى طالب، وقد قام أبو طالب، حين رأى قريشا يصنعون ما يصنعون فى بنى هاشم وبنى المطلب، فدعاهم إلى ما هو عليه، من منع رسول الله ﷺ، والقيام دونه؛ فاجتمعوا إليه، وقاموا معه وأجابوه إلى ما دعاهم إليه، إلا ما كان من أبى لهب، عدو الله الملعون.

شعر أبى طالب فى مدح قومه لنصرته: فلما رأى أبو طالب من قومه ما سره فى جهدهم معه، وحدبهم عليه، جعل يمدحهم ويذكر قديمهم، ويذكر فضل رسول الله ﷺ فيهم، ومكانه منهم، ليشد لهم رأيهم، وليحدبوا معه على أمره، فقال:

---

(١) البكر: الفتى من الإبل، يريد أن يقول: إن بكراً من الإبل أنفع لى منكم.
(٢) الخور: الضعاف، وحبحاب: معناه القصير.
(٣) الفيفاء: الأرض القفر. ووبر: دويبة تشبه الهرة شبهه بها لصغره.
(٤) تجرجما: سقطا وانحدرا. وذو علق: جبل فى ديار بنى أسد.
(٥) أغمزا: طعنا. والصفر: الخالى.
(٦) يرس له ذكر: معناه أن يذكر ذكراً خفيفا. وتقول: رسست الحديث إذا حدثت به فى خفاء.
(٧) شفر: أى أحد.

إذا اجتمعت يوما قريش لمفخر ... فعبد مناف سرها وصميمها[1]

وإن حصلت أشراف عبد منافها ... ففى هاشم أشرافها وقديمها

وإن فخرت يوما فإن محمدا ... هو المصطفى من سرها وكريمها

تداعت قريش غثها وسمينها ... علينا فلم تظفر وطاشت حلومها[2]

وكنا قديما لا نقر ظلامة ... إذا ما ثنوا صعر الخدود تقيمها[3]

ونحمى حماها كل يوم كريهة ... ونضرب عن أحجارها من يرومها[4]

بنا انتعش العود الذواء وإنما ... بأكنافنا تندى وتنمى أرومها[5]

الوليد بن المغيرة: كيده للرسول، وموقفه من القرآن

ثم إن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفر من قريش، وكان ذا سن فيهم، وقد حضر الموسم فقال لهم: يا معشر قريش، إنه قد حضر هذا الموسم، وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا، فأجمعوا فيه رأيا واحدا، ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضا، ويرد قولكم بعضه بعضا؛ قالوا: فأنت يا أبا عبد شمس، فقل وأقم لنا رأيا تقول به؛ قال: بل أنتم فقولوا أسمع؛ قالوا: تقول كاهن؛ قال: لا والله ما هو بكاهن، لقد رأينا الكهان فما هو بزمزمة الكاهن[6] ولا سجعه؛ قالوا: فنقول: مجنون؛ قال: ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون وعرفناه، فما هو بخنقه، ولا تخالجه، ولا وسوسته؛ قالوا: فنقول: شاعر؛ قال: ما هو بشاعر، لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه، فما هو بالشعر؛ قالوا: فنقول ساحر؛ قال: ما هو بساحر، لقد رأينا السحار وسحرهم، فما هو بنفثهم ولا عقدهم؛ قالوا: فما نقول يا أبا عبد شمس؟ قال: والله إن لقوله لحلاوة، وإن أصله لعذق، وإن فرعه لجناة - قال ابن هشام: ويقال لغدق - وما أنتم بقاتلين من هذا شيئا إلا عرف أنه باطل، وإن أقرب القول فيه لأن تقولوا ساحر، جاء بقول هو سحر يفرق به بين المرء وأبيه، وبين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجته، وبين المرء وعشيرته. فتفرقوا

(١) سرها وصميمها: أى خالصها وكريمها. يقال فلان من سر قومه أى من خيارهم.

(٢) غثها وسمينها: أصل الغث اللحم الضعيف، فاستعاره ههنا لمن ليس نسبه هنالك والسمين: مقابله أصلاً واستعارة، وأراد أنها اجتمعت كلها .وطاشت حلومها: أى ذهبت عقولها .

(٣) ثنوا عطفوا: وصعر: جمع أعصر وهو المائل وفى القرآن ﴿ولا تصعر خدك للناس﴾.

(٤) ونضرب عن أحجارها: يريد ندفع عن حوزتهم ومواضعهم المانعة لهم .

(٥) انتعش: ظهرت فيه الخضرة. والعود الذواء: الذى جفت رطوبته. والأروم: مفرده أرومة وهى الأصل والأكناف : النواحى.

(٦) زمزمة الكاهن: كلام خفى لايفهم. وسجعه أن يجعل لكلامه المنثور نهايات كنهايات الشعر.

عنه بذلك، فجعلوا يجلسون بسبل الناس حين قدموا الموسم، لا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه، وذكروا لهم أمره. فأنزل الله تعالى فى الوليد بن المغيرة وفى ذلك من قوله: **﴿ذرنى ومن خلقت وحيدا. وجعلت له مالا ممدودا. وبنين شهودا. ومهدت له تمهيدا .ثم يطمع أن أزيد .كلا إنه كان لآياتنا عنيدا﴾**[1] أى خصيما.

قال ابن هشام: عنيد: معاند مخالف. قال رؤبة بن العجاج:

ونحن ضرابون رأس العند

وهذا البيت فى أرجوزة له.

﴿سأرهقه صعودا. إنه فكر وقدر. فقتل كيف قدر. ثم قتل كيف قدر. ثم نظر. ثم عبس وبسر﴾[2].

قال ابن هشام: بسر: كره وجهه. قال العجاج:

مضبر اللحيين بسرا منهسا[3]

يصف كراهية وجهه. وهذا البيت فى أرجوزة له.

﴿ثم أدبر واستكبر .فقال إن هذا إلا سحر يؤثر .إن هذا إلا قول البشر﴾[4].

رد القرآن على صحب الوليد: قال ابن إسحاق: وأنزل الله تعالى فى رسوله ﷺ وفيما جاء به من الله تعالى وفى النفر الذين كانوا معه يصنفون القول فى رسول الله ﷺ، وفيما جاء به من الله تعالى: **﴿كما أنزلنا على المقتسمين. الذين جعلوا القرآن عضين. فوربك لنسئلنهم أجمعين. عما كانوا يعملون﴾**[5].

قال ابن هشام: واحدة العضين: عضة، يقول: عضوه: فرقوه. قال رؤبة بن العجاج:

وليس دين الله بالمعضى

وهذا البيت فى أرجوزة له.

قال ابن إسحاق: فجعل أولئك النفر يقولون ذلك فى رسول الله ﷺ لمن لقوا من الناس، وصدرت العرب من ذلك الموسم بأمر رسول الله ﷺ؛ فانتشر ذكره فى بلاد العرب كلها.

---

(١) المدثر: ١١ ـ ١٦. (٢) المدثر: ١٧ ـ ٢٢.
(٣) مضبر: أى شديد الخلق .واللحيان العظمان الذان فى وجهه .والنهس: الكثير النهس، وهو العض.
(٤) المدثر: ٢٣ ـ ٢٥. (٥) الحجر: ٩٠ ـ ٩٣.

شعر أبى طالب فى معاداة خصومه: فلما خشى أبو طالب دهماء العرب أن يركبوه مع قومه، قال قصيدته التى تعوذ فيها بحرم مكة وبمكانه منها، وتودد فيها أشراف قومه، وهو على ذلك يخبرهم وغيرهم فى ذلك من شعره أنه غير مسلم رسول الله ﷺ، ولا تاركه لشىء أبدا حتى يهلك دونه، فقال:

ولما رأيت القـوم لا ود فيهـم … وقد قطعوا كل العرى والوسائل

وقد صارحـونا بالعداوة والأذى … وقد طاعوا أمـر الـعدو المزايل

وقد حـالفوا قومـا علينـا أظنة … يعضون غيظـا خـلفنا بالأنامل[١]

صبرت لهم نفسى بسمراء سمحة … وأبيض عضب مـن تراث المقاول[٢]

وأحصرت عند البيت رهطى وإخوتى … وأمسكت مـن أثوابـه بالوصائل[٣]

قيامـا معـا مستقبلين رتاجـه … لدى حيث يقضى حلفه كل نافل[٤]

وحـيث ينيخ الأشعرون ركابهم … بمفضى السيول مـن إساف ونائل

موسمـة الأعضـاد أو قصراتها … مخـيسة بين السـديس وبازل[٥]

تـرى الودع فيها والرخام وزينة … بأعناقهـا معقـودة كالعثاكـل[٦]

أعوذ برب الناس مـن كـل طاعن … علينـا بسـوء أو ملـح بباطل

ومن كاشـح يسعـى لنـا بمعيبة … ومن ملحق فى الدين ما لم نحاول

وثـور ومـن أرسـى ثبيرا مكانه … وراق ليرقـى فـى حـراء ونازل[٧]

وبالبيت، حق البيت، من بطن مكة … وبالله إن الله لـيـس بغافـل

وبالحـجر المسـود إذ يمسحـونه … إذا اكتنفوه بالضـحى والأصـائل[٨]

وموطئ إبراهيم فى الصخر رطبة … على قدميه حـافيا غيـر ناعـل

وأشواط بين المروتين إلى الصفا … وما فيهما مـن صـورة وتماثل

ومن حج بيت الله من كل راكب … ومن كل ذى نذر ومن كل راجل

والمشعر الأقصى إذا عمـدوا له … إلال إلى مفضى الشراج القوابل[٩]

(١) أظنة: جمع ظنين وهو المتهم. والأنامل: جمع أنملة وهى طرف الأصبع.

(٢) سحراء وسمحة: أراد بها قناة لينة تسمح بالانعطاف عند هزها. والعضب: القاطع، والمقاول: أراد بهم السادات.

(٣) الوصائل: ثياب حمر فيها خطوط كان البيت يكسى بها. (٤) النافل: المتبرىء.

(٥) موسمة: معلمة، تقول وسمه إذا علمه، والسمة العلامة. والقصرات أصول الأعناق، والمخيسة: المذللة، والسديس من الإبل الذى دخل فى السنة السادسة. والبازل: الذى بلغ التاسعة فخرج نابه.

(٦) الودع: الخرز. والعثاكل: الأغصان التى ينبت عليها التمر. (٧) ثور وثبير وحراء: جبال بمكة.

(٨) اكتنفوه: أى أحاطوا به.

(٩) المشعر: عرفة والإل: جبل بعرفات. والشراج: جمع شرج وهو مسيل الماء. والقوابل: المقابلة.

وتوقافهم فوق الجبال عشية ... يقيمون بالأيدى صدور الرواحل(١)
وليلة جمع والمنازل من منى ... وهل فوقها مـن حـرمة ومنازل(٢)
وجمع إذا ما المقربـات أجــزنه ... سراعا كما يخرجن من وقع وابل(٣)
وبالجمرة الكبرى إذا صمدوا لها ... يؤمون قذفـا رأسهـا بالجنادل(٤)
وكندة إذ هم بالحـصاب عشية ... تجيز بهم حـجاج بكر بن وائل(٥)
حليفان شدا عقد مـا احتلفا له ... وردا عليـه عاطفـات الوسـائل
وحطمهم سمـر الرماح وسرحه ... وشبرقه وخد النعام الجوافل(٦)
فهل بعد هذا من معاذ لعائذ ... وهل من معيذ يتقى الله عاذل
يطـاع بنـا أمـر العـدى ود أننا ... تسد بنا أبواب تـرك وكـابل(٧)
كذبتم وبيت الله نترك مكة ... ونطعن إلا أمركـم فـى بلابـل(٨)
كذبتم وبيت الله نبزى محمدا ... ولمـا نطاعـن دونـه ونناضل(٩)
ونسلـه حـتى نصـرع حـوله ... ونذهـل عـن أبنائنا والحلائل(١٠)
وينهض قوم فى الحديد إليكم ... نهوض الروايا تحت ذات الصلاصل(١١)
وحتى ترى ذا الضغن يركب ردعه ... من الطعن فعل الأنكب المتحامل(١٢)
وإما لعمر الله إن جد ما أرى ... لتلتبسـن أسيافنـا بالأمـاثـل
بكفى فتى مثل الشهاب سميدع ... أخى ثقة حـامـى الحقيقة باسل(١٣)
شهورا وأياما وحـولا مجـرما ... علينا وتأتـى حـجة بعـد قابل(١٤)
وما ترك قـوم، لا أبا لك، سيـدا ... يحوط الذمـار غير ذرب مواكل(١٥)
وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ... ثمـال اليتامـى عصمـة للأرامـل(١٦)

(١) تواقفهم: أى وقوفهم والرواحل: جمع راحلة. (٢) جمع المزدلفة.
(٣) المقربات: الخيل التى تقرب مرابطها من البيوت لكرمها . والوابل: المطر الشديد .
(٤) صمدوا: قصدوا. . (٥) الحصاب: موضع رمى الجمار، مأخوذ من الحصباء.
(٦) الحطم: الكسر. والسمر: من شجر الطلح. والسرح: الشجر العظام. والشبرق: نبات. والوخذ: السير السريع . والحوافل: الذاهبة المسرعة.
(٧) ترك وكابل: جيلان من الناس. (٨) البلابل: هى وساوس الهموم.
(٩) نبزى: أى نغلب عليه ونسلبه ونناضل: أى نرامى بالسهام.
(١٠) الحلائل: الزوجات.
(١١) الروايا: الإبل التى تحمل الماء . والصلاصل: المزادات يسمع لها صلصلة أى صوت .
(١٢) الضغن: العداوة . ويركب ردعه : يخر على وجهه صريعا . والأنكب: المائل.
(١٣) سميدع: سيد . وباسل: شجاع كريم.
(١٤) حولاً مجرماً: أى مكملاً، تقول: تجرمت السنة إذا كملت وانقضت.
(١٥) الذمار: مايلزمك أن تحميه . وذرب: فاسد. ومواكل : يتكل على غيره.
(١٦) ثمال اليتامى: أى قائماً بأمرهم غياثاً لهم.

يلوذ به الهــلاف مــن آل هاشم ... فهم عـنده فــى رحـمة وفواضل
لعمرى لقد أجرى أسيد وبكره ... إلى بغضنـا وجــزآنا لآكــل
وعثمان لــم يربــع علينا وقنفذ ... ولكن أطاعا أمــر تلك القبائل[1]
أطاعا أبيا وابن عبــد يغوثهم ... ولــم يرقبـا فينـا مقالة قائل
كما قد لقينا مــن سبيع ونوفل ... وكل تولــى معرضـا لم يجامل
فإن يُلْفَيَا أو يمكن الله منهما ... نكل لهمـا صاعا بصاع المكايل[2]
وذاك أبو عمـرو أبى غير بغضنا ... ليطغنا فى أهــل شـاء وجامل[3]
يناجى بنا فى كل ممسى ومصبح ... فناج أبا عمـرو بنا ثـم خــاتل[4]
ويؤلى لنا بالله مــا إن يغشنا ... بلى قـد نراه جـهرة غيـر حائل[5]
أضاق عليه بغضنا كــل تلعة ... من الأرض بين أخشب فمجادل[6]
وسائل أبا الوليد ماذا حبوتنا ... بسعيك فينا معرضا كالمخاتل
وكنت امرءا ممن يعاش برأيه ... ورحمته فينا ولست بجاهل
فعتبة لا تسمع بنا قول كاشح ... حسود كذوب مبغض ذى دغاول[7]
ومر أبو سفيان عنى معرضا ... كما مر قيل من عظام المقاول
يفر إلى نجد وبرد مياهه ... ويزعم أنى لست عنكم بغافل
ويخبرنا فعل المناصح أنه ... شفيق ويخفى عارمات الدواخل
أمطعم لم أخذلك فى يوم نجدة ... ولا معظم عند الأمور الجلائل
ولا يوم خصم إذا أتوك ألدة ... أولى جدل من الخصوم المساجل
أمطعم إن القوم ساموك خطة ... وإنى متى أوكل فلست بوائل[8]
جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا ... عقوبة شر عاجلا غير آجل
بميزان قسط لا يخس شعيرة ... له شاهد من نفسه غير عائل[9]
لقد سفهت أحــلام قوم تبدلوا ... بنــى خـلف قيضا بنا والغياطل[10]

---

(١) لم يربع: لم يقم.
(٢) فإن يلفيا: مبنى للمجهول من ألفيته إذا وجدته. ونكل: مضارع كاله يكيله.
(٣) الجامل: اسم لجماعة الجمال. (٤) خاتل: من الختل وهو الخداع والغدر.
(٥) يؤلى: يقسم.
(٦) التلعة: ماشرف وارتفع من الأرض. والأخشب أراد الأخاشب وهى جبال مكة. والمجادل: الحصون فى رؤس الجبال والقصور.
(٧) كاشح: عدو. والدغاول: الأمور الفاسدة. (٨) ساموك: أى كلفوك، ولست بوائل: أى لست بناج.
(٩) لايخس: أى لا ينقص. والعائل: الجائر.
(١٠) القيض: العوض. والغياطل: بنو سهم لأن أمهم الغيطلة.

ونحن الصميم من ذؤابة هاشم ... وآل قصى فى الخطوب الأوائل

وسهم ومخزوم تمالوا وألبوا ... علينا العدا من كل طمل وخامل[١]

فعبد مناف أنتم خير قومكم ... فلا تشركوا فى أمركم كل واغل[٢]

لعمرى لقد وهنتم وعجزتم ... وجئتم بأمر مخطئ للمفاصل[٣]

وكنتم حديثا حطب قدر وأنتم الآن ... حطاب أقدر ومراجل[٤]

ليهنئ بنى عبد مناف عقوقنا ... وخذلاننا وتركنا فى المعاقل

فإن نك قوما نتئر ما صنعتم ... وتحتلبوها لقحة غير باهل[٥]

وسائط كانت فى لؤى بن غالب ... نفاهم إلينا كل صقر حلاحل[٦]

ورهط نفيل شر من وطئ الحصى ... وألأم حاف من معد وناعل

فأبلغ قصيا أن سينشر أمرنا ... وبشر قصياً بعدنا بالتخاذل

ولو طرقت ليلا قصيا عظيمة ... إذا ما لجأنا دونهم فى المداخل

ولو صدقوا ضربا خلال بيوتهم ... لكنا أسى عند النساء المطافل[٧]

فكل صديق وابن أخت نعده ... لعمرى وجدنا غبه غير طائل

سوى أن رهطا من كلاب بن مرة ... براء إلينا من معقة خاذل[٨]

وهنا لهم حتى تبدد جمعهم ... ويحسر عنا كل باغ وجاهل

وكان لنا حوض السقاية فيهم ... ونحن الكدى من غالب والكواهل[٩]

شباب من المطيبين وهاشم ... كبيض السيوف بين أيدى الصياقل

فما أدركوا ذحلا ولا سفكوا دما ... ولا حالفوا إلا شرار القبائل

بضرب ترى الفتيان فيه كأنهم ... ضوارى أسود فوق لحم خرادل[١٠]

---

(١) الطمل: الرجل الفاحش لايبالى ماصنع.

(٢) كل واغل: أراد كل ملصقه بكم ليس من صميمكم. وأصل الواغل: الداخل على القوم وهم يشربون من غير أن يدعى.

(٣) مخطىء للمفاصل: يريد أنه لا يوافق صواب الأمور. (٤) المراجل: القدور.

(٥) نتئر ماصنعتم: أى نأخذ بثأرنا منكم. واللقحة: الناقة ذات اللبن. والباهل: الناقة المباحة لكل حالب.

(٦) الحلاحل: السيد الشجاع.

(٧) الأسى: جمع أسوة وهى القدرة، يريد لاقتدى بعضنا ببعض. والمطافل: ذوات الأطفال.

(٨) براء: مصدر مثل سلام. وبهذا يوصف به الواحد والإثنان والجمع، تقول رجل براء، وامرأة براء، ورجلان براء، ورجال براء وهو بكسر الباء جمع برئ، مثل كريم وكرام وطويل وطوال ولا يوصف به حينئذ إلا الجمع. والمعقة: العقوق. والخاذل ضد الناصر.

(٩) الكدى جمع كدية وهى الصخرة العظيمة وأراد أنهم مثلها فى العز والامتناع. والكواهل: جمع كاهل وهو سند القوم الذى يرجعون إليه فى أمورهم.

(١٠) خرادل: أى قطع عظيمة.

بنى أمة محبوبة هندكية ... بنى جمع عبيد قيس بن عاقل[1]
ولكننا نسل كرام لسادة ... بهم نعى الأقوام عند البواطل
ونعم ابن أخت القوم غير مكذب ... زهير حساما مفردا من حمائل
أشم من الشم البهاليل ينتمى ... إلى حسب فى حومة المجد فاضل[2]
لعمرى لقد كلفت وجدا بأحمد ... وإخوته دأب المحب المواصل[3]
فلا زال فى الدنيا جمالا لأهلها ... وزينا لمن والاه رب المشاكل
فمن مثله فى الناس أى مؤمل ... إذا قاسه الحكام عند التفاضل
حليم رشيد عادل غير طائش ... يوالى إلاها ليس عنه بغافل
فوالله لولا أن أجىء بسبة ... تجر على أشياخنا فى المحافل
لكنا اتبعناه على كل حالة ... من الدهر جدا غير قول التهازل
لقد علموا أن ابننا لا مكذب ... لدينا ولا يعنى بقول الأباطل
فأصبح فينا أحمد فى أرومة ... تقصر عنه سورة المتطاول[4]
حدبت بنفسى دونه وحميته ... ودافعت عنه بالذرا والكلاكل[5]
فأيده رب العباد بنصره ... وأظهر دينا حقه غير باطل
رجال كرام غير ميل نماهم ... إلى الخير آباء كرام المحاصل[6]
فإن تك كعب من لؤى صقيبة ... فلابد يوما مرة من تزايل[7]

قال ابن هشام: هذا ما صح لى من هذه القصيدة، وبعض أهل العلم بالشعر ينكر أكثرها.

الرسول عليه السلام يستسقى لأهل المدينة ويود لو أن أبا طالب حى ليرى ذلك:

قال ابن هشام: وحدثنى من أثق به، قال: أقحط أهل المدينة، فأتوا رسول الله ﷺ، فشكوا ذلك إليه، فصعد رسول الله ﷺ المنبر فاستسقى فما لبث أن جاء من المطر ما أتاه أهل الضواحى يشكون منه الغرق؛ فقال رسول الله ﷺ: « **اللهم حوالينا ولا علينا** » فانجاب السحاب عن المدينة فصارا حواليها كالإكليل؛ فقال رسول الله ﷺ: « **لو أدرك أبو طالب هذا اليوم لسره** » فقال له بعض أصحابه كأنك يا رسول الله

(١) الهندكى: منسوب إلى الهند. (٢) أشم: أى عزيز، والبهاليل: جمع بهلول، وهو السيد.
(٣) كفت: أولعت. (٤) السورة: الشدة والبطش.
(٥) حدبت: عطفت. والذرا: جمع ذروة، وهى أعلى ظهر البعير. والكلاكل: جمع كلكل وهو معظم الصدر.
(٦) الميل: جمع أميل وهو الذى لا يحسن الركوب.
(٧) صقيبة: قريبة.

أردت قوله:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

قال: أجل.[1]

قال ابن هشام: وقوله «وشبرقه» عن غير ابن إسحاق.

ذكر الأسماء التى وردت فى قصيدة أبى طالب: قال ابن إسحاق: والغياطل من بنى سهم بن عمرو بن هصيص، وأبو سفيان بن حرب بن أمية. ومطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف. وزهير بن أبى أمية بن المغيرة ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم، أمه عاتكة بنت عبد المطلب. قال ابن إسحاق: وأسيد، وبكره: عتاب بن أسيد بن أبى العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى. وعثمان بن عبيد الله، أخو طلحة بن عبيدالله التيمى. وقنفذ بن عمير بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة. وأبو الوليد عتبة بن ربيعة. وأبى الأخنس بن شريق الثقفى، حليف بنى زهرة بن كلاب.

قال ابن هشام: وإنما سمى الأخنس؛ لأنه خنس بالقوم يوم بدر، وإنما اسمه أبى، وهو من بنى علاج، وهو علاج بن أبى سلمة بن عوف بن عقبة. والأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب. وسبيع ابن خالد، أخو بلحارث بن فهر. ونوفل بن خويلد بن أسد بن عبد العزى ابن قصى، وهو ابن العدوية. وكان من شياطين قريش، وهو الذى قرن بين أبى بكر الصديق وطلحة بن عبيد الله رضى الله عنهما فى حبل حين أسلما، فبذلك كانا يسميان القرينين؛ قتله على بن أبى طالب عليه السلام يوم بدر. وأبو عمرو قرظة بن عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف. «وقوم علينا أظنة»: بنو بكر بن عبد مناة بن كنانة، فهؤلاء الذين عدد أبو طالب فى شعره من العرب.

---

(١) قال الحافظ ابن حجر: أخرج البيهقى فى «الدلائل» من رواية مسلم الملائى عن أنس قال: «جاء رجل أعرابى إلى النبى ﷺ فقال يارسول الله، أتيناك ومالنا بعير يئط ولاصبى يغط ثم أنشده شعراً يقول فيه.

وليس لنا إلا إليك فرارنا وأين فرار الناس إلا إلى الرسل

فقام يجر رداءه حتى صعد المنبر فقال: «اللهم اسقنا» الحديث وفيه ثم قال ﷺ: «لو كان أبو طالب حياً لقرت عيناه من ينشدنا قوله؟» فقام علىٌّ فقال: يارسول الله، كأنك أردت قوله وأبيض يستسقى الغمام بوجهه» . الأبيات.. وإسناد حديث أنس وإن كان فيه ضعف لكنه يصلح للمتابعة وقد ذكره ابن هشام فى زوائده فى السيرة تعليقاً عمن يثق به وقوله «يئط» . بفتح أوله وكسر الهمزة، وكذا «يغط» بالمعجمة، والأطيط: صوت البعير المثقل والغطيط صوت عند الشبع» أ هـ «فتح البارى» (٢/ ٤٩٥) ط السلفية.

انتشار ذكر الرسول خارج مكة: فلما انتشر أمر رسول الله ﷺ فى العرب، وبلغ البلدان، ذكر بالمدينة، ولم يكن حى من العرب أعلم بأمر رسول الله ﷺ حين ذكر، وقبل أن يذكر من هذا الحى من الأوس والخزرج، وذلك لما كانوا يسمعون من أحبار اليهود، وكانوا لهم حلفاء، ومعهم فى بلادهم. فلما وقع ذكره بالمدينة، وتحدثوا بما بين قريش فيه من الاختلاف. قال أبو قيس بن الأسلت. أخو بنى واقف.

نسب أبو الأسلت: قال ابن هشام: نسب ابن إسحاق أبا قيس هذا هاهنا إلى بنى واقف ونسبه فى حديث الفيل إلى خطمة؛ لأن العرب قد تنسب الرجل إلى أخى جده الذى هو أشهر منه.

قال ابن هشام: حدثنى أبو عبيدة: أن الحكم بن عمرو الغفارى من ولد نعيلة أخى غفار. وهو غفار بن مليل، ونعيلة بن مليل بن ضمرة بن بكر بن عبد مناة، وقد قالوا عتبة بن غزوان السلمى، وهو من ولد مازن بن منصور وسليم بن منصور.

قال ابن هشام: فأبو قيس بن الأسلت: من بنى وائل؛ ووائل، وواقف، وخطمة إخوة من الأوس.

شعر ابن الأسلت فى الدفاع عن الرسول ﷺ: قال ابن إسحاق: فقال أبو قيس بن الأسلت ـ وكان يحب قريشا، وكان لهم صهرا، كانت عنده أرنب بنت أسد بن عبد العزى بن قصى، وكان يقيم عندهم السنين بامرأته ـ قصيدة يعظم فيها الحرمة، وينهى قريشا فيها عن الحرب، ويأمرهم بالكف بعضهم عن بعض، ويذكر نضلهم وأحلامهم، ويأمرهم بالكف عن رسول الله ﷺ، ويذكرهم بلاء الله عندهم، ودفعه عنهم الفيل وكيده عنهم، فقال:

يا راكبا إما عرضت فبلغن ... ملغلغة عنى لؤى بن غالب[1]
رسول امرئ قد راعه ذات بينكم ... على النأى محزون بذلك ناصب[2]
وقد كان عندى للهموم معرس ... فلم أفض منها حـــاجتى ومآربى[3]
نبيتكم شرجــين كـــل قبيلـــة ... لها أزمل مـــن بين مذك وحاطب[4]
أعيذكـــم بالله من شـــر صنعكم ... وشر تباغيكـم ودس العـــقارب

(١) مغلغلة: رسالة. (٢) الناصب: هو المتعب المعيى.
(٣) أصل المعرس: المكان الذى ينزل فيه المسافرون ليلاً للاستراحة.
(٤) شرجين: فريقين مختلفين. والأزمل: الصوت. والمذكى: موقد النار. والحاطب: الذى يجمع لها الحطب.

وإظهار أخـــلاق ونجوى سقيمة ... كوخز الأشافى وقعها حق صائب(١)

فذكرهـــم بالله أول وهلـــة ... وإحلال أحـــرام الظباء الشوازب(٢)

وقل لهم والله يحكـــم حكمه ... ذروا الحرب تذهب عنكم فى المراحب(٣)

متـــى تبعثوهـــــا ذميمـــة ... هى الغول للأقصين أو للأقارب(٤)

تقطع أرحـــاما وتهلك أمـــة ... وتبرى السديف من سنام وغارب(٥)

وتستبدلـــوا بالأتحـمية بعـــدها ... شليلا وأصداء ثيـــاب المحارب(٦)

وبالمسك والكافور غبرا سوابغا ... كأن قتيريها عـــيون الجنادب(٧)

فإياكم والحـــرب لا تعلقنكـــم ... وحوضا وخيم الماء مـــر المشارب(٨)

تزين للأقـــوام ثـــم يـــرونها ... بعاقبـــة إذ بينت، أم صاحـــب(٩)

تحرق لا تشوى ضعيفا وتنتحى ... ذوى العز منكم بالحتوف الصوائب(١٠)

ألم تعلموا ما كان فى حرب داحس ... فتعتبروا أو كان فى حرب حاطب

وكم قد أصابت من شريف مسود ... طويل العماد ضيفه غيـــر خـــائب

عظيم رماد النار يحمد أمره ... وذى شيمـــة محض كريم المضارب(١١)

وماء هريق فى الضلال كأنما ... أذاعت به ريح الصبا والجنائب(١٢)

يخبركم عنها امرؤ حق عالم ... بأيامها والعلـــم علـــم التجارب

فبيعوا الحراب ملمحارب واذكروا ... حسابكـــم والله خـــير محاسب(١٣)

ولى امرئ فاختار دينا فلا يكن ... عليكم رقيبا غـــير رب الثواقب(١٤)

---

(١) الوخز: الطعن والأشافى: جمع اشفى وهى حديدة يغرز بها الاسكاف.

(٢) أحرام الظباء: التى يحرم صيدها فى الحرم. والشوازب الغامرة البطون.

(٣) المراحب: الأماكن المتسعة. (٤) الغول: أراد بها المنية.

(٥) تبرى: تقطع. والسديف: لحم الظهر. والسنام: الظهر. والغارب: أعلى الظهر.

(٦) الأتحمية: ثياب فاخرة تصنع باليمن. والشليل: الدرع القصيره. والأصدية: الدروع المتغيرة بالصدأ.

(٧) الغبر: جمع غبراء. والسوابغ: جمع سابغة وأراد بها الدروع الكاملة. والقتير: مسامير حلق الدروع. والجنادب: جمع جندب وهو ذكر الجراد.

(٨) وخيم: أى ثقيل.

(٩) تزين: أتتزين، بعاقبة: أى فى آخر الأمر، وبينت: ظهر أمرها، وأم صاحب: أى عجوزًا كأم صاحب لك إذ لا يصحب الرجل عادة إلا من كان فى سنه.

(١٠) لا تشوى: لاتخطىء. وتنتحى: تقصد. والصوائب: جمع صائب. والحتوف: جمع حتف، وهو الموت.

(١١) محض: خالص، كريم المضارب: أى السيوف.

(١٢) هريق: أريق، أبدلت الهمزة هاء. وفى الضلال: وهو ضد الهدى. وأذاعت به بددته وفرقته، والجانب: جمع جنوب، وهى ريح تقابل ريح الصبا.

(١٣) ملمحارب: أى من المحارب.

(١٤) قال السهيلى: «أى هو ولى امرئ اختار دينا، والفاء زائدة» أ هـ. والثواقب: النجوم.

أقيموا لنا دينا حــــنيفا فأنتم	لنا غاية قــد يهتدى بالذوائب[1]
وأنتم لهذا الناس نور وعصمة	تؤمون، والأحلام غير عوازب[2]
وأنتم، إذا ما حـصل الناس، جوهر	لكم سرة البطحاء شم الأرانب[3]
تصونون أجـــسادا كــــراما عتيقة	مهذبة الأنساب غــــير أشائب[4]
ترى طالب الحاجات نحو بيوتكم	عصائب هلكى تهتدى بعصائب
لقد علم الأقــوام أن سراتكــــم	على كل حال خير أهل الجباجب[5]
وأفضله رأيا وأعــــلاه سنــــة	وأقوله للحق وسط المواكب[6]
فقوموا فصــــلوا ربكم وتمسحوا	بأركان هذا البيت بين الأخاشب[7]
فعندكم منـــه بــــلاء ومصدق	غداة أبى يكسوم هادى الكتائب
كتيبته بالسهل تمسى ورجله	على القاذفات فى رءوس المناقب[8]
فلما أتاكم نصر ذى العرش ردهم	جنود المليك بين ساف وحاصب[9]
فولوا سراعا هاربين ولم يؤب	إلى أهــلــه ملحبش غير عصائب
فإن تهلكوا نهلك وتهلك مواسم	يعاش بها. قول امرئ غير كاذب

قال ابن هشام: أنشدنى بيته، «وماء هريق»، وبيته: «فبيعوا الحراب»، وقوله: «ولى امرئ فاختار»، وقوله:

على القاذفات فى رءوس المناقب

أبو زيد الأنصارى وغيره.

حرب داحس والغبراء: قال ابن هشام: وأما قوله:

ألم تعلموا ما كان فى حرب داحس

فحدثنى أبو عبيدة النحوى: أن داحسا فرس كان لقيس بن زهير بن خذيمة بن رواحة بن ربيعة بن الحارث بن مازن بن قطيعة بن عبس بن بغيض ابن ريث بن

---

(١) الذوائب: الأعالى. (٢) الأحلام: العقول. والعوازب: البعيدة.

(٣) سرة الشئ: خيره وأعلاه، وشم: جمع أشم، وهو العالى المرتفع. والأرانب: جمع أرنبة وهى القصبة التى فيها ثقب الأنف.

(٤) غير أشائب: يعنى أنها خالصة النسب. (٥) الجباجب: المنازل.

(٦) المواكب: جمع موكب، وهى الجماعة من الخيل.

(٧) صلوا: أى ادعوا. والأخاشب جبال مكة.

(٨) القاذفات: قمم الجبال. والمناقب الطرق التى فيها.

(٩) الساخى: من يثير الغبار. والحاصب: الذى يثير الحصباء أى ينقلها.

غطفان؛ أجراه مع فرس لحذيفة بن بدر بن عمرو بن زيد بن جؤية بن لوذان بن ثعلبة ابن عدى بن فزارة بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان، يقال لها: الغبراء. فدس حذيفة قوما وأمرهم أن يضربوا وجه داحس إن رأوه قد جاء سابقا، فجاء داحس سابقا فضربوا وجهه، وجاءت الغبراء. فلما جاء فارس داحس أخبر قيسا الخبر، فوثب أخوه مالك بن زهير فلطم وجه الغبراء، فقام حمل بن بدر فلطم مالكا. ثم إن أبا الجنيدب العبسى لقى عوف بن حذيفة فقتله، ثم لقى رجل من بنى فزارة مالكا فقتله، فقال حمل بن بدر أخو حذيفة بن بدر:

قتلنا بعوف مالكـا وهـو ثأرنـا ... فإن تطلبـوا منا سـوى الحـق تندموا

وهذا البيت فى أبيات له. وقال الربيع بن زياد العبسى:

أفبعـد مقتل مـالك بـن زهـير ... ترجـو النسـاء عواقـب الأطهـار[1]

وهذا البيت فى قصيدة له.

فوقعت الحرب بين عبس وفزارة، فقتل حذيفة بن بدر وأخوه حمل بن بدر، فقال قيس بن زهير بن جذيمة يرثى حذيفة، وجزع عليه:

كم فارس يدعى وليس بفارس ... وعلى الهباءة فارس ذو مصدق[2]
فابكوا حذيفة لن ترثوا مثله ... حتى تبيد قبائل لم تخلق[3]

وهذان البيتان فى أبيات له. وقال قيس بن زهير:

علـى أن الفتـى حـمل بـن بـدر ... بغـى والظلـم مرتعـه وخـيم

وهذا البيت فى أبيات له. وقال الحارث بن زهير أخو قيس بن زهير:

تركت علـى الهباءة غيـر فخـر ... حـذيفة عنـده قصـد العـوالـى[4]

وهذا البيت فى أبيات له:

قال ابن هشام: ويقال: أرسل قيس داحسا والغبراء، وأرسل حذيفة الخطار والحنفاء، والأول أصح الحديثين. وهو حديث طويل منعنى من استقصائه قطعه

(١) الأطهار: جمع طهر وهو النقاء من الحيض.
(٢) الهباءة: مكان فى بلاد غطفان.
(٣) ترثوا: من الرثاء.
(٤) القصد: القطع المتكسرة. والعوالى: الرماح.

حديث سيرة رسول الله ﷺ.

حرب حاطب: قال ابن هشام: وأما قوله: «حرب حاطب». فيعنى حاطب بن الحارث بن قيس بن هيشة بن الحارث بن أمية بن معاوية بن مالك ابن عوف بن عمرو ابن عوف بن مالك بن الأوس، كان قتل يهوديا جارا للخزرج، فخرج إليه يزيد بن الحارث بن قيس بن مالك بن أحمر بن حارثة ابن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج - وهو الذى يقال له: ابن فسحم، وفسحم أمه، وهى امرأة من القين بن جسر - ليلا فى نفر من بنى الحارث بن الخزرج فقتلوه، فوقعت الحرب بين الأوس والخزرج فاقتتلوا قتالا شديدا، فكان الظفر للخزرج على الأوس، وقتل يومئذ سويد بن صامت بن خالد بن عطية بن حوط بن حبيب بن عمرو بن عوف بن مالك ابن الأوس، قتله المجذر بن ذياد البلوى، واسمه عبد الله، حليف بنى عوف ابن الخزرج. فلما كان يوم أحد خرج المجذر بن ذياد مع رسول الله ﷺ، وخرج معه الحارث بن سويد بن صامت، فوجد الحارث بن سويد غرة من المجذر فقتله بأبيه. وسأذكر حديثه فى موضعه إن شاء الله تعالى. ثم كانت بينهم حروب منعنى من ذكرها واستقصاء هذا الحديث ما ذكرت فى حديث حرب داحس.

شعر حكيم بن أمية فى نهى قومه عن عداوة الرسول: قال ابن إسحاق: وقال حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص السلمى، حليف بنى أمية وقد أسلم، يورع قومه[1] عما أجمعوا عليه من عداوة رسول الله ﷺ، وكان فيهم شريفا مطاعا:

هل قائل قولا من الحق قاعد ... عليه وهل غضبان للرشد سامع

وهل سيد ترجو العشيرة نفعه ... لأقصى الموالى والأقارب جامع

تبرأت إلا وجه من يملك الصبا ... وأهجركم ما دام مدل ونازع[2]

وأسلم وجهى للإله ومنطقى ... ولو راعنى من الصديق روائع

****

ذكر ما لقى رسول الله ﷺ من قومه

سفهاء قريش يأذونه: قال ابن إسحاق: ثم إن قريشا اشتد أمرهم للشقاء الذى

(١) يورع قومه عما أجمعوا إليه: أى يصرفهم ويكفهم عنه.
(٢) مدل: هو مرسل الدلو فى البئر. ونازع: هو الذى يجذبها من البئر.

أصابهم فى عداوة رسول الله ﷺ معه منهم، فأغروا رسول الله ﷺ مظهر لأمر الله لا يستخفى به، مبادلهم بما يكرهون من عيب دينهم، واعتزال أوثانهم، وفراقه إياهم على كفرهم.

أشد ما أوذى به الرسول (ﷺ): قال ابن إسحاق: فحدثنى يحيى بن عروة بن الزبير، عن أبيه عروة بن الزبير، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: قلت له: ما أكثر ما رأيت قريشا أصابوا من رسول الله ﷺ فيما كانوا يظهرون من عداوته؟ قال: حضرتهم وقد اجتمع أشرافهم يوما فى الحجر، فذكروا رسول الله ﷺ، فقالوا: ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل قط، سفه أحلامنا، وشتم آباءنا، وعاب ديننا، وفرق جماعتنا، وسب آلهتنا، لقد صبرنا منه على أمر عظيم، أو كما قالوا: فبينا هم فى ذلك إذ طلع رسول الله ﷺ، فأقبل يمشى حتى استلم الركن، ثم مر بهم طائفا بالبيت، فلما مر بهم غمزوه[1] ببعض القول. قال: : فعرفت ذلك فى وجه رسول الله ﷺ. قال: ثم مضى، فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها، فعرفت ذلك فى وجه رسول الله ﷺ. ثم مر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها، فوقف ثم قال: «**أتسمعون يا معشر قريش، أما والذى نفسى بيده، لقد جئتكم بالذبح**» قال: فأخذت القوم كلمته حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقع، حتى إن أشدهم فيه وصاة[2] قبل ذلك ليرفؤه[3] بأحسن ما يجد من القول، حتى إنه ليقول: انصرف يا أبا القاسم، فوالله ما كنت جهولا. قال: فانصرف رسول الله ﷺ، حتى إذا كان الغد اجتمعوا فى الحجر وأنا معهم، فقال بعضهم لبعض: ذكرتم ما بلغ منكم، وما بلغكم عنه، حتى إذا باداكم بما تكرهون تركتموه. فبينما هم فى ذلك طلع عليهم رسول الله ﷺ، فوثبوا إليه وثبة رجل واحد، وأحاطوا به، يقولون: أنت الذى تقول كذا وكذا، لما كان يقول من عيب آلهتهم ودينهم، فيقول رسول الله ﷺ: « **نعم: أنا الذى أقول ذلك**» قال: فلقد رأيت رجلا منهم أخذ بمجمع ردائه. قال: فقام: أبو بكر رضى الله عنه دونه، وهو يبكى ويقول: أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله؟ ثم انصرفوا عنه، فإن ذلك لأشد ما رأيت قريشا نالوا منه قط.[4]

قال ابن إسحاق، وحدثنى بعض آل أم كلثوم بنت أبى بكر، أنها قالت: رجع

---

(١) غمزوه: أى طعنوا فيه بالقول. (٢) الوصاة: يعنى الذين كانوا يحرضون عليه ويوصون بإيذائه.

(٣) يرفئوه: يهدئه ويسكنه.

(٤) إسناده صحيح: ورواه الطبرى فى «تاريخه»(٢/ ٣٣٢_٣٣٣) من طريق ابن إسحاق، ورواه أبو نعيم فى «دلائل النبوة»(ص١٦٤_١٦٥).

أبو بكر يومئذ وقد صدعوا فرق رأسه، مما جبذوه بلحيته وكان رجلا كثير الشعر.

قال ابن هشام: حدثنى بعض أهل العلم: أشد ما لقى رسول الله ﷺ من قريش أنه خرج يوما فلم يلقه أحد من الناس إلا كذبه وآذاه، لا حر ولا عبد، فرجع رسول الله ﷺ إلى منزله، فتدثر من شدة ما أصابه، فأنزل الله تعالى عليه: ﴿**يا أيها المدثر. قم فأنذر**﴾[1].

إسلام حمزة رضى الله عنه

سبب إسلامه: قال ابن إسحاق: حدثنى رجل من أسلم، كان واعية: أن أبا جهل مر برسول الله ﷺ عند الصفا، فآذاه وشتمه، ونال منه بعض ما يكره من العيب لدينه، والتضعيف لأمره؛ فلم يكلمه رسول الله ﷺ، ومولاة لعبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة فى مسكن لها تسمع ذلك، ثم انصرف عنه فعمد إلى ناد من قريش عند الكعبة، فجلس معهم، فلم يلبث حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه أن أقبل متوشحًا قوسه[2]، راجعا من قنص[3] يرميه ويخرج له، وكان إذا رجع من قنصه لم يصل إلى أهله حتى يطوف بالكعبة، وكان إذا فعل ذلك لم يمر على ناد من قريش إلا وقف وسلم وتحدث معهم، وكان أعز فتى فى قريش، وأشد شكيمة. فلما مر بالمولاة، وقد رجع رسول الله ﷺ إلى بيته، قالت له: ياأبا عمارة، لو رأيت ما لقى ابن أخيك محمد آنفا من أبى الحكم بن هشام: وجده ها هنا جالسا فآذاه وسبه وبلغ منه ما يكره ثم انصرف عنه ولم يكلمه محمد ﷺ.

فاحتمل حمزة الغضب لما أراد الله به من كرامته، فخرج يسعى ولم يقف على أحد، مُعدًا لأبى جهل إذا لقيه أن يوقع به؛ فلما دخل المسجد نظر إليه جالسا فى القوم، فأقبل نحوه، حتى إذا قام على رأسه رفع القوس فضربه بها فشجه شجة منكرة، ثم قال: أتشتمه وأنا على دينه أقول ما يقول؟ فرد ذلك علىّ إن استطعت، فقامت رجال من بنى مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل؛ فقال أبو جهل: دعوا أبا عمارة، فإنى والله قد سببت ابن أخيه سبا قبيحا، وتم حمزة رضى الله عنه على إسلامه، وعلى ما تابع عليه رسول الله ﷺ من قوله. فلما أسلم حمزة عرفت قريش أن رسول الله ﷺ قد عز وامتنع، وأن حمزة سيمنعه، فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه.

---

(١) المدثر: ١ - ٢. (٢) متوشحًا قوسه: أى يتقلده كما يتقلد السيف.
(٣) القنص: الصيد.

عتبة بن ربيعة يفاوض الرسول ﷺ

قال ابن إسحاق: وحدثنى يزيد بن زياد، عن محمد بن كعب القرظى، قال: حدثت أن عتبة بن ربيعة، وكان سيدا، قال يوما وهو جالس فى نادى قريش، ورسول الله ﷺ جالس فى المسجد وحده: يا معشر قريش، ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أمورا لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء، ويكف عنا؟ وذلك حين أسلم حمزة، ورأوا أصحاب رسول الله ﷺ يزيدون ويكثرون؛ فقالوا: بلى يا أبا الوليد، قم إليه فكلمه؛ فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا بن أخى، إنك منا حيث قد علمت من السطة فى العشيرة، والمكان فى النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم وكفرت به من مضى من آبائهم، فاسمع منى أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها. قال: فقال له رسول الله ﷺ: « **قل يا أبا الوليد، أسمع** » قال: يابن أخى، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا، وإن كنت تريد به شرفا سودناك علينا، حتى لا نقطع أمرا دونك، وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا؛ وإن كان هذا الذى يأتيك رئيا[1] تراه لا تستطيع رده عن نفسك، طلبنا لك الطب، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه أو كما قال له. حتى إذا فرغ عتبة، ورسول الله ﷺ يستمع منه، قال: «**أقد فرغت يا أبا الوليد؟**» قال: نعم؛ قال: « **فاسمع منى** »؛ قال: أفعل؛ فقال ﴿**بسم الله الرحمن الرحيم. حم. تنزيل من الرحمن الرحيم. كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون. بشيرا ونذيرا. فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون. وقالوا قلوبنا فى أكنة مما تدعونا إليه**﴾[2] ثم مضى رسول الله ﷺ فيها يقرؤها عليه. فلما سمعها منه عتبة أنصت لها، وألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليهما يسمع منه؛ ثم انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة منها، فسجد ثم قال: «**قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت، فأنت وذاك**».

رأى عتبة: فقام عتبة إلى أصحابه، فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذى ذهب به. فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: ورائى أنى قد سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر، ولا بالسحر، ولا بالكهانة، يا معشر قريش، أطيعونى واجعلوها بى، وخلوا بين هذا

(١) الرئى: ما يظهر للناس من الجن. (٢) فصلت: ١ ـ ٥.

الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذى سمعت منه نبأ عظيم، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم، وعزه عزكم، وكنتم أسعد الناس به؛ قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه؛ قال: هذا رأيى فيه، فاصنعوا ما بدا لكم.(١)

قريش تفتن المسلمين: قال ابن إسحاق: ثم إن الإسلام جعل يفشو بمكة فى قبائل قريش فى الرجال والنساء، وقريش تحبس من قدرت على حبسه، وتفتن من استطاعت فتنته من المسلمين ثم إن أشراف قريش من كل قبيلة، كما حدثنى بعض أهل العلم عن سعيد بن جبير، وعن عكرمة مولى ابن عباس، عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال:

زعماء قريش تفاوض الرسول (ﷺ) اجتمع عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو سفيان بن حرب، والنضر بن الحارث، أخو بنى عبد الدار، وأبو البخترى بن هشام والأسود بن المطلب بن أسد، وزمعة بن الأسود، والوليد بن المغيرة، وأبو جهل بن هشام وعبد الله بن أبى أمية، والعاص بن وائل، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج السهميان، وأمية بن خلف، أو من اجتمع منهم. قال: اجتمعوا بعد غروب الشمس بعد ظهر الكعبة، ثم قال بعضهم لبعض: ابعثوا إلى محمد فكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه، فبعثوا إليه: إن أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك، فأتهم؛ فجاءهم رسول الله ﷺ سريعا، وهو يظن أن قد بدا لهم فيما كلمهم فيه بداء، وكان عليهم حريصا يحب رشدهم ، ويعز عليه عنتهم، حتى جلس إليهم؛ فقالوا له: يامحمد ، إنا قد بعثنا إليك لنكلمك، وإنا والله مانعلم رجلا من العرب أدخل على قومه مثل ما أدخلت على قومك، لقد شتمت الآباء ، وعبت الدين، وشتمت الآلهة، وسفهت الأحلام، وفرقت الجماعة، فمابقى أمر قبيح إلا قد جئته فيما بيننا وبينك - أو كما قالوا له - فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب به مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا وإن كنت إنما تطلب به الشرف فينا، فنحن نسودك علينا، وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا، وإن كان هذا الذى يأتيك رئيا تراه قد غلب عليك - وكانوا يسمون التابع من الجن رئيا - فربما كان ذلكو بذلنا لك أموالنا فى طلب الطب لك حتى ترئك منه، أو نُعْذر فيك؛ فقال لهم رسول الله ﷺ: مابى ماتقولون، جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم، ولا الشرف فيكم، ولا الملك عليكم،

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٩٠ - ٩١).

ولكن الله بعثنى إليكم رسولا، وأنزل علىّ كتابا، وأمرنى أن أكون لكم بشيرًا ونذيرًا، فبلغتكم رسالات ربى، ونصحت لكم، فإن تقبلوا منى ماجئتكم به، فهو حظكم فى الدنيا والآخرة، وإن تردوه علىَّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم، أو كما قال ﷺ. قالوا: يامحمد، فإن كنت غير قابل منا شيئا مما عرضناه عليك فإنك قد علمت أنه ليس من الناس أحد أضيق بلدًا، ولا أقل ماء، ولا أشد عيشًا منا، فسل لنا ربك الذى بعثك بما بعثك به، فليسير عنا عنا هذه الجبال التى قد ضيقت علينا، وليبسط لنا بلادنا، وليفجر لنا فيها أنهارًا كأنهار الشام والعراق، وليبعث لنا من مضى من آبائنا، وليكن فيمن يبعث لنا منهم قصى بن كلاب، فإنه كان شيخ صدق، فنسألهم عما تقول: أحق هو أم باطل، فإن صدقوك وصنعت ما سألناك صدقناك، وعرفنا به منزلتك من اللهوأنه بعثك رسولا كما تقول. فقال لهم صلوات الله وسلامه عليه: ما بهذا بعثت إليكم من الله، إنما جئتكم من الله بما بعثنى به، وقد بلغتكم ما أرسلت به إليكم، فإن تقبلوه فهو حظكم فى الدنيا والاخرة، وإن تردوه على أصبر لأمر الله تعالى، حتى يحكم الله بينى وبينكم؛ قالوا: فإذا تفعل هذا لنا، فخذ لنفسك، سل ربك بأن يبعث معك ملكا يصدقك بما تقول، ويراجعنا عنك وسله فليجعل لك جنانا وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك تبتغى، فإنك تقوم بالأسواق كما نقوم، وتلتمس المعاش كما نلتسمه، حتى نعرف فضلك ومنزلتك من ربك إن كنت رسولا كما تزعم؛ فقال لهم رسول الله ﷺ: ما أنا بفاعل، وما أنا بالذى يسأل ربه هذا، وما بعثت إليكم بهذا، ومابُعثت إليكم بهذا، ولكن الله بعثنى بشيرًا ونذيرًا - أو كما قال - فإن تقبلوا ماجئتكم به فهو حظكم فى الدنيا والاخرة، وإن تردوه علىّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم قالوا: فأسقط السماء علينا كسفًا كما زعمت أن ربك إن شاء فعل أن يفعله بكم فعل؛ قالوا: يامحمد، أفما علم ربك أنا سنجلس معك ونسألك عما سألناك عنه، ونطلب منك مانطلب، فيتقدم فيعلمك ما تُراجعنا به، ويخبرك ما هو صانع فى ذلك بنا، إذ لم نقبل منك ما جئتنا به إنه قد بلغنا أنك إنما يعلمك هذا رجل باليمامة يقال له: الرحمن، وإنا والله لا نؤمن بالرحمن أبدا، فقد أعذرنا إليك يا محمد، وإنا والله لا نتركك وما بلغت منا حتى نهلكك، أو تهلكنا. وقال قائلهم: نحن نعبد الملائكه، وهى بنات الله. وقال قائلهم: لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلا.

فلما قالوا ذلك لرسول الله ﷺ، قام عنه، وقام معه عبد الله بن أبى أمية بن

المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ـ وهو ابن عمته، فهو لعاتكة بنت عبد المطلب ـ فقال له: يا محمد، عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم، ثم سألوك لأنفسهم أمورا ليعرفوا بها منزلتك من الله كما تقول، ويصدقوك ويتبعوك فلم تفعل، ثم سألوك أن تأخذ لنفسك ما يعرفون به فضلك عليهم، ومنزلتك من الله، فلم تفعل، ثم سألوك أن تعجل لهم بعض ما تخوفهم به من العذاب، فلم تفعل ـ أو كما قال له ـ فوالله لا أومن بك أبدا حتى تتخذ إلى السماء سلما، ثم ترقى فيه وأنا أنظر إليك حتى تأتيها، ثم تأتى معك أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول، وايم الله، لو فعلت ذلك ما ظننت أنى أصدقك، ثم انصرف عن رسول الله ﷺ. وانصرف رسول الله ﷺ إلى أهله حزينا آسفا لما فاته مما كان يطمع به من قومه حين دعوه، ولما رأى من مباعدتهم إياه.

أبو جهل يتوعد الرسول (ﷺ): فلما قام عنهم رسول الله ﷺ. قال أبو جهل: يا معشر قريش، إن محمدا قد أبى إلا ما ترون من عيب ديننا، وشتم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وشتم آلهتنا، وإنى أعاهد الله لأجلسن له غدا بحجر ما أطيق حمله ـ أو كما قال ـ فإذا سجد فى صلاته نضخت به رأسه، فأسلمونى عند ذلك أو امنعونى، فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم. قالوا: والله لا نسلمك لشىء أبدا، فامض لما تريد.

فلما أصبح أبو جهل، أخذ حجرا كما وصف، ثم جلس لرسول الله ﷺ ينتظره، وغدا رسول الله ﷺ كما كان يغدو. وكان رسول الله ﷺ بمكة وقبلته إلى الشام، فكان إذا صلى صلى بين الركن اليمانى والحجر الأسود، وجعل الكعبة بينه وبين الشام، فقام رسول الله ﷺ يصلى وقد غدت قريش فجلسوا فى أنديتهم ينتظرون ما أبو جهل فاعل، فلما سجد رسول الله ﷺ احتمل أبو جهل الحجر، ثم أقبل نحوه، حتى إذا دنا منه رجع منهزما منتقعا لونه مرعوبا قد يبست يداه على حجره، حتى قذف الحجر من يده، وقامت إليه رجال قريش، فقالوا له: ما لك يا أبا الحكم؟ قال: قمت إليه لأفعل به ماقلت لكم البارحة، فلما دنوت منه عرض لى دونه فحل من الإبل، لا والله ما رأيت مثل هامته، ولا مثل قصرته ولا أنيابه لفحل قط، فهم بى أن يأكلنى.

قال ابن إسحاق: فذكر لى أن رسول الله ﷺ، قال: ذلك جبريل عليه السلام، لو دنا لأخذه.

النضر بن الحارث ينصح قريشا: فلما قال لهم ذلك أبو جهل، قام النضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصى.

قال هشام: ويقال النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف.

قال ابن إسحاق: فقال: يا معشر قريش، إنه والله قد نزل بكم أمر ما أتيتم له بحيلة بعد، قد كان محمد فيكم غلاما حدثا أرضاكم فيكم، وأصدقكم حديثا، وأعظمكم أمانة، حتى إذا رأيتم فى صدغيه الشيب، وجاءكم بما جاءكم به، قلتم ساحر، لا والله ما هو بساحر، لقد رأينا السحرة ونفثهم وعقدهم، وقلتم كاهن، لا والله ما هو بكاهن، قد رأينا الكهنة وتخالجهم وسمعنا سجعهم، وقلتم شاعر، لا والله ما هو بشاعر، قد رأينا الشعر، وسمعنا أصنافه كلها: هزجه ورجزه، وقلتم مجنون، لا والله ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون فما هو بخنقه، ولا وسوسته، ولا تخليطه، يا معشر قريش، فانظروا فى شأنكم، فإنه والله لقد نزل بكم أمر عظيم.

أذى النضر للرسول (ﷺ):وكان النضر بن الحارث من شياطين قريش، وممن كان يؤذى رسول الله ﷺ، وينصب له العداوة، وكان قد قدم الحيرة، وتعلم بها أحاديث ملوك الفرس، وأحاديث رستم واسفنديار[1]، فكان إذا جلس رسول الله ﷺ مجلسا فذكر فيه بالله، وحذر قومه ما أصاب من قبلهم من الأمم من نقمة الله، خلفه فى مجلسه إذا قام، ثم قال: أنا والله يا معشر قريش، أحسن حديثا منه، فهلم إلىّ، فأنا أحدثكم أحسن من حديثه، ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورستم واسبنديار، ثم يقول: بماذا محمد أحسن حديثا منى؟.

قال ابن هشام: وهو الذى قال فيما بلغنى: سأنزل مثل ما أنزل الله.

قال ابن إسحاق: وكان ابن عباس رضى الله عنهما يقول، فيما بلغنى: نزل فيه ثمان آيات من القرآن: قول الله عز وجل: **﴿إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين﴾**[2] . وكل ما ذكر فيه من الأساطير من القرآن.

قريش تسأل أحبار اليهود فى شأنه عليه الصلاة والسلام: فلما قال لهم ذلك النضر بن الحارث بعثوه، وبعثوا معه عقبة بن أبى معيط إلى أحبار يهود بالمدينة، وقالوا لهما: سلاهم عن محمد، وصفا لهم صفته، وأخبراهم بقوله، فإنهم أهل الكتاب الأول، وعندهم علم ليس عندنا من علم الأنبياء، فخرجا حتى قدما المدينة،

(١) رستم واسفنديار: هى حكيمان من حكماء الفرس. (٢) القلم: ١٥.

فسألا أحبار يهود عن رسول الله ﷺ، ووصفا لهم أمره، وأخبراهم ببعض قوله، وقالا لهم: إنكم أهل التوراة، وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا؛ فقالت لهما أحبار يهود: سلوه عن ثلاث نأمركم بهن، فإن أخبركم بهن فهو نبى مرسل، وإن لم يفعل فالرجل متقول، فروا فيه رأيكم. سلوه عن فتيه ذهبوا فى الدهر الأول ما كان أمرهم؛ فإنه قد كان لهم حديث عجب، وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه، وسلوه عن الروح ما هى؟ فإذا أخبركم بذلك فاتبعوه، فإنه نبى، وإن لم يفعل، فهو رجل متقول، فاصنعوا فى أمره ما بدا لكم.

فأقبل النضر بن الحارث، وعقبة بن أبى معيط بن أبى عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى حتى قدما مكة على قريش، فقالا: يا معشر قريش، قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد، قد أخبرنا أحبار يهود أن نسأله عن أشياء أمرونا بها، فإن أخبركم عنها فهو نبى، وإن لم يفعل فالرجل متقول، فروا فيه رأيكم.

قريش تسأل والرسول يجيب: فجاءوا رسول الله ﷺ، فقالوا: يا محمد أخبرنا عن فتية ذهبوا فى الدهر الأول قدكانت لهم قصة عجب، وعن رجل كان طوافا قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها، وأخبرنا عن الروح ما هى؟ قال: فقال لهم رسول الله ﷺ: أخبركم بما سألتم عنه غدا، ولم يستثن، فانصرفوا عنه. فمكث رسول الله ﷺ - فيما يذكرون - خمس عشرة ليلة لا يحدث الله إليه فى ذلك وحيا، ولا يأتيه جبريل، حتى أوجف أهل مكة، وقالوا: وعدنا محمد غدا، واليوم خمس عشرة ليلة، قد أصبحنا منها لا يخبرنا بشىء مما سألناه عنه، وحتى أحزن رسول الله ﷺ مكث الوحى عنه، وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة: ثم جاءه جبريل من الله عز وجل بسورة أصحاب الكهف، فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم، وخبر ما سألوه عنه من أمر الفتية، والرجل الطواف والروح.

الرد على قريش فيما سألوه: قال ابن إسحاق: فذكر لى أن رسول الله ﷺ قال لجبريل حين جاءه لقد احتبست عنى ياجبريل حتى سؤت ظنا؛ فقال له جبريل: **﴿وما نتنزل إلا بأمر ربك. له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا﴾**[1].

فافتتح السورة تبارك وتعالى بحمده وذكر نبوة رسوله، لما أنكروه عليه من ذلك،

---

(١) مريم: ٦٤.

فقال: ﴿**الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب**﴾ يعنى محمدا ﷺ، إنك رسول منى: أى تحقيق لما سألوه عنه من نبوتك. ﴿**ولم يجعل له عوجا قيما**﴾: أى معتدلا، لا اختلاف فيه. ﴿**لينذر بأسا شديدا من لدنه**﴾: أى عاجل عقوبته فى الدنيا. وعذابا أليما فى الآخرة: أى من عند ربك الذى بعث رسولا. ﴿**ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا. ماكثين فيه أبدا**﴾ أى دار الخلد. لا يموتون فيها الذين صدقوك بما جئت به مما كذبك به غيرهم: وعملوا بما أمرتهم به من الأعمال. ﴿**وتنذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا**﴾ يعنى قريشا فى قولهم: إنا نعبد الملائكة: وهى بنات الله. ﴿**ما لهم به من علم ولا لآبائهم**﴾ الذين أعظموا فراقهم وعيب دينهم ﴿**كبرت كلمة تخرج من أفواههم**﴾: أى لقولهم: إن الملائكة بنات الله ﴿**إن يقولون إلا كذبا. فلعلك باخع نفسك**﴾ يا محمد ﴿**على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا**﴾[1]: أى لحزنه عليهم حين فاته ما كان يرجو منهم، أى لا تفعل.

قال ابن هشام: باخع نفسك: فيما حدثنى أبو عبيدة. قال ذو الرمة:

ألا أيهذا الباخع الوجد نفسه لشىء نحته عن يديه المقادر

وجمعه: باخعون وبخعة. وهذا البيت فى قصيدة له. وتقول العرب: قد بخعت له نصحى ونفسى: أى جهدت له. ﴿**إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا**﴾[2].

قال ابن إسحاق: أى أيهم أتبع لأمرى، وأعمل بطاعتى. و﴿ **إنا لجاعلون ما عليها صعيداً جرزا**﴾ أى: الأرض، وإن ما عليها لفان وزائل، وإ المرجع إلىّ، فأجزى كل بعمله، فلا تأس ولا يحزنك ماتسمع وترى فيها.

قال ابن هشام: الصعيد: الأرض، وجمعه صعد. قال ذو الرمة يصف ظبية صغيرا:

كأنه بالضحى ترمى الصعيد به دبابة فى عظام الرأس خرطوم

وهذا البيت فى قصيدة له. والصعيد: الطريق، وقد جاء فى الحديث: إياكم والقعود على الصعدات، يريد الطرق. والجرز: الأرض التى لا تنبت شيئا، وجمعها: أجراز. ويقال: سنة جرز، وسنون أجراز، وهى التى لا يكون فيها مطر، وتكون فيها جدوبة ويبس وشدة.

---

(١) الكهف: ١ ـ٦.

(٢) الكهف: ١٠ ـ ١٢.

قال ذو الرمة يصف إبلا:

طوى النحز والأجراز ما فى بطونها ... فمـا بقيـت إلا الضلـوع الجراشع

وهذا البيت فى قصيدة له.

أهل الكهف: قال ابن إسحاق: ثم استقبل قصة الخبر فيما سألوه عنه من شأن الفتية، فقال: **﴿أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا﴾**: أى قد كان من آياتى فيما وضعت على العباد من رحججى ما هو أعجب من ذلك.

قال ابن هشام: والرقيم: الكتاب الذى رقم فيه بخبرهم، وجمعه: رقم. قال العجاج:

ومستقر المصحف المرقم

وهذا البيت فى أرجوزة له:

قال ابن إسحاق: ثم قال تعالى: **﴿إذا أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا. فضربنا على آذانهم فى الكهف سنين عددا. ثم بعثناهم لنعلم أى الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا﴾**[1]. ثم قال تعالى: **﴿نحن نقص عليك نبأهم بالحق﴾**: أى بصدق الخبر عنهم **﴿إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى، وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه إلها لقد قلنا إذا شططا﴾**[2]: أى لم يشركوا بى كما أشركتم بى ما ليس لكم به علم.

قال ابن هشام: والشطط: الغلو ومجاوزة الحق. قال أعشى بنى قيس بن ثعلبة:

لا ينتهـون ولا ينهـى ذوى شطط ... كالطعن يـذهـب فيـه الزيـت والفـل

وهذا البيت فى قصيدة له.

﴿هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين﴾[3].

قال ابن إسحاق: أى بحجة بالغة.

﴿فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا. وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته، ويهيئ لكم من أمركم مرفقا. وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم فى فجوة منه﴾[4].

---

(١) الكهف: ١٠ ـ ١٢. (٢) الكهف: ١٣ ـ ١٤.
(٣) الكهف: ١٤. (٤) الكهف: ١٤ ـ ١٧.

قال ابن هشام: تزاور: تميل، وهو من الزور. وقال امرؤ القيس بن حجر

وإنى زعيم إن رجعت مملكا ... بسير ترى منه الفرانق أزورا

وهذا البيت فى قصيدة له. وقال أبو الزحف الكلبى يصف بلدا:

جأب المندى عن هوانا أزور ... ينضى المطايا خمسه العُشَنْزَرْ

وهذان البيتان فى أرجوزة له. و ﴿تقرضهم ذات الشمال﴾: تجاوزهم وتتركهم عن شمالها. قال ذو الرمة:

إلى ظعن يقرض أقواز مشرف ... شمالا وعن أيمانهن الفوارس

وهذا البيت فى قصيدة له والفجوة: السعة، وجمعها: الفجاء. قال الشاعر:

ألبست قومك مخزاة ومنقصة ... حتى أبيحوا وخلوا فجوة الدار

﴿ذلك من آيات الله﴾ أى فى الحجة على من عرف ذلك من أمورهم من أهل الكتاب ممن أمر هؤلاء بمسألتك عنهم فى صدق نبوتك بتحقيق الخبر عنهم: **﴿من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا. وتحسبهم أيقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد﴾**[1].

قال ابن هشام: الوصيد. الباب: قال العبسى، واسمه عبيد بن وهب:

بأرض فلاة لا يسد وصيدها ... علىّ ومعروفى بها غير منكر

وهذا البيت فى أبيات له. والوصيد (أيضا) الفناء، وجمعه: وصائد، ووصد، ووصدان وأصد، وأصدان.

﴿لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا﴾. إلى قوله: **﴿قال الذين غلبوا على أمرهم﴾** أهل السلطان والملك منهم: **﴿لنتخذن عليهم مسجدا سيقولون﴾** يعنى أحبار يهود الذين أمروهم بالمسألة عنهم: **﴿ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب﴾**: أى لا علم لهم. **﴿ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربى أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهرا﴾**: أى لا تكابرهم. **﴿ولا تستفت فيهم منهم أحدا﴾** فإنهم بلا علم لهم بهم. **﴿ولا تقولن لشىء إنى فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله واذكر ربك إذا نسيت وقل**

---

(١) الكهف: ١٧ ـ ١٨.

عسى أن يهدين ربى لأقرب من هذا رشدا﴾: أى ولا تقولن لشىء سألوك عنه كما قلت فى هذا: إنى مخبركم غدا. واستثن مشيئة الله، واذكر ربك إذا نسيت، وقل عسى أن يهدين ربى لخير مما سألتمونى عنه رشدا فإنك لا تدرى ما أنا صانع فى ذلك. **﴿ولبثوا فى كهفهم ثلاث مئة سنين وازدادوا تسعا﴾**: أى سيقولون ذلك. **﴿قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السموات والأرض أبصر به وأسمع ما لهم دونه من ولى ولا يشرك فى حكمه أحدا﴾** [(١)] أى لم يخف عليه شىء مما سألوك عنه.

ذو القرنين: وقال فيما سألوه عنه من أمر الرجل الطواف: **﴿ويسئلونك عن ذى القرنين قال سأتلو عليكم منه ذكرا. إنا مكنا له فى الأرض وآتيناه من كل شىء سببا﴾**[(٢)] حتى انتهى إلى آخر قصة خبره.

وكان من خبر ذى القرنين أنه أوتى ما لم يؤت أحد غيره، فمدت له الأسباب حتى انتهى من البلاد إلى مشارق الأرض ومغاربها، لا يطأ أرضا إلا سلط على أهلها، حتى انتهى من المشرق والمغرب إلى ما ليس وراءه شىء من الخلق.

قال ابن إسحاق: فحدثنى من يسوق الأحاديث عن الأعاجم فيما توارثوا من علمه: أن ذا القرنين كان رجلا من أهل مصر. اسمه مرزبان بن مرذبة اليونانى، من ولد يونان بن يافث بن نوح.

قال ابن هشام: واسمه الإسكندر، وهو الذى بنى الإسكندرية فنسبت إليه.

قال ابن إسحاق: وقد حدثنى ثور بن يزيد عن خالد بن معدان الكلاعى، وكان رجلا قد أدرك: أن رسول الله ﷺ سئل عن ذى القرنين فقال: ملك مسح الأرض من تحتها بالأسباب.

وقال خالد: سمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه رجلا يقول: يا ذا القرنين، فقال عمر: اللهم غفرا، وأما رضيتم أن تسموا بالأنبياء حتى تسميتم بالملائكة.

قال ابن إسحاق: الله أعلم أى ذلك كان، أقال ذلك رسول الله ﷺ، أم لا؟ فإن كان قاله، فالحق ما قال.

أمر الروح: وقال تعالى فيما سألوه عنه من الروح: **﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾**[(٣)].

---

(١) الكهف: ١٧ ـ ٢٦. (٢) الكهف: ٨٣ ـ ٨٤. (٣) الإسراء: ٨٥.

ما أوتيتم من العلم إلا قليلا: قال ابن إسحاق: وحدثت عن ابن عباس، أنه قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة، قالت أحبار يهود: يا محمد، أرأيت قولك: ﴿**وما أوتيتم من العلم إلا قليلا**﴾ إيانا تريد، أم قومك؟ قال: «**كلا**» قالوا: فإنك تتلو فيما جاءك: أنا قد أوتينا التوراة فيها بيان كل شيء. فقال رسول الله ﷺ: «**إنها فى علم الله قليل، وعندكم فى ذلك ما يكفيكم لو أقمتموه**». قال: فأنزل الله تعالى عليه فيما سألوه عنه من ذلك ﴿**ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعد سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم**﴾(١): أى أن التوراة فى هذا من علم الله قليل.

تسيير الجبال وبعث الموتى: قال وأنزل الله تعالى عليه فيما سأله قومه لأنفسهم من تسيير الجبال، وتقطيع الأرض، وبعث من مضى من آبائهم من الموتى: ﴿**ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى بل لله الأمر جميعا**﴾(٢): أى لا أصنع من ذلك إلا ما شئت.

خذ لنفسك: وأنزل عليه فى قولهم: خذ لنفسك، ما سألوه أن يأخذ لنفسه، أن يجعل له جنانا وقصورا وكنوزا، ويبعث معه ملكا يصدقه بما يقول، ويرد عنه: ﴿**وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام، ويمشى فى الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا. أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا. انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا تبارك الذى إن شاء جعل لك خيرا من ذلك**﴾: أى من أن تمشى فى الأسواق وتلتمس المعاش﴿**جنات تجرى من تحتها الأنهار ويجعل لك قصورا**﴾(٣).

وأنزل عليه فى ذلك من قولهم ﴿**وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام، ويمشون فى الأسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتبصرون وكان ربك بصيرا**﴾(٤) أى جعلت بعضكم لبعض بلاء لتصبروا ولو شئت أن أجعل الدنيا مع رسلى فلا يخالفوا لفعلت.

القرآن يرد على ابن أبى أمية: وأنزل الله عليه فيما قال عبد الله بن أبى أمية: ﴿**وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا. أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا. أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتى**

(١) لقمان: ٢٧.
(٢) الرعد: ٣١.
(٣) الفرقان: ٧ ـ ١٠.
(٤) الفرقان: ٢٠.

بالله والملائكة قبيلا. أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربى هل كنت إلا بشرا رسولا﴾[1].

قال ابن هشام: الينبوع: ما نبع من الماء من الأرض وغيرها، وجمعه ينابيع. قال ابن هرمة، واسمه إبراهيم بن على الفهرى:

وإذا هرقت بكل دار عبرة ... نزف الشئون ودمعك الينبوع

وهذا البيت فى قصيدة له. والكسف: القطع من العذاب، وواحدته: كسفة، مثل سدرة وسدر. وهى أيضا: واحدة الكسف. والقبيل: يكون مقابلة ومعاينة، وهو كقوله تعالى: **﴿أو يأتيهم العذاب قبلا﴾**[2]: أى عيانا. وأنشدنى أبو عبيدة لأعشى بنى قيس بن ثعلبة:

أصالحكم حتى تبوءوا بمثلها ... كصرخة حبلى يسرتها قبيلها

يعنى القابلة؛ لأنها تقابلها وتقبل ولدها. وهذا البيت فى قصيدة له. ويقال: القبيل جمعه قبل، وهى الجماعات، وفى كتاب الله تعالى: **﴿وحشرنا عليهم كل شىء قبلا﴾**[3] فقيل: جمع قبيل، مثل سبل: جمع سبيل، وسرر: جمع سرير، وقمص: جمع قميص. والقبيل أيضا: فى مثل من الأمثال، وهو قولهم: ما يعرف قبيلا من دبير: أى لا يعرف من أقبل مما أدبر، قال الكميت بن زيد.

تفرقت الأمور بوجهتيهم ... فما عرفوا الدبير من القبيل

وهذا البيت فى قصيدة له، ويقال: إنما أريد بهذا القبيل: الفتل، فما فتل إلى الذراع فهو القبيل، وما فتل إلى أطراف الأصابع فهو الدبير، وهو من الإقبال والإدبار الذى ذكرت.

ويقال: فتل المغزل. فإذا فتل المغزل إلى الركبة فهو القبيل، وإذا فتل إلى الورك فهو الدبير. والقبيل أيضا: قوم الرجل. والزخرف: الذهب. والمزخرف: المزين بالذهب.

قال العجاج.

من طلل أمسى تخال المصحفا ... رسومه والمذهب المزخرفا

وهذان البيتان فى أرجوزة له، ويقال أيضا لكل مزين: مزخرف.

---

(١) الاسراء: ٩٠ ـ ٩٣. (٢) الكهف: ٥٥. (٣) الأنعام: ١١١.

نفى القرآن أن رجلا من اليمامة يعلمه: قال ابن إسحاق: وأنزل عليه فى قولهم: إنا قد بلغنا أنك إنما يعلمك رجل باليمامة، يقال له الرحمن، ولن نؤمن به أبدا: **﴿كذلك أرسلناك فى أمة قد خلت من قبلها أمم لتتلو عليهم الذى أوحينا إليك وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربى لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب﴾**(١).

ما نزل فى أبى جهل: وأنزل عليه فيما قال أبو جهل بن هشام، وما هم به **﴿أرأيت الذى ينهى. عبدا إذا صلى. أرأيت إن كان على الهدى. أو أمر بالتقوى. أرأيت إن كذب وتولى. ألم يعلم بأن الله يرى. كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية. ناصية كاذبة خاطئة. فليدع ناديه. سندع الزبانية. كلا لا تطعه واسجد واقترب﴾**(٢).

قال ابن هشام: لنسفعا: لنجذبن ولنأخذن. قال الشاعر:

قوم إذا سمعوا الصراخ رأيتهم　　من بين ملجم مهره أو سافع

والنادى: المجلس الذى يجتمع فيه القوم ويقضون فيه أمورهم، وفى كتاب الله تعالى: **﴿وتأتون فى ناديكم المنكر﴾** (٣) وهو الندىّ. قال عبيد بن الأبرص:

اذهب إليك فإنى من بنى أسد　　أهل الندى وأهل الجود والنادى

وفى كتاب الله تعالى: **﴿وأحسن نديا﴾**(٤) وجمعه: أندية. فليدع أهل ناديه. كما قال تعالى: **﴿واسئل القرية﴾**(٥) يريد أهل القرية. قال سلامة بن جندل، أحد بنى سعد بن زيد مناة بن تميم:

يومان يوم مقامات وأندية　　ويوم سير إلى الأعداء تأويب

وهذا البيت فى قصيدة له. وقال الكميت بن زيد:

لا مهاذير فى الندى مكاثيـ　　ـر ولا مصمتن بالإفحام

وهذا البيت فى قصيدة له. ويقال النادى: الجلساء. والزبانية: الغلاظ الشداد، وهم فى هذا الوضع خزنة النار. والزبانية أيضا فى الدنيا أعوان الرجل الذين يخدمونه ويعينونه، والواحد: زبنية. قال ابن الزبعرى فى ذلك:

مطاعيم فى المقرى مطاعين فى الوغى　　زبانية غلب عظام حلومها

يقول: شداد. وهذا البيت فى أبيات له. وقال صخر بن عبد الله الهذلى، وهو

---

(١) الرعد: ٣٠.　(٢) العلق: ٩-١٩.　(٣) العنكبوت: ٢٩.
(٤) مريم: ٧٣.　(٥) يوسف: ٨٢

صخر الغى:

ومن كبير نفر زبانية

وهذا البيت فى أبيات له.

قال ابن إسحاق: وأنزل الله تعالى عليه فيما عرضوا عليه من أموالهم: **﴿قل ما سألتكم من أجر فهو لكم إن أجرى إلا على الله وهو على كل شىء شهيد﴾**[1].

استكبار قريش عن الإيمان بالرسول (ﷺ): فلما جاءهم رسول الله ﷺ بما عرفوا من الحق، وعرفوا صدقه فيما حدث، وموقع نبوته فيما جاءهم به من علم الغيوب حين سألوه عما سألوه عنه، حال الحسد منهم له بينهم وبين اتباعه وتصديقه: فعتوا على الله وتركوا أمره عيانا، ولجوا فيما هم عليه من الكفر، فقال قائلهم **﴿لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون﴾**[2] أى اجعلوه لغوا وباطلا، واتخذوه هزوا لعلكم تغلبونه بذلك. فإنكم إن ناظرتموه أو خاصمتموه يوما غلبكم.

فقال أبو جهل يوما يهزأ برسول الله ﷺ وما جاء به من الحق: يا معشر قريش يزعم محمد أنما جنود الله الذين يعذبونكم فى النار ويحبسونكم فيها تسعة عشر، وأنتم أكثر الناس عددا، وكثرة، أفيعجز كل مئة رجل منكم عن رجل منهم؟ فأنزل الله تعالى عليه فى ذلك من قوله: **﴿وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا﴾**[3] إلى آخر القصة، فلما قال ذلك بعضهم لبعض، جعلوا إذا جهر رسول الله ﷺ بالقرآن وهو يصلى، يتفرقون عنه، ويأبون أن يستمعوا له، فكان الرجل منهم إذا أراد أن يستمع من رسول الله ﷺ بعض ما يتلو من القرآن وهو يصلى، استرق السمع دونهم فرقا منهم، فإن رأى أنهم قد عرفوا أنه يستمع منه ذهب خشية آذاهم فلم يستمع، وإن خفض رسول الله ﷺ فظن الذى يستمع أنهم لا يستمعون شيئا من قراءته وسمع هو شيئا دونهم أصاخ له يستمع منه.[4]

قال ابن إسحاق: حدثنى داود بن الحصين، مولى عمر بن عثمان، أن عكرمة مولى ابن عباس حدثهم أن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما حدثهم: إنما أنزلت هذه الآية **﴿ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا﴾** من أجل أولئك النفر يقول: لا تجهر بصلاتك فيتفرقوا عنك، ولا تخافت بها فلا يسمعها من يحب

(١) سبأ: ٤٧. (٢) فصلت: ٢٦. (٣) المدثر: ٣١.

(٤) فى إسناد هذه الرواية مجهول. ورواها الطبرى فى تفسيره (١٥/ ١٦٤) من طريق ابن إسحاق ثم ذكر لها إسناداً آخر متصلاً وفيه محمد بن محمد الأنصارى وهو مجهول كما قال الحافظ فى «التقريب» (٢/ ٢٠٥).

أن يسمعها ممن يسترق ذلك دونهم لعله يدعون إلى بعض ما يسمع فينتفع به.[1]

****

أول من جهر بالقرآن

قال ابن إسحاق: وحدثني يحيى بن عروة بن الزبير، عن أبيه، قال: كان أول من جهر بالقرآن بعد رسول الله ﷺ بمكة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: اجتمع يوما أصحاب رسول الله ﷺ، فقالوا: والله ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر لها به قط، فمن رجل يسمعهموه؟ فقال عبد الله بن مسعود أنا، قالوا: إنا نخشاهم عليك، إنما نريد رجلا له عشيرة يمنعونه من القوم إن أرادوه؛ قال دعوني فإن الله سيمنعني. قال: فغدا ابن مسعود حتى أتى المقام في الضحى، وقريش في أنديتها، حتى قام عند المقام ثم قرأ: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ رافعا بها صوته ﴿الرحمن علم القرآن﴾[2] قال: ثم استقبلها يقرؤها. قال: فتأملوه فجعلوا يقولون: ماذا قال ابن أم عبد؟ قال: ثم قالوا: إنه ليتلو بعض ما جاء به محمد، فقاموا إليه، فجعلوا يضربون في وجهه، وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ. ثم انصرف إلى أصحابه وقد أثاروا في وجهه، فقالوا له: هذا الذي خشينا عليك؛ فقال: ما كان أعداء الله أهون علي منهم الآن، ولئن شئتم لأغادينهم بمثلها غدا؛ قالوا لا، حسبك، قد أسمعتهم ما يكرهون.[3]

****

قصة استماع قريش إلى قراءة النبي ﷺ

قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري أنه حدث: أن أبا سفيان ابن حرب، وأبا جهل بن هشام، والأخنس بن شريق ابن عمرو بن وهب الثقفي، حليف بني زهرة خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله ﷺ، وهو يصلي من الليل في بيته، فأخذ كل رجل منهم مجلسا يستمع فيه، وكل لا يعلم بمكان صاحبه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق، فتلاوموا، وقال بعضهم لبعض: لا تعودوا، فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئا، ثم انصرفوا. حتى إذا كانت الليلة الثانية، عاد كل رجل منهم إلى مجلسه، فباتوا

---

(١) إسناد هذه الرواية ضعيف. داود بن الحصين ثقة إلا في عكرمة كما في «التقريب» (١/ ٢٣١).
(٢) الرحمن: ١ ـ ٢.
(٣) إسنادها صحيح.

يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق، فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة، ثم انصرفوا. حتى إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق، فقال بعضهم لبعض: لا نبرح حتى نتعاهد ألا نعود على ذلك ثم تفرقوا.

الأخنس يستفهم عما سمعه: فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصاه، ثم خرج حتى أتى أبا سفيان فى بيته، فقال: أخبرنى يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد؟ فقال: يا أبا ثعلبة والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها، وسمعت أشياء ما عرفت معناها ولا ما يراد بها؛ قال الأخنس: وأنا والذى حلفت به.

قال: ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل، فدخل عليه بيته: يا أبا الحكم، ما رأيك فيما سمعت من محمد؟ فقال: ماذا سمعت، تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تحاذينا على الركب، وكنا كفرسى رهان، قالوا: منا نبى يأتيه الوحى من السماء؛ فمتى ندرك مثل هذه، والله لا نؤمن به أبدا ولا نصدقه قال: فقام عنه الأخنس وتركه.

تعنت قريش عند سماعهم القرآن وما نزل فيهم: قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ إذا تلا عليهم القرآن، ودعاهم إلى الله: قالوا يهزؤون به: ﴿**قلوبنا فى أكنة مما تدعونا إليه**﴾ لا نفقه ما تقول ﴿**وفى آذاننا وقر**﴾ لا نسمع ما تقول ﴿**ومن بيننا وبينك حجاب**﴾ قد حال بيننا وبينك ﴿**فاعمل**﴾ بما أنت عليه ﴿**إننا عاملون**﴾[1] بما نحن عليه، إنا لا نفقه عنك شيئا، فأنزل الله تعالى عليه فى ذلك من قولهم: ﴿**وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا**﴾ . . . إلى قوله﴿**وإذا ذكرت ربك فى القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا**﴾: أى كيف فهموا توحيدك ربك إن كنت جعلت على قلوبهم أكنة، وفى آذانهم وقرا، وبينك وبينهم حجابا بزعمهم؛ أى إنى لم أفعل ذلك. ﴿**نحن أعلم بما يستمعون إليك وإذ هم نجوى إذ يقول الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا**﴾: أى ذلك ما تواصوا به من ترك ما بعثتك به إليهم. ﴿**انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا**﴾: أى أخطئوا المثل الذى ضربوا لك، فلا يصيبون به هدى، ولا يعتدل لهم فيه قول﴿**وقالوا أإذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا**﴾: أى قد جئت تخبرنا أنا سنبعث بعد موتنا أإذا كنا عظاما ورفاتا، وذلك ما لا يكون. ﴿**قل كونوا حجارة أو حديدا أو**

(١) فصلت: ٥.

خلقا مما يكبر فى صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذى فطركم أول مرة﴾[1]: أى الذى خلقكم مما تعرفون، فليس خلقكم من تراب بأعز من ذلك عليه.

قال ابن إسحاق: حدثنى عبد الله بن أبى نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس رضى الله عنهما، قال: سألته عن قول الله تعالى: ﴿أو خلقا مما يكبر فى صدوركم﴾ ماالذى أراده به الله؟ فقال: الموت.

****

ذكر عدوان المشركين على المستضعفين ممن أسلم بالأذى والفتنة

قال ابن إسحاق: ثم إنهم عدوا على من أسلم، واتبع رسول الله ﷺ من أصحابه، فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين، فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش، وبرمضاء مكة إذا اشتد الحر، من استضعفوا منهم يفتنونهم عن دينهم، فمنهم من يفتن من شدة البلاء الذى يصيبه، ومنهم من يصلب لهم، ويعصمه الله منهم.

ما لقيه بلال وتخليص أبى بكر له: وكان بلال، مولى أبى بكر رضى الله عنهما، لبعض بنى جمح، مولدا من مولديهم، وهو بلال بن رباح، وكان اسم أمه حمامة، وكان صادق الإسلام طاهر القلب، وكان أمية بن وهب بن حذافة بن جمح يخرجه إذا حميت الظهيرة، فى بطحاء مكة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثم يقول له: لا تزال هكذا حتى تموت، أو تكفر بمحمد، وتعبد اللات والعزى؛ فيقول وهو فى ذلك البلاء: أحد أحد.

قال ابن إسحاق: وحدثنى هشام بن عروة عن أبيه، قال: كان ورقه بن نوفل يمر به وهو يعذب بذلك، وهو يقول: أحد أحد؛ فيقول: أحد أحد والله يا بلال، ثم يقبل على أمية بن خلف، ومن يصنع ذلك به من بنى جمح، فيقول أحلف بالله لئن قتلتموه على هذا لأتخذنه حنانا[2]، حتى مر به أبو بكر الصديق بن أبى قحافة رضى الله عنه يوما، وهم يصنعون ذلك به، وكانت دار أبى بكر فى بنى جمح، فقال لأمية ابن خلف: ألا تتقى الله فى هذا المسكين؟ حتى متى؟! قال: أنت الذى أفسدته فأنقذه مما ترى؛ فقال أبو بكر: أفعل، عندى غلام أسود أجلد منه وأقوى، على دينك،

(١) الإسراء: ٤٥ ـ ٥١.

(٢) لأتخذنه حناناً: أراد لأجعلن قبره فى موضع حنان. أى مظنة رحمة الله تعالى فأتبرك به. (قلت) والتبرك بقبور الصالحين قد نهى عنه الإسلام أشد النهى لأنه من عمل الجاهلية ويفضى إلى الشرك.

أعطيكه به؛ قال: قد قبلت فقال: هو لك. فأعطاه أبو بكر الصديق رضى الله عنه غلامه ذلك، وأخذه فأعتقه.[1]

من أعتقهم أبو بكر: ثم أعتق معه على الإسلام قبل أن يهاجر إلى المدينة ست رقاب، بلال سابعهم. عامر بن فهيرة، شهد بدرا وأحدا، وقتل يوم بئر معونة شهيدا؛ وأم عبيس وزنيرة، وأصيب بصرها حين أعتقها، فقالت قريش: ما أذهب بصرها إلا اللات والعزى؛ فقالت: كذبوا وبيت الله ما تضر اللات والعزى وما تنفعان، فرد الله بصرها.

وأعتق النهدية وبنتها، وكانتا لامرأة من بنى عبد الدار، فمر بهما وقد بعثتهما سيدتهما بطحين لها، وهى تقول: والله لا أعتقهما أبدا، فقال أبو بكر رضى الله عنه: حل يا أم فلان؛ فقالت: حل، أنت أفسدتهما فأعتقهما؛ قال: فبكم هما؟ قالت بكذا وكذا؛ قال: قد أخذتهما وهما حرتان، أرجعا إليها طحينها، قالتا: أو نفرغ منه يا أبا بكر ثم نرده إليها؟ قال: وذلك إن شئتما.

ومر بجارية بنى مؤمَّل، حى من بنى كعب، وكانت مسلمة، وعمر بن الخطاب يعذبها لتترك الإسلام، وهو يومئذ مشرك وهو يضربها، حتى إذا مل قال: إنى أعتذر إليك، إنى لم أتركك إلا ملالة؛ فتقول: كذلك فعل الله بك. فأبتاعها أبو بكر، فأعتقها.

أبو قحافة يلوم أبا بكر: قال ابن إسحاق: وحدثنى محمد بن عبد الله بن أبى عتيق عن عامر بن عبد الله بن الزبير، عن بعض أهله، قال:

قال أبو قحافة لأبى بكر: يا بنى، إنى أراك تعتق رقابا ضعافا فلو أنك إذا ما فعلت أعتقت رجالا جلدا يمنعونك ويقومون دونك؟: فقال أبو بكر رضى الله عنه: يا أبت، إنى إنما أريد ما أريد لله عز وجل. قال: فيتحدث أنه ما نزل هؤلاء الآيات إلا فيه، وفيما قال له أبوه: **﴿فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى﴾**[2]... إلى قوله تعالى: **﴿وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى﴾**[3].

تعذيب آل ياسر: قال ابن إسحاق: وكانت بنو مخزوم يخرجون بعمار بن

---

(١) رواه أبو نعيم فى الحلية (١/١٤٨) من طريق ابن إسحاق. وكذا رواه ابن سعد فى «الطبقات» (١/٢٤٣).
(٢) الليل: ٥ ـ ٢١.
(٣) فى إسناده جهالة ورواه الطبرى فى «تفسيره» (٣٠/٢٢١) وفى إسناده جهالة أيضاً.

ياسر، وبأبين وأمه، وكانوا أهل بيت إسلام، إذا حميت الظهيرة، يعذبونهم برمضاء مكة، فيمر بهم رسول الله ﷺ فيقول، فيما بلغني: «**صبرا آل ياسر، موعدكم الجنة**».[(١)] فأما أمه فقتلوها، وهي تأبى إلا الإسلام.

وكان أبو جهل الفاسق الذي يغرى بهم في رجال من قريش، إذا سمع بالرجل قد أسلم له شرف ومنعة، أنبه وأخزاه: تركت دين أبيك وهو خير منك، لنسفهن حلمك، ولنفيّلن رأيك[(٢)]، ولنضعن شرفك؛ وإن كان تاجرا قال: والله لنكسدن تجارتك، ولنهلكن مالك؛ وإن كان ضعيفا ضعيفا ضربه وأغرى به.

فتنة المسلمين: قال ابن إسحاق: وحدثني حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير، قال: قلت لعبد الله بن عباس: أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله ﷺ من العذاب ما يعذرون به في ترك دينهم؟ قال: نعم والله، إن كانوا ليضربون أحدهم ويجيعونه ويعطشونه حتى ما يقدر أن يستوى جالسا من شدة الضر الذي نزل به، حتى يعطيهم ما سألوه من الفتنة، حتى يقولوا له؛ اللات والعزى إلهك من دون الله؟ فيقول: نعم، حتى إن الجعل ليمر بهم، فيقولون له: أهذا الجعل إلهك من دون الله؟ فيقول: نعم، افتداء منهم مما يبلغون من جهده.

هشام يرفض تسليم الوليد إلى قريش: قال ابن إسحاق: وحدثني الزبير ابن عكاشة ابن أبي أحمد أنه حدث أن رجالا من بني مخزوم مشوا إلى هشام بن الوليد، حين أسلم أخوه الوليد بن الوليد، وكانوا قد أجمعوا على أن يأخذوا فتية منهم كانوا قد أسلموا، منهم: سلمة بن هشام، وعياش بن أبي ربيعة. قال: فقالوا له وخشوا شرهم: إنا قد أردنا أن نعاتب هؤلاء الفتية على هذا الدين الذي أحدثوا، فإنا نأمن بذلك في غيرهم. قال: هذا، فعليكم به، فعاتبوه وإياكم ونفسه، وأنشأ يقول:

ألا لا يقتلن أخـــي عييش ... فيبقـى بيننا أبـدا تلاحـي

احذروا على نفسه، فأقسم بالله لئن قتلتموه لأقتلن أشرفكم رجلا. قال: فقالوا: اللهم العنه، من يغرر بهذا الخبيث، فوالله لو أصيب في أيدينا لقتل أشرفنا رجلا. قال، فتركوه ونزعوا عنه. قال: وكان ذلك مما دفع الله به عنهم.

****

(١) قال الهيثمي في «المجمع» (٩/ ٢٩٣) رواه الطبراني ورجاله ثقات.
(٢) لَنُفَيِّلَنَّ رأيك: أي لنقبحنه ونخطئنه.

ذكر الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة

قال ابن إسحاق: فلما رأى رسول الله ﷺ ما يصيب أصحابه من البلاء، وما هو فيه من العافية، بمكانه من الله ومن عمه أبى طالب، وأنه لا يقدر أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء، قال لهم: لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد، وهى أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم؛ فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة، مخافة الفتنة وفرارا إلى الله بدينهم، فكانت أول هجرة كانت فى الإسلام.

أوائل المهاجرين إلى الحبشة: وكان أول من خرج من المسلمين من بنى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر: عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية، معه امرأته رقية بنت رسول الله ﷺ.

ومن بنى عبد شمس بن عبد مناف: أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس معه امرأته: سهلة بنت سهيل بن عمرو، أحد بنى عامر بن لؤى، ولدت له بأرض الحبشة محمد بن أبى حذيفة. ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قصى: الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد. ومن بنى عبد الدار ابن قصى: مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار. ومن بنى زهرة بن كلاب: عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة. ومن بنى مخزوم بن يقظة بن مرة: أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة معه امرأته أم سلمة بنت أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم. ومن بنى جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب: عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح ومن بنى عدي بن كعب: عامر بن ربيعة، حليف آل الخطاب، من عنز بن وائل - معه امرأته ليلى بنت أبى حثمة بن حذافة بن غانم بن عامر بن عبد الله بن عوف بن عبيد بن عويج بن عدى بن كعب. ومن بنى عامر بن لؤى: أبو سبرة بن أبى رهم بن عبد العزى بن أبى قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر، ويقال: بل أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس ابن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر. ويقال: هو أول من قدمها. ومن بنى الحارث بن فهر: سهيل بن بيضاء، وهو سهيل بن وهب بن ربيعة بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث، فكان هؤلاء العشرة أول من خرج من المسلمين إلى أرض الحبشة، فيما بلغنى.

قال ابن هشام: وكان عليهم عثمان بن مظعون، فيما ذكر لى بعض أهل العلم.

قال ابن إسحاق: ثم خرج جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه وتتابع المسلمون حتى اجتمعوا بأرض الحبشة، فكانوا بها، منهم من خرج بأهله معه، ومنهم من خرج بنفسه لا أهل له معه.

المهاجرون من بنى هاشم: ومن بنى هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر: جعفر بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم، معه امرأته أسماء بنت عميس بن النعمان بن كعب ابن مالك بن قحافة بن خثعم، ولدت له بأرض الحبشة عبد الله بن جعفر، رجل.

المهاجرون من بنى أمية: ومن بنى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف: عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس، معه امرأته رقية ابنة رسول الله ﷺ، وعمرو بن سعيد بن العاص بن أمية، معه امرأته فاطمة بنت صفوان بن أمية بن محرث بن شق بن رقبة بن مخدج الكنانى، وأخوه خالد بن سعيد بن العاص بن أمية، معه امرأته أمينة بنت خلف بن أسعد بن عامر بن بياضة بن سبيع بن جعثمة بن سعد بن مليح بن عمرو، من خزاعة.

قال ابن هشام: ويقال همينة بنت خلف.

قال ابن إسحاق: ولدت له بأرض الحبشة سعيد بن خالد، وأمة بنت خالد، فتزوج أمة بعد ذلك الزبير بن العوام، فولدت له عمرو بن الزبير، وخالد بن الزبير.

المهاجرون من بنى أسد: ومن حلفائهم، من بن أسد بن خزيمة: عبد الله بن جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد؛ وأخوه عبيد الله بن جحش، معه امرأته أم حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب بن أمية؛ وقيس بن عبد الله، رجل من بنى أسد بن خزيمة، معه امرأته بركة بنت يسار، مولاة أبى سفيان بن حرب بن أمية؛ ومعيقيب بن أبى فاطمة. وهؤلاء آل سعيد بن العاص، سبعة نفر. قال ابن هشام: معيقيب من دوس.

المهاجرون من بنى عبد شمس: قال ابن إسحاق: ومن بنى عبد شمس ابن عبد مناف، أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس؛ وأبو موسى الأشعرى، واسمه عبد الله بن قيس، حليف آل عتبة بن ربيعة، رجلان.

المهاجرون من بنى نوفل: ومن بنى نوفل بن عبد مناف: عتبة بن غزوان ابن جابر بن وهب بن نسيب بن مالك بن الحارث بن مازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة، بن قيس بن عيلان، حليف لهم، رجل.

المهاجرون من بنى أسد: ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قصى: الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد، والأسود بن نوفل بن خويلد بن أسد، ويزيد ابن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد. وعمر بن أمية بن الحارث بن أسد، أربعة نفر.

المهاجرون من بنى عبد بن قصى: ومن بنى عبد بن قصى: طليب بن عمير بن وهب بن أبى كبير بن عبد بن قصى، رجل.

المهاجرون من بنى عبد الدار بن قصى: ومن بنى عبد الدار بن قصى: مصعب ابن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، وسويبط بن حرملة بن مالك بن عميلة بن السباق بن عبد الدار، وجهم بن قيس بن عبد شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، معه امرأته أم حرملة بنت عبد الأسود بن جذيمة بن أقيش بن عامر بن بياضة بن سبيع بن جعثمة بن سعد بن مليح بن عمرو، من خزاعة؛ وابناه عمرو بن جهم وخزيمة بن جهم، وأبو الروم بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار؛ وفراس بن النضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار، خمسة نفر.

المهاجرون من بنى زهرة: ومن بنى زهرة بن كلاب: عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة؛ وعامر بن أبى وقاص وأبو وقاص، مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة؛ والمطلب بن أزهر بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة، معه امرأته رملة بنت أبى عوف بن ضبيرة ابن سعيد بن سعد بن سهم، وولدت له بأرض الحبشة عبد الله بن المطلب.

المهاجرون من بنى هذيل: ومن حلفائهم من هذيل: عبد الله بن مسعود بن الحارث بن شمخ بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل. وأخوه: عتبة بن مسعود.

المهاجرون من بهراء: ومن بهراء: المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة ابن ثمامة بن مطرود بن عمرو بن سعد بن زهير بن لؤى بن ثعلبة بن مالك بن الشريد بن أبى أهوز بن أبى فائش بن دريم بن القين بن أهود بن بهراء بن عمرو بن الحاف بن قضاعة.

قال ابن هشام: ويقال هزل بن فاس بن ذر، ودهير بن ثور.

قال ابن إسحاق: وكان يقال له المقداد بن الأسود بن عبد يغوث بن وهب بن

عبد مناف بن زهرة، وذلك أنه تبناه فى الجاهلية وحالفه، ستة نفر.

المهاجرون من بنى تيم: ومن بنى تيم بن مرة: الحارث بن خالد بن صخر بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم، معه امرأته ربطة بنت الحارث بن جبلة بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم، ولدت له بأرض الحبشة موسى بن الحارث وعائشة بنت الحارث، وزينب بنت الحارث وفاطمة بنت الحارث، وعمرو بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم، رجلان.

المهاجرون من بنى مخزوم: ومن بنى مخزوم بن يقظة بن مرة: أبو سلمة ابن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، ومعه امرأته أم سلمة بنت أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، ولدت له بأرض الحبشة زينب بنت أبى سلمة، واسم أبى سلمة عبد الله، واسم أم سلمة: هند: وشماس بن عثمان بن الشريد بن سويد بن هرمى بن مخزوم.

خبر الشماس: قال ابن هشام: واسم شماس: عثمان، وإنما سمى شماسا؛ لأن شماسا من الشمامسة، قدم مكة فى الجاهلية، وكان جميلا فعجب الناس من جماله، فقال عتبة بن ربيعة، وكان خال شماس: أنا آتيكم بشماس أحسن منه، فجاء بابن أخته عثمان بن عثمان، فسمى شماسا فيما ذكر ابن شهاب وغيره.

قال ابن إسحاق: وهبار بن سفيان بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله ابن عمر ابن مخزوم؛ وأخوه عبد الله بن سفيان؛ وهشام بن أبى حذيفة بن المغيرة بن عبد الله ابن مخزوم؛ وسلمة بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم؛ وعياش بن أبى ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم.

المهاجرون من حلفاء بنى مخزوم؛ ومن حلفائهم، معتب بن عوف بن عامر بن الفضل بن عفيف بن كليب بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو، من خزاعة، وهو الذى يقال له: عيهامة، ثمانية نفر.

قال ابن هشام: ويقال حبشية بن سلول، وهو الذى يقال له معتب بن حمراء.

المهاجرون من بنى جمح: ومن بنى جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب، عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح؛ وابنه السائب بن عثمان؛ وأخواه قدامة بن مظعون، وعبد الله بن مظعون؛ وحاطب بن الحارث بن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح، معه امرأته فاطمة بنت المجلل بن عبد الله بن

أبى قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر؛ وابناه: محمد بن حاطب، والحارث بن حاطب، وهما لبنت المجلل؛ وأخوه حطاب بن الحارث، معه امرأته فكيهة بنت يسار؛ وسفيان بن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح، معه ابناه جابر بن سفيان، وجنادة بن سفيان، ومعه امرأته حسنة، وهى أمهما، وأخوهما من أمهما شرحبيل بن حسنة، أحد الغوث.

قال ابن هشام: شرحبيل بن عبد الله أحد الغوث بن مر، أخى تميم بن مر.

قال ابن إسحاق: وعثمان بن ربيعة بن أهبان بن وهب بن حذافة بن جمح، أحد عشر رجلا.

المهاجرون من بنى سهم: ومن بنى سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب، خنيس ابن حذافة بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم؛ وعبد الله بن الحارث بن قيس بن عدى بن سعد بن سهل، وهشام بن العاص بن وائل بن سعد بن سهم.

قال ابن هشام: العاص بن وائل بن هاشم بن سعد بن سهم.

قال ابن إسحاق: وقيس بن حذافة بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم؛ وأبو قيس بن الحارث بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم؛ وعبد الله بن حذافة بن قيس ابن عدى بن سعد بن سهم؛ والحارث بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم؛ ومعمر بن الحارث بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم؛ وبشر بن الحارث بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم، وأخ له من أمه من بنى تميم، يقال له: سعيد بن عمرو؛ وسعيد بن الحارث بن قيس بن عدى ابن سعد بن سهم؛ والسائب بن الحارث بن قيس بن عدى ابن سعد بن سهم؛ وعمير بن رئاب بن حذيفة بن مهشم بن سعد بن سهم. ومحمية ابن الجزاء، حليف لهم، من بنى زبيد أربعة عشر رجلا.

المهاجرون من بنى عدى: ومن بنى عدى بن كعب: معمر بن عبد الله بن نضلة ابن عبد العزى بن حرنان بن عوف بن عبيد بن عويج بن عدى؛ وعروة ابن عبد العزى بن حرثان ابن عوف بن عبيد بن عويج بن عدى؛ وعدى بن نضلة بن عبد العزى بن حرثان بن عوف ابن عبيد بن عويج بن عدى؛ وابنه النعمان بن عدى؛ وعامر بن ربيعة، حليف لآل الخطاب، من عنز بن وائل، معه امرأته ليلى بنت حثمة ابن غانم. خمسة نفر.

المهاجرون من بنى عامر: ومن بنى عامر بن لؤى: أبو سبرة بن أبى رهم بن عبد

العزى ابن أبى قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر، معه امرأته أم كلثوم بنت سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود ابن نصر بن مالك بن حسل بن عامر؛ وعبد الله بن مخرمة بن عبد العزى بن أبى قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك ابن حسل بن عامر، وعبد الله بن سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن مالك بن حسل بن عامر؛ وسليط بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر، وأخوه السكران بن عمرو، معه امرأته سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر؛ ومالك بن زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر، معه امرأته عمرة بنت السعدى بن وقدان بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر؛ وحاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود ابن نصر بن مالك بن حسل بن عامر؛ وسعد بن خولة، حليف لهم. ثمانية نفر.

قال ابن هشام. سعد بن خولة من اليمن.

المهاجرون من بنى الحارث؛ قال ابن إسحاق: ومن بنى الحارث بن فهر أبو عبيدة بن الجراح، وهو عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر، وسهيل بن بيضاء، وهو سهيل بن وهب بن ربيعة بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث، ولكن أمه غلبت على نسبه، فهو ينسب إليها، وهى دعد بنت جحدم بن أمية بن ظرب بن الحارث بن فهر، وكانت تدعى بيضاء؛ وعمرو بن أبى سرح بن ربيعة بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث؛ وعياض بن زهير بن أبى شداد بن ربيعة بن هلال ابن أهيب بن ضبة بن الحارث، ويقال: بل ربيعة بن هلال ابن مالك بن جنبة، وعمرو بن الحارث بن زهير بن أبى شداد بن ربيعة بن مالك بن جنبة بن الحارث وعثمان بن عبد غنم بن زهير بن أبى شداد بن ربيعة بن هلال بن مالك بن ضبة بن الحارث وسعد بن عبد قيس بن لقيط بن عامر بن أمية بن ظرب بن الحارث، والحارث بن عبد قيس بن لقيط بن عامر بن أمية بن ظرب بن الحارث بن فهر. ثمانية نفر.

عدد مهاجرى الحبشة: فكان جميع من لحق بأرض الحبشة، وهاجر إليها من المسلمين سوى أبنائهم الذين خرجوا بهم معهم صغارا وولدوا بها، ثلاثة وثمانين رجلا، إن كان عمار بن ياسر فيهم، وهو يشك فيه.

شعر عبد الله بن الحارث فى هجرة الحبشة: وكان مما قيل من الشعر فى الحبشة أن عبد الله بن الحارث بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم، حين أمنوا بأرض الحبشة، وحمدوا جوار النجاشى وعبدوا الله لا يخافون على ذلك أحدا، وقد أحسن النجاشى جوارهم حين نزلوا به، قال:

يا راكبا بلغن عنى مغلغلة ... من كان يرجو بلاغ الله والدين[1]
كل امرئ من عباد الله مضطهد ... ببطن مكة مقهور ومفتون[2]
أنا وجدنا بلاد الله واسعة ... تنجى من الذل والمخزاة والهون
فلا تقيموا على ذل الحياة وخز ... ى فى الممات وعيب غير مأمون
إنا تبعنا رسول الله واطرحوا ... قول النبى وعالوا فى الموازين[3]
فاجعل عذابك فى القوم الذين بغوا ... وعائذ بك أن يغلوا فيطغونى
أبت كبدى، لا أكذبنك، قتالهم ... علـى وتأبـاه علـى أناملى
وكيف قتالى معشـرا أدبوكم ... على الحـق أن لا تأشبوه بباطل[4]
نفتهم عباد الجـن مـن حر أرضهم ... فأضحوا علـى أمر شديد البلابل[5]
فإن تك كانت فـى عـدى أمانة ... عدى بن سعد عن تقى أو تواصل
فقد كنت أرجـو أن ذلك فيكم ... بحـمد الـذى لا يطبـى بالجعائل[6]
وبدلت شبلا شبل كـل خـبيثة ... بذى فجرا مأوى الضعاف الأرامل[7]

وقال عبد الله بن الحارث أيضا، يذكر نفى قريش إياهم من بلادهم، ويعاتب بعض قومه فى ذلك:

وتلك قريش تجحد الله حقه ... كما جحدت عاد ومدين والحجر[8]
فإن أنا لم أبرق فلا يسعنى ... من الأرض بر ذو فضاء ولا بحر[9]
بأرض بها عبد الإله محمد ... أبين ما فى النفس إذ بلغ النقر[10]

---

(١) المغلغلة: الرسالة ترسل من بلد إلى بلد.
(٢) المضطهد: المغلوب على أمره الذى لا يزال يؤذى، وهو الذليل.
(٣) عالوا: جاروا وظلموا.
(٤) تأشبوه: تخلطوه.
(٥) حر أرضهم: هى الأرض الكريمة، والبلابل: وساوس الأحزان..
(٦) لا يطبى بالجعائل: لا يستمال بالرشوة.
(٧) الفجر: العطاء الكثير.
(٨) الحجر: سكنى ثمود وهم قوم صالح عليه السلام.
(٩) أبرق: هود وتوعد.
(١٠) النقر: البحث عن الشىء.

فسمى عبد الله بن الحارث - يرحمه الله - لبيته الذى قال: «المبرق».

وقال عثمان بن مظعون يعاتب أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح، وهو ابن عمه وكان يؤذيه فى إسلامه، وكان أمية شريفا فى قومه فى زمانه ذلك:

أتيم بن عمرو للذى جاء بغضه ... ومن دونه الشرمان والبرك أكتع[1]
أأخرجتنى من بطن مكة آمنا ... وأسكنتنى فى صرح بيضاء تقذع[2]
تريش نبالا لا يواتيك ريشها ... وتبرى نبالا ريشها لك أجمع[3]
وحاربت أقواما كراما أعزة ... وأهلكت أقواما بهم كنت تفزع[4]
ستعلم إن نابتك يوما ملمة ... وأسلمك الأوباش ماكنت تصنع[5]

وتيم بن عمرو، الذى يدعو عثمان، جمح، كان اسمه تيما.

******

إرسال قريش إلى الحبشة فى طلب المهاجرين إليها

قال ابن إسحاق: فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله ﷺ قد أمنوا واطمأنوا بأرض الحبشة، وأنهم قد أصابوا بها دارا وقرارا، ائتمروا بينهم أن يبعثوا فيهم منهم رجلين من قريش جلدين إلى النجاشى، فيردهم عليهم، ليفتنوهم فى دينهم، ويخرجوهم من دارهم، التى اطمأنوا بها وأمنوا فيها؛ فبعثوا عبد الله بن أبى ربيعة، وعمرو بن العاص بن وائل، وجمعوا لهما هدايا للنجاشى ولبطارقته، ثم بعثوهما إليه فيهم.

شعر أبى طالب للنجاشى: فقال أبو طالب، حين رأى ذلك من رأيهم وما بعثوهما فيه، أبياتا للنجاشى يحضه على حسن جوارهم والدفع عنهم:

ألا ليت شعرى كيف فى النأى جعفر ... وعمرو وأعداء العدو الأقارب

---

(١) الشرمان: تثنية شرم وهو لجة البحر، وأراد منه هنا البحر من باب إطلاق اسم الجزء على الكل، وأراد بالشرمين البحر الملح والبحر العذب. والبرك: الإبل الباركة.
(٢) صرح بيضاء: مدينة الحبشة. وتقذع تكره.
(٣) تريش: هو مضارع راش السهم يريشه، إذا قواه بالريش، ويستعمل ذلك فى معنى جبره ونفعه وأصلح شأنه: تقول: راش فلانٌ فلاناً بهذا المعنى.
(٤) تفزع: على معنى أنك كنت بهؤلاء تغيث من استغاث بك وتنصر من استنصرك.
(٥) الأوباش: الضعفاء الداخلون فى القوم وليسوا منهم.

وهل نالت أفعال النجاشى جعفرا ... وأصحابه أو عاق ذلك شاغب[1]
تعلَّم، أبيت اللعن، أنك ماجد ... كريم فلا يشقى لديك المجانب[2]
تعلم بأن الله زادك بسطة ... وأسباب خير كلها بك لازب[3]
وأنك فيض ذو سجال غزيرة ... ينال الأعادى نفعها والأقارب[4]

حديث أم سلمة عن الرسولين اللذين أرسلتهما قريش للنجاشى: قال ابن إسحاق: حدثنى محمد بن مسلم الزهرى عن أبى بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومى، عن أم سلمة بنت أبى أمية بن المغيرة زوج رسول الله ﷺ، قالت: لما نزلنا أرض الحبشة، جاورنا بها خير جار النجاشى، أمنا على ديننا، وعبدنا الله تعالى لا نؤذى ولا نسمع شيئا نكرهه، فلما بلغ ذلك قريشا، ائتمروا بينهم أن يبعثوا إلى النجاشى فينا رجلين منهم جلدين. وأن يهدوا للنجاشى هدايا مما يستطرف من متاع مكة، وكان من أعجب ما يأتيه منها الأدم، فجمعوا له أدما كثيرا، ولم يتركوا من بطارقته بطريقا إلا أهدوا له هدية، ثم بعثوا بذلك عبد الله بن أبى ربيعة، وعمرو بن العاص، وأمروهما بأمرهم، وقالوا لهما: ادفعا إلى كل بطريق هديته قبل أن تكلما النجاشى فيهم، ثم قدما إلى النجاشى هداياه، ثم سلاه أن يسلمهم إليكما قبل أن يكلمهم. قلت: فخرجا حتى قدما إلى النجاشى، ونحن عنده بخير دار، عند خير جار، فلم يبق من بطارقته بطريق إلا دفعا إليه هديته قبل أن يكلما النجاشى، وقالا لكل بطريق منهم: إنه قد ضوى إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا فى دينكم، وجاءوا بدين مبتدع، لا نعرفه نحن ولا أنتم وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشراف قومهم ليردهم إليهم، فإذا كلمنا الملك فيهم، فأشيروا عليه بأن يسلمهم إلينا ولا يكلمهم، فإن قومهم أعلى بهم عينا، وأعلم بما عابوا عليهم؛ فقالوا لهما: نعم. ثم إنهما قدما هدايا عما إلى النجاشى فقبلها منهما، ثم كلماه فقالا له: أيها الملك، إنه قد ضوى[5] إلى بلدك منا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا فى دينك، وجاءوا بدين ابتدعوه، لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد

---

(١) عاق: منع. وشاغب من الشغب.

(٢) أبيت اللعن: هذه تحية العرب فى الجاهلية للملوك، يريدون: أبيت أن تأتى من الأمور مايكون سبباً فى اللعن. والمجانب: أراد به الداخل فى حماه.

(٣) لازب: لاصق ولازم.

(٤) فيض: أراد به أنه كريم، وسجال: فى الأصل جمع مسجل، وهو الدلو إذا امتلأت وأراد منه ههنا العطية.

(٥) ضوى: أى أوى ولجأ.

بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم إليهم، فهم أعلى بهم عينا، وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه. قالت: ولم يكن شيء أبغض إلى عبد الله بن أبى ربيعة وعمرو بن العاص من أن يسمع كلامهم النجاشى. قالت: فقالت بطارقته حوله: صدقا أيها الملك قومهم أعلى بهم عينا وأعلم بما عابوا عليهم فأسلمهم إليهما فليرداهم إلى بلادهم وقومهم قالت: فغضب النجاشى، ثم قال: لاها الله، إذن أسلمهم إليهما، ولا يكاد قوم جاورونى ونزلوا بلادى، واختارونى على من سواى، حتى أدعوهم فأسألهم عما يقول هذان فى أمرهم، فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما، ورددتهم إلى قومهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما، وأحسنت جوارهم ما جاورونى.

الحوار الذى دار بين المهاجرين والنجاشى: قالت: ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ فدعاهم، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا، ثم قال بعضهم لبعض: ما تقولون للرجل إذا جئتموه؟ قالوا: نقول والله ما علمنا، وما أمرنا به نبينا ﷺ كائنا فى ذلك ما هو كائن. فلما جاءوا، وقد دعا النجاشى أساقفته، فنشروا مصاحفهم حوله سألهم فقال لهم: ما هذا الدين الذى قد فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا فى دينى، ولا فى دين أحد من هذه الملل؟ قالت: فكان الذى كلمه جعفر بن أبى طالب، فقال له: أيها الملك، كنا قوما أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتى الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار ويأكل القوى منا الضعيف، فكنا على ذلك، حتى بعث الله إلينا رسولا منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافته، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من الحجارة والأوثان وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده، لا نشرك به شيئا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام - قالت: فعدد عليه أمور الإسلام - فصدقناه وآمنا به، واتبعناه على ما جاء به من الله، فعبدنا الله وحده، فلم نشرك به شيئا، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا، فعذبونا، وفتنونا عن ديننا، ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى، وأن نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا، وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك؛ ورغبنا فى جوارك، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك. قالت: فقال له النجاشى: هل معك مما جاء به عن الله من

شيء؟ قالت: فقال له جعفر: نعم؛ فقال له النجاشي: فاقرأه عليّ؛ قالت: فقرأ عليه صدرا من: ﴿كهيعص﴾[1]. قالت: فبكى والله النجاشي حتى اخضلّت لحيته[2]؛ وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم، حين سمعوا ما تلا عليهم؛ ثم قال النجاشي: إن هذا والذى جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقا، فلا والله لا أسلمهم إليكما، ولا يكادون.

رأى المهاجرين فى عيسى أمام النجاشي: قالت: فلما خرجا من عنده، قال عمرو بن العاص: والله لآتينه غدا عنهم بما استأصل به خضراءهم[3]. قالت: فقال له عبد الله بن أبى ربيعة وكان أتقى الرجلين فينا لا نفعل فإن لهم أرحاما، وإن كانوا قد خالفونا؛ قال: والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى ابن مريم عبد. قالت: ثم غدا عليه من الغد فقال: أيها الملك، إنهم يقولون فى عيسى ابن مريم قولا عظيما، فأرسل إليهم فسلهم عما يقولون فيه. قالت: فأرسل إليهم ليسألهم عنه. قالت: ولم ينزل بنا مثلها قط. فاجتمع القوم، ثم قال بعضهم لبعض: ماذا تقولون فى عيسى ابن مريم إذا سألكم عنه؟ قالوا: نقول والله ما قال الله، وما جاءنا به نبينا كائنا فى ذلك ما هو كائن. قالت: فلما دخلوا عليه، قال لهم: ماذا تقولون فى عيسى ابن مريم؟ قالت: فقال جعفر بن أبى طالب: نقول فيه الذى جاءنا به نبينا ﷺ: هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول قالت: فضرب النجاشي بيده إلى الأرض فأخذ منها عودا، ثم قال: والله ما عدا عيسى ابن مريم ما قلت هذا العود[4]. قالت: فتناخرت بطارقته حوله حين قال ما قال؛ فقال: وإن نخرتم والله، اذهبوا فأنتم شيوم بأرضى ـ والشيوم: الآمنون ـ من سبكم غرم، ثم قال: من سبكم غرم، ثم قال: من سبكم غرم. ما أحب أن لى دبرا من ذهب، وأنى آذيت رجلا منكم ـ قال ابن هشام: ويقال دبرى من ذهب، ويقال: فأنتم سيوم، والدبر بلسان الحبشة: الجبل ـ ردوا عليهما هداياهما، فلا حاجة لى بها، فوالله ما أخذ الله منى الرشوة حين رد على ملكى، فآخذ الرشوة فيه، وما أطاع الناس فىّ فأطيعهم فيه. قالت: فخرجا من عنده مقبوحين مردودا عليهما ما جاءا به، وأقمنا عنده بخير دار، مع خير جار.

---

(١) أى من أول سورة مريم. (٢) اخضلت لحيته: أى ابتلت.
(٣) استأصل به خضراءهم: يعنى جماعتهم ومعظمهم.
(٤) أى أن عيسى مخلوق لله كما أن هذا العود مخلوق وليس كما ادعت النصارى من أنه إله أو ابن الله.

المهاجرون يفرحون بانتصار النجاشى: قالت فوالله إنا لعلى ذلك، إذ نزل به رجل من الحبشة ينازعه فى ملكه. قالت: فوالله ما علمتنا حزنًا حزنا قط كان أشد علينا من حزن حزناه عند ذلك، تخوفا أن يظهر ذلك الرجل على النجاشى، فيأتى رجل لا يعرف من حقنا ما كان النجاشى يعرف منه. قالت: وسار إليه النجاشى، وبينهما عرض النيل، قالت: فقال أصحاب رسول الله ﷺ: من رجل يخرج حتى يحضر وقيعة القوم ثم يأتينا بالخبر؟ قالت. فقال الزبير بن العوام. أنا قالوا: فأنت. وكان من أحدث القوم سنا. قالت فنفخوا له قربة فجعلها فى صدره، ثم سبح عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التى بها ملتقى القوم، ثم انطلق حتى حضرهم. قالت: فدعونا الله تعالى للنجاشى بالظهور على عدوه، والتمكين له فى بلاده. قالت: فوالله إنا لعلى ذلك متوقعون لما هو كائن، إذ طلع الزبير وهو يسعى، فلمع بثوبه وهو يقول: ألا أبشروا، فقد ظفر النجاشى، وأهلك الله عدوه، ومكن له فى بلاده. قالت: فوالله ماعلمتنا فرحنا فرحة قط مثلها، قالت: ورجع النجاشى، وقد أهلك الله عدوه، ومكن له فى بلاده، واستوثق عليه أمر الحبشة فكنا عنده فى خير منزل، حتى قدمنا على رسول الله ﷺ وهو بمكة.[1]

****

قصة تملك النجاشى على الحبشة

قتل أبى النجاشى وتملك عمه: قال ابن إسحاق: قال الزهرى: فحدثت عروة بن الزبير حديث أبى بكر بن عبد الرحمن، عن أم سلمة زوج النبى ﷺ، فقال: هل تدرى ما قوله: ما أخذ الله منى الرشوة حين رد علىّ ملكى، فآخذ الرشوة فيه، وما أطاع الناس فى فأطيع الناس فيه؟ قال: قلت: لا، قال: فإن عائشة أم المؤمنين حدثتنى أن أباه كان ملك قومه، ولم يكن له ولد إلا النجاشى، وكان للنجاشى عم، له من صلبه اثنا عشر رجلا، وكانوا أهل بيت مملكة الحبشة، فقالت الحبشة بينها: لو أنا قتلنا أبا النجاشى وملكنا أخاه فإنه لا ولد له غير هذا الغلام، وإن لأخيه من صلبه اثنى عشر رجلا، فتوارثوا ملكه من بعده، بقيت الحبشة بعده دهرا، فغدوا على أبى النجاشى فقتلوه، وملكوا أخاه، فمكثوا على ذلك حينا.

الحبشة تبيع النجاشى: ونشأ النجاشى مع عمه، وكان لبيبا حازما من الرجال،

(١) إسنادها صحيح إلى أم سلمة رضى الله عنها.

فغلب على أمر عمه، ونزل منه بكل منزلة، فلما رأت الحبشة مكانه منه قالت بينها: والله لقد غلب هذا الفتى على أمر عمه، وإنا لنتخوف أن يملكه علينا، وإن ملكه علينا ليقتلنا أجمعين، لقد عرف أنا نحن قتلنا أباه. فمشوا إلى عمه فقالوا: إما أن تقتل هذا الفتى، وإما أن تخرجه من بين أظهرنا، فإنا قد خفناه على أنفسنا؛ قال: ويلكم! قتلت أباه بالأمس، وأقتله اليوم! بل أخرجه من بلادكم. قالت: فخرجوا به إلى السوق، فباعوه من رجل من التجار بست مئة درهم؛ فقذفه فى سفينة فانطلق به، حتى إذا كان العشى من ذلك اليوم، هاجت سحابة من سحائب الخريف فخرج عمه يستمطر تحتها، فأصابته صاعقة فقتلته. قالت: ففزعت الحبشة إلى ولده، فإذا هو فحمق، ليس فى ولده خير، فمرج على الحبشة أمرهم.

تولية النجاشى الملك: فلما ضاق عليهم ما هم فيه من ذلك، قال بعضهم لبعض: تعلموا والله أن ملككم الذى لا يقيم أمركم غيره للذى بعتم غدوة، فإن كان لكم بأمر الحبشة حاجة فأدركوه الآن، قالت: فخرجوا فى طلبه، وطلب الرجل الذى باعوه منه حتى أدركوه، فأخذوه منه؛ ثم جاءوا به فعقدوا عليه التاج، وأقعدوه على سرير الملك، فملكوه.

حديث التاجر الذى اشتراه: فجاءهم التاجر الذى كانوا باعوه منه، فقال: إما أن تعطونى مالى، وإما أن أكلمه فى ذلك؟ قالوا: لا نعطيك شيئا، قال: إذن والله أكلمه؛ قالوا: فدونك وإياه. قالت: فجاءه فجلس بين يديه، فقال: أيها الملك، ابتعت غلاما من قوم بالسوق بست مئة درهم، فأسلموا إلى غلامى وأخذوا دراهمى، حتى إذ سرت بغلامى أدركونى، فأخذوا غلامى، ومنعونى دراهمى. قالت: فقال لهم النجاشى: لتعطنه دراهمه، أو ليضعن غلامه يده فى يده، فليذهبن به حيث شاء؛ قالوا: بل نعطيه دراهمه. قالت فلذلك يقول: ما أخذ الله منى رشوة حين رد على ملكى، فآخذ الرشوة فيه، وما أطاع الناس فى فأطيع الناس فيه. قالت: وكان ذلك أول ما خبر من صلابته فى دينه، وعدله فى حكمه.

قال ابن إسحاق: وحدثنى يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير، عن عائشة، قالت: لما مات النجاشى، كان يتحدث أنه لا يزال يرى على قبره نور.[1]

****

(١) إسناده صحيح إلى عائشة رضى الله عنها.

إسلام النجاشى والصلاة عليه وخروج الحبشة عليه

قال ابن إسحاق: وحدثنى جعفر بن محمد، عن أبيه، قال: اجتمعت الحبشة فقالوا للنجاشى: إنك قد فارقت ديننا، وخرجوا عليه. فأرسل إلى جعفر وأصحابه، فهيأ لهم سفنا، وقال: اركبوا فيها وكونوا كما أنتم، فإن هزمت فامضوا حتى تلحقوا بحيث شئتم، وإن ظفرت فاثبتوا. ثم عمد إلى كتاب فكتب فيه: هو يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله، ويشهد أن عيسى ابن مريم عبده ورسوله وروحه، وكلمته ألقاها إلى مريم؛ ثم جعله فى قبائه عند المنكب الأيمن، وخرج إلى الحبشة، وصفوا له، فقال. يا معشر الحبشة، ألست أحق الناس بكم؟ قالوا: بلى؛ قال: فكيف رأيتم سيرتى فيكم؟ قالوا. خير سيرة؛ قال: فما لكم؟ قالوا: فارقت ديننا، وزعمت أن عيسى عبد؛ قال: فما تقولون أنتم فى عيسى؟ قالوا: نقول هو ابن الله؛ فقال النجاشى، ووضع يده على صدره على قبائه: هو يشهد أن عيسى ابن مريم، لم يزد على هذا شيئا، وإنما يعنى ماكتب، فرضوا وانصرفوا. فبلغ ذلك النبى ﷺ؛ فلما مات النجاشى صلى عليه واستغفر له.[1]

****

إسلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه

قال ابن إسحاق: ولما قدم عمرو بن العاص وعبد الله بن أبى ربيعة على قريش، ولم يدركوا ما طلبوا من أصحاب رسول الله ﷺ، وردهما النجاشى بما يكرهون، وأسلم عمر بن الخطاب، وكان رجلا ذا شكيمة لا يرام ما وراء ظهره، امتنع به أصحاب رسول الله ﷺ وبحمزة حتى عازوا قريشا[2]، وكان عبد الله بن مسعود يقول: ما كنا نقدر على أن نصلى عند الكعبة، حتى أسلم عمر، فلما أسلم قاتل قريشا حتى صلى عند الكعبة، وصلينا معه، وكان إسلام عمر بعد خروج من خرج من أصحاب رسول الله ﷺ إلى الحبشة.

---

(١) عن أبى هريرة رضى الله عنه: «أن رسول الله ﷺ نعى النجاشى للناس فى اليوم الذى مات فيه وخرج بهم إلى المصلى فصف بهم وكبر أربع تكبيرات» متفق عليه وقد ورد هذا الحديث أيضا عن جابر ابن عبد الله وعمران بن حصين ومجمع بن جارية وحذيفة بن أسيد. وانظر «الإرواء» (٣/ ١٧٥) وروى أحمد فى «مسنده» (٤/ ٣٦٠و٣٦٣) عن جرير بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ « **إن أخاكم النجاشى قد مات فاستغفروا له**» وسنده حسن.

(٢) عازوا قريشاً: أى غلبوهم.

قال البكائى قال: حدثنى مسعر بن كدام، عن سعد بن إبراهيم، قال: قال عبد الله بن مسعود: إن إسلام عمر كانا فتحا، وإن هجرته كانت نصرا، وإن إمارته كانت رحمة، ولقد كنا ما نصلى عند الكعبة حتى أسلم عمر، فلما أسلم قاتل قريشا حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه.[1]

حديث أم عبد الله بنت أبى حثمة عن إسلام عمر: قال ابن إسحاق: حدثنى عبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله بن عياش بن أبى ربيعة، عن عبد العزيز بن عبد الله بن عامر بن ربيعة، عن أمه أم عبد الله بنت أبى حثمة قالت: والله إنا لنترحل إلى أرض الحبشة، وقد ذهب عامر فى بعض حاجاتنا، إذ أقبل عمر بن الخطاب حتى وقف علىّ وهو على شركه ـ قالت: وكنا نلقى منه البلاء أذى لنا وشدة علينا ـ قالت: فقال: إنه للانطلاق يا أم عبد الله. قالت: فقلت: نعم والله، لنخرجن فى أرض الله، آذيتمونا وقهرتمونا، حتى يجعل الله مخرجا. قالت: فقال: صحبكم الله، ورأيت له رقة لم أكن أراها، ثم انصرف وقد أحزنه ـ فيما أرى ـ خروجنا. قالت: فجاء عامر بحاجته تلك، فقلت له: يا أبا عبد الله، لو رأيت عمر آنفا ورقته وحزنه علينا. قال: أطمعت فى إسلامه؟ قالت: قلت: نعم؛ قال: فلا يسلم الذى رأيت حتى يسلم حمار الخطاب؛ قالت: يأسا منه، لما كان يرى من غلظته وقسوته عن الإسلام.[2]

سبب إسلام عمر: قال ابن إسحاق: وكان إسلام عمر فيما بلغنى أن أخته فاطمة بنت الخطاب وكانت عند سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وكانت قد أسلمت وأسلم بعلها سعيد بن زيد، وهما مستخفيان بإسلامهما من عمر، وكان نعيم بن عبد الله النحام من مكة، رجل من قومه، من بنى عدى بن كعب قد أسلم، وكان أيضا يستخفى بإسلامه فرقا من قومه، وكان خباب بن الأرت يختلف إلى فاطمة بنت الخطاب يقرئها القرآن، فخرج عمر يوما متوشحا سيفه يريد رسول الله ﷺ ورهطا من أصحابه قد ذكروا له أنهم قد اجتمعوا فى بيت عند الصفا، وهم قريب من أربعين ما بين رجال ونساء، ومع رسول الله ﷺ عمه حمزة بن عبد المطلب، وأبو بكر بن أبى قحافة الصديق، وعلى بن أبى طالب، فى رجال من المسلمين رضى الله عنهم، ممن كان أقام من رسول الله ﷺ بمكة، ولم يخرج فيمن خرج إلى أرض الحبشة،

---

(١) فى الإسناد انقطاع، سعد بن إبراهيم هو ابن عبد الرحمن بن عوف وهو لم يرو عن ابن مسعود.
(٢) إسنادها حسن.

فلقيه نعيم بن عبد الله، فقال له: أين تريد يا عمر؟ فقال: أريد محمدا هذا الصابئ، الذى فرق أمر قريش، وسفه أحلامها، وعاب دينها، وسب آلهتها، فأقتله؛ فقال له نعيم: والله لقد غرتك نفسك من نفسك يا عمر، أترى بنى عبد مناف تاركيك تمشى على الأرض وقد قتلت محمدا! أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقم أمرهم؟ قال: وأى أهل بيتى؟ قال ختنك وابن عمك سعيد بن زيد بن عمرو، وأختك فاطمة بنت الخطاب، فقد والله أسلما، وتابعا محمدا على دينه، فعليك بهما؛ قال: فرجع عمر عامدا إلى أخته وختنه، وعندهما خباب بن الأرت معه صحيفة، فيها: ﴿طه﴾ يقرئهما إياها، فلما سمعوا حس عمر، تغيب خباب فى مخدع لهم، أو فى بعض البيت، وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذها، وقد سمع عمر حين دنا إلى البيت قراءة خباب عليهما، فلما دخل قال: ما هذه الهينمة التى سمعت؟ قالا له: ما سمعت شيئا؛ قال: بلى والله لقد أخبرت أنكما تابعتما محمدا على دينه، وبطش بختنه سعيد بن زيد؛ فقامت إليه أخته فاطمة بنت الخطاب لتكفه عن زوجها، فضربها فشجها؛ فلما فعل ذلك قالت له أخته وختنه: نعم قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله، فاصنع ما بدا لك. فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ماصنع، فارعوى، وقال لأخته: أعطينى هذه الصحيفة التى سمعتكم تقرءون آنفا أنظر ما هذا الذى جاء به محمد، وكان عمر كاتبا؛ فلما قال ذلك، قالت له أخته: إنا نخشاك عليها؛ قال: لا تخافى، وحلف لها بآلهته ليردنها إذا قرأها إليها؛ فلما قال ذلك، طمعت فى إسلامه، فقالت له: يا أخى، إنك نجس، على شركك، وإنه لا يمسها إلا الطاهر، فقام عمر فاغتسل، فأعطته الصحيفة، وفيها: ﴿طه﴾ فقرأها؛ فلما قرأ منها صدرا، قال: ما أحسن هذا الكلام و أكرمه! فلما سمع ذلك خباب خرج إليه، فقال له: يا عمر، والله إنى لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه، فإنى سمعته أمس وهو يقول: اللهم أيد الإسلام بأبى الحكم بن هشام، أو بعمر بن الخطاب، فالله الله يا عمر. فقال له عند ذلك عمر: فدلنى يا خباب على محمد حتى آتيه فأسلم؛ فقال له خباب: هو فى بيت عند الصفا، معه فيه نفر من أصحابه، فأخذ عمر سيفه فتوشحه، ثم عمد إلى رسول الله ﷺ وأصحابه، فضرب عليهم الباب، فلما سمعوا صوته، قام رجل من أصحاب رسول الله ﷺ، فنظر من خلل الباب فرآه متوشحا السيف، فرجع إلى رسول الله ﷺ وهو فزع، فقال: يا رسول الله، هذا عمر ابن الخطاب متوشحا السيف؛ فقال حمزة بن عبد المطلب: فأذن له، فإن كان جاء

يريد خيرا بذلناه له، وإن كان يريد شرا قتلناه بسيفه؛ فقال رسول الله ﷺ: «**ائذن له**»، فأذن له الرجل، ونهض إليه رسول الله ﷺ حتى لقيه فى الحجرة فأخذ حجزته، أو بمجمع ردائه، ثم جبذه به جبذة شديدة، وقال: ما جاء بك يابن الخطاب؟ فوالله ما أرى أن تنتهى حتى ينزل الله بك قارعة، فقال عمر: يا رسول الله، جئتك لأومن بالله وبرسوله، وبما جاء من عند الله؛ قال: فكبر رسول الله ﷺ تكبيرة عرف أهل البيت من أصحاب رسول الله ﷺ أن عمر قد أسلم.

فتفرق أصحاب رسول الله ﷺ من مكانهم، وقد عزوا فى أنفسهم حين أسلم عمر مع إسلام حمزة، وعرفوا أنهما سيمنعان رسول الله ﷺ، وينتصفون بهما من عدوهم فهذا حديث الرواة من أهل المدينة عن إسلام عمر ابن الخطاب حين أسلم.[1]

مارواه عطاء ومجاهد عن إسلام عمر: قال ابن إسحاق: وحدثنى عبدالله بن أبى نجيح المكى عن أصحابه: عطاء، ومجاهد، أو عمن روى ذلك: أن إسلام عمر فيما تحدثوا به عنه، أنه كان يقول: كنت للإسلام مباعداً، وكنت صاحب خمر فى الجاهلية، أحبها وأسرّ بها، وكان لنا مجلس يجتمع فيه رجال من قريش بالحزورة، عند دور آل عمر بن عبد عمران المخزومى، قال: فخرجت ليلة أريد جلسائى أولئك فى مجلسهم ذلك، قال: فجئتهم فلم أجد فيه منهم أحداً، فقلت: لو أنى جئت فلانا الخمار، وكان بمكة يبيع الخمر، لعلى أجد عنده خمراً فأشرب منها، قال: فخرجت فجئته فلم أجده قال: فقلت: فلو أنى جئت الكعبة فطفت بها سبعا أو سبعين قال: فجئت المسجد أريد أن أطوف بالكعبة، فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلى، وكان إذا صلى استقبل الشام، وجعل الكعبة بينه وبين الشام، وكان مصلاه بين الركنين: الركن الأسود، والركن اليمانى. قال: فقلت حين رأيته، والله لو أنى استمعت من حمد الليلة حتى أسمع مايقول فقلت: لئن دنوت منه أستمع منه لأروعنه؛ فجئت من قبل الحجر، فدخلت تحت ثيابها، فجعلت أمشى رويداً، ورسول الله ﷺ قائم يصلى يقرأ القرآن، حتى قمت فى قبلته مستقبله، مابينى وبينه إلا ثياب الكعبة قال: فلما سمعت القرآن رق له قلبى فبكيت ودخلنى الإسلام، فلم أزل قائما فى مكانى ذلك، حتى قضى رسول الله ﷺ صلاته، ثم انصرف، وكان إذا

(١) هذه الرواية فى سبب إسلام عمر ضعيفة، فقد رواها ابن سعد فى «الطبقات» (٣/ ٩١) والبيهقى فى «دلائل النبوة» (٢/ ٢١٩) وفى إسنادها القاسم بنِ عثمان البصرى، قال الذهبى. فى «الميزان» (٣/ ٣٧٥) قال البخارى له أحاديث لا يتابع عليها، قلت: «حدث عنه إسحاق الأزرق بمتن محفوظ بقصة إسلام عمر رهى منكرة جداً». اهـ .

انصرف خرج على دار ابن أبى حسين، وكانت طريقه، حتى يجزع المسعى[١]، ثم يسلك بين دار عباس بن المطلب، وبين دار بن أزهر بن عبد عوف الزهرى، ثم على دار الأخنس بن شريق، حتى يدخل بيته وكان مسكنه ﷺ فى الدار الرقطاء، التى كانت بيدى معاوية بن أبى سفيان. قال عمر رضى الله عنه: فتبعته حتى إذا دخل بين دار عباس، ودار ابن أزهر، أدركته؛ فلما سمع رسول الله ﷺ حسى عرفنى، فظن رسول الله ﷺ أنى إنما تبعته لأوذيه فنهمنى ثم قال: «**ماجاء بك يابن الخطاب هذه الساعة؟**» قال: قلت: لأومن بالله وبرسوله، وبما جاء من عند الله قال: فحمد الله رسول الله ﷺ، ثم قال: «**قد هداك الله ياعمر**»، ثم مسح صدرى، ودعا لى بالثبات، ثم انصرفت عن رسول الله ﷺ، ودخل رسول الله ﷺ بيته.

قال ابن إسحاق، والله أعلم أى ذلك كان.[٢]

ثبات عمر فى إسلامه: قال ابن إسحاق: وحدثنى نافع مولى عبد الله بن عمر، عن ابن عمر قال: لما أسلم أبى عمر قال: أى قريش أنقل للحديث؟ فقيل له: جميل ابن معمر الجمحى قال: فغدا عليه، قال عبد الله بن عمر: فغدوت أتبع أثره، وأنظر مايفعل، وأنا غلام أعقل كل مارأيت، حتى جاءه، فقال له: أعلمت ياجميل أنى قد أسلمت ودخلت فى دين محمد؟ قال: فوالله ما راجعه حتى قام يجر رداءه واتبعه عمر، واتبعت أبى، حتى إذا قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته: يامعشر قريش، وهم فى أنديتهم حول العكبة، ألا إن عمر بن الخطاب قد صبا، قال: يقول عمر من خلفه: كذب، ولكنى قد أسلمت، وشهدت أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله وثاروا إليه، فما برح يقاتلهم ويقاتلونه حتى قامت الشمس على رءوسهم، قال: وطلح[٣]، فقعد وقاموا على رأسه وهو يقول: افعلوا مابدلكم، فأحلف بالله أن لو قد كنا ثلاث مئة رجل لقد تركناها لكم، أو تركتموها لنا؛ قال: فبينما هم على ذلك، إذ أقبل شيخ من قريش، عليه حلة حبرة[٤]، وقميص موشى، حتى وقف عليهم، فقال: ماشأنكم؟ قالوا: صبا عمر؛ فقال: فمه، رجل اختار لنفسه أمراً فماذا تريدون؟ أترون بنى عدى بن كعب يسلمون لكم صاحبهم هكذا!

---

(١) يجزع المسعى: أى يجتازه.

(٢) هذه الرواية أيضاً فى سبب إسلام عمر - رضى الله عنه - ضعيفة، فإن عبد الله بن أبى نجيح مدلس وقد عنعن هنا كما أن الرواية مرسلة من مراسيل مجاهد وعطاء ثم إن ابن إسحاق تردد فى الرواية هل رواها ابن أبى نجيح عن عطاء ومجاهد. أو عن غيرهما.

(٣) طلح: تعب وأعيا.

(٤) الحبرة: نوع من برود اليمن.

خلوا عن الرجل قال: فوالله لكأنما كانوا ثوبا كشط عنه قال: فقلت لأبى بعد أن هاجر إلى المدينة: يا أبت، من الرجل: الذى زجر القوم عنك بمكة يوم أسلمت، وهم يقاتلونك؟ فقال: ذاك، أى بنى، العاص بن وائل السهمى.[1]

قال ابن هشام: وحدثنى بعض أهل العلم، أنه قال: يا أبت، من الرجل الذى زجر القوم عنك بمكة يوم أسلمت، وهم يقاتلونك جزاه الله خيرا قال يابنى ذلك، العاص بن وائل، لاجزاه الله خيراً.

قال ابن إسحاق: وحدثنى عبد الرحمن بن الحارث عن بعض آل عمر، أو بعض أهله، قال: قال عمر: لما أسلمت تلك الليلة، تذكرت أى أهل مكة أشد لرسول الله ﷺ عداوة حتى آتيه فأخبره أنى قد أسلمت؛ قال: قلت: أبو جهل - وكان عمر لحنتمة بنت هشام بن المغيرة - قال: فأقبلت حين أصبحت حتى ضربت عليه بابه. قال: فخرج إلى أبو جهل، فقال: مرحباً وأهلا بابن أختى، ماجاء بك؟ قلت: جئت لأخبرك أنى قد آمنت بالله وبرسوله محمد، وصدقت بما جاء به؛ قال: فضرب الباب فى وجهى وقال: قبحك الله، وقبح ماجئت به.

بعون الله وحسن وتوفيقه - انتهى الجزء الأول من سيرة ابن هشام ويليه إن شاء الله الجزء الثانى وأوله خبر الصحيفة - أعان الله على تمامه.

****

---

(١) إسنادها صحيح.

فهرس الجزء الأول

مكتبة الإيمان
المنصورة - أمام جامعة الأزهر
ت: ٠٥٠/٢٢٥٧٨٨٢